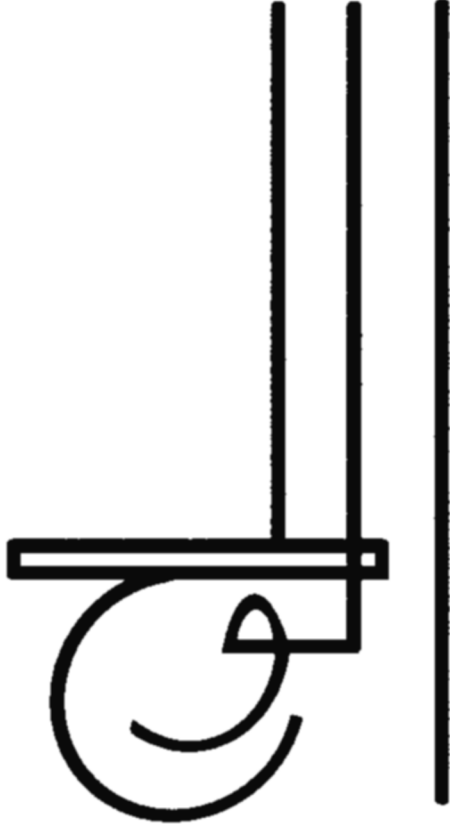




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء التاسع عشر
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء التاسع عشر

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	في..إنسان الطريق عمله.. كلامه ذكره.. دعاؤه أدبه.. قيامه	مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ على رافع محمد رافع	٢٨ أبريل ١٩٧٤ م	١
٢	رسالة النظر ورسالة العمل هما حرث الأولى لحصاد الآخرة في أيامنا لتواجداً بالليل والنهار والظلام والنور للهراد بحقائقنا وحجبها بعوالمها من الظلام والنور	حديث الجمعة	٢٨ يناير ١٩٦٦ م	٥
٣	لا يعرف الحب من لم يشهد الحبيب ولا يعرف البعيد من لم يؤمن بالقريب	حديث الجمعة	١١ فبراير ١٩٦٦ م	٢١
٤	العبودية لله غاية والعبودية لله نهاية العبد لله، السماوات والأرض معناه لمبناه نفساً لله، لنفسه ارتضاه، فوجها له تجلاه، واسما له عناه	حديث الجمعة	٢٥ فبراير ١٩٦٦ م	٣٣
٥	دائرة الزمان والمكان ومركزها ومحيطها بالإنسان علم الله بالوجود ووجهه للشهود	حديث الجمعة	١١ مارس ١٩٦٦ م	٤٩
٦	الموجود والموعود لمعنى الحق القائم، لعين القديم والقادم دائم الحق بعالمه وحكيمه، بقائه لقيومه وقديمه وجه الله بالإنسان، لقائم ودائم العنوان	حديث الجمعة	١٨ مارس ١٩٦٦ م	٦٥
٧	وحدانية الله في وحدانية العقول مشرقة ووحدانية القلوب صادقة ووحدانية النفوس متحققة	حديث الجمعة	٢٥ مارس ١٩٦٦ م	٨٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٨	آدم كلمة الله في ابن آدم حق كامن وكلمة الله بابن آدم، في آدم حق كامن كلمتان لله هما طرفا الزمان في دورة الحياة بالإنسان	حديث الجمعة	٤ نوفمبر ١٩٦٦ م	٩٩
٩	أشهره الأعلى خلق نفسه فأسراه به منه فيه، ليعلمه ويراه وعرج به منه إليه، من أدناه إلى أعلاه	حديث الجمعة	١١ نوفمبر ١٩٦٦ م	١٠٧
١٠	الإنسان عابد بخلقه لمعبوده بحقه لقائه بالعباد والمعبود في الحق الموجود هو بخلقه عابد سبقه مبعوثا به في الوجود هو في الإطلاق أحد لأحد بين آحاد للشهود	حديث الجمعة	١٨ نوفمبر ١٩٦٦ م	١٢١
١١	رسول الله من وإلى آدم قديمه وجديده. والده ووليدته في دورته الخالدة بالأنا والهو بين الخلق والحق في رسالة خالدة إليه من قيومه، ورسالة خالدة منه من قائمه	حديث الجمعة	٢٥ نوفمبر ١٩٦٦ م	١٣٣
١٢	إنسان هدي الرحمة لإنسان مسح الإطلاق حياة الطريق وروح الانطلاق عبد الله ورب الناس وسر الربوبية لكل الناس حق العباد وقائم الأرباب للأعلى والأدنى في السفور وفي الحجاب	حديث الجمعة	٣٠ ديسمبر ١٩٦٦ م	١٤١
١٣	طوبى لمن جعله الله، مفتاحا لكنوز القلوب بقائمه حقا وربا لقيومه اسما وعبدا	حديث الجمعة	٢٤ فبراير ١٩٦٧ م	١٥٧

(١)

في .. إنسان الطريق عمله .. كلامه ذكره .. دعاؤه أدبه .. قيامه

مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ على رافع محمد رافع

٦ ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ - ٢٨ أبريل ١٩٧٤ م

سبح اسم ربك الأعلى .. الذي خلق فسوى .. والذي قدر فهدى ..
سبح اسم ربك الأعلى .. في وجودك .. واذكره كثيرا في نفسك، حتى يأتيك اليقين ..
تسبيحك لا يكون لخيال .. وذكرك لا يكون لماضي أو منام .. (لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما
عددت نفسي من المسلمين)¹
يرى بعض الناس أنهم يذكرون ماضيا من قيام فارق وابتعد وفي الحقيقة أنهم عنه يبتعدون، فالذكر لا
يكون إلا لقائم لا يفارق، والوصلة لا تكون إلا مع دائم لا يغيب، يشعر الإنسان به معه في كل مكان
وزمان، هذا ما عبر عنه القوم في نشيدهم ..

(لست أرضى من حبيبي بوصالٍ في منام .. أنا يقظان أراه عن يميني ويساري)²

إن تسبيح الإنسان لاسم ربه الأعلى قائم به بفطرة الحياة فيه، فهو بحركاته، وسكاته، وكلماته، وأفعاله،
إنما هو في مسار يتجه إلى أعلى، إذا أدرك ذلك حسن عمله، وطال عمره الحقي، لأنه أسلم وجهه
خالصا، لا معاندا، ولا جاحدا، ونظر إلى الحياة نظرة حقيقية، فوجه طاقتها به إلى رقي في الله، ولم
يعطلها بمادي وجوده، ومشغل جسده، حينئذ تصبح أنفاسه خلقا .. ونبضات قلبه ذكرا .. وتفكر عقله
ملا لفراغ الوجود بالحياة، فإذا تحدث فلنفسه يصف وللملكه يشير.

إن كل كلمة ينطق بها، تكون كلمة في الله، وتكون ذكرا لله، وتكون حبا في الله.

وليست العبرة بالألفاظ، ولكن العبرة بقائلها، فكم من كلمات رنانة تدوي بها الخناجر، وتشدق بها الألسن، فتجذب إليها النفوس، وتسير وراءها العقول منخدعة بمظهرها، معجبة بحلاوتها، غافلة عن مقصدها، فإذا ما رجعت إلى حقيقتها، وصدقت مع عقيدتها، عرفت أنها لم تكن إلا كلمات جوفاء لا روح فيها ولا حياة، ذلك لأن هذه الكلمات لم تنبع من إنسان صالح فأصلح، وعرف فعرّف، فحين يتكلم تكون كلماته حياة تسري في العقول فتثيرها، وفي القلوب فتحييها، وفي الأرواح فتطهرها، وفي النفوس فتزكيها.

وحديث هذا الإنسان الصالح.. يوم يأخذ مظهر دعاء، أو رجاء، فهو ترديد لمعنى قائم في سابق أو حاضر أو لاحق يكسب به يوم يردده، ويحيا به يوم يعرفه فيكون هو قائم هذا الدعاء ممتدا به من سابق وجوده إلى لاحق تواجده في حاضر أمره.

هو في هذا يعمل بخطاب ربه له (تخلقوا بأخلاق الله)^٣ متبعا لقانون الحق، ملتصقا بطريق السلامة.

فالإنسان يحاول أن يحاكي أعلاه، لا تصنعا، ولكن بفطرة الحياة فيه، وبسر موجد به.. فكما خلقه ربه، يود هو أن يخلق كما خلق.. وأن ينفخ من روحه في مخلوق له كما نفخ خالقه فيه.. وأن يهدي كما هُدي.. وأن يتبع كما اتبع. هذا ما تمليه فطرة الحياة على الإنسان، فإذا أدرك لم يشغله من اهتموا به عن من اهتمى هو به.. ولا ينسيه هاديه في علاه أنه فيمن اهتموا به في دناءه، فيقوم أمرا وسطا، فيه يلتقي البحرين، ويجمع الأمران. وإذا لم يدرك ونسي ربه في علاه، وأقام من صنم نفسه ربا للناس، يكون بذلك قد انحاز عن خير الأمور، وخير الأمور الوسط.

كثيرون من الشرق والغرب.. تحدثوا عن الإنسان.. في وجوده، سر عمله وسلوكه.. سر خلقه وإنتاجه.. سر فكره وأدبه.. سر شعره وكتبه.. هل هو حبا منه في الظهور؟ أو حبا منه أن يفرض وجوده على الآخرين؟ أم ماذا؟ إن أي قائم بحياة قادر على أن يخلق يوم يستقيم بوجوده مع قانون الحياة، فيكون عمله خلقا.. وإنتاجه حياة.. (عبدى أطعني أجعلك ربانيا، تقول للشيء كن فيكون)^٤. فالطاعة هي الاستقامة مع قانون الحياة نفسا وقلبا وعقلا، وبها يودع الإنسان في كل ما ينتج عنه سر الحياة.. مهيا لأن يسري في كل من مس هذا الإنتاج طاهرا قلبا وقالبا.

إن الطاعة هي يوم تستجيب لربك.. واستجابتك لربك لا تتم إلا يوم تدعو نفسك فتسلم لك وتملكها.. وتُخضع قلبك لك فلا ينبض إلا حبا وذكرًا.. ويستجيب عقلك فلا يفكر إلا فيما يوجه إليه منك، لا ينشغل بنفس، ولا يجذب لقلب، إنما النفس والقلب والعقل في انسجام تام يعملون، وفي توافق كل

يؤدي مهمته، ويعرف سر خلقته، حينئذ تكون لأبعاضك جمعت، ولشتاتك وحدت، ولنداء ربك لبّيت، فكنت حقاً طائعاً، عرفت أن طاعتك هي يوم أنك لربك حاكيت فدعوت كما دعا فلي دعاءك من ناديت، فيوم لبوا لبّيت، ويوم سلّموا سلّمت، ويوم استجابوا استجبت، فلربك حمدت، وله شكرت، وأكبرت، أن أطلعك على سره فحييت.. وعلى غيبه فعرفت.. وعلى حضرته فأقدمت فدخلت عبداً ساجداً، بجاء ربك مسبحاً، وفي مغفرته طامعاً، وبجاه رسوله متوسلاً، فعرفت الحضرتين، ودعوت لهما بهما، فخير الأمور كنت، فمثلاً لما عليه كنت، للناس خرجت، فيتيما ما قهرت بل آويت، وسائلاً ما نهرت بل أغنيت.. ولطالب علم بنعمة حدثت.. مسبحاً بحمد ربك، ومستغفراً إنه كان تواباً.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة صوفية يقال إنها للسيد أبي الحسن الشاذلي، كما يقال إنها للسيد أبي العباس المرسبي
- ٢ من تراث الأناشيد الصوفية.
- ٣ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاحه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٤ من حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، وتقول كتب الأحاديث الشريفة السنية بأنه ليس حديثاً قدسياً، ولكنه جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبيد أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".

(٢)

رسالة النظر ورسالة العمل هما حرث الأولى لحصاد الآخرة في أيامنا لتواجداتنا بالليل والنهار والظلام والنور للمراد بحقائقنا وحجبها بعواملها من الظلام والنور

حديث الجمعة

٧ شوال ١٣٨٥ هـ - ٢٨ يناير ١٩٦٦ م

ما ترك شيئاً يقربنا إلى الله، إلا وأمرنا به.. وما ترك شيئاً يبعدنا عن الله، إلا ونهانا عنه.

أولى بنــــا من أنفسنا.

بالحق أنزله مبدية، وبالحق نزل لباديه.. خفض جناح الذل من الرحمة، واحتجب علينا بحقه، قدوة
ميسرة لنا، وإشفاقا علينا، إلى موصوف خلقه، من أنفسنا، من الليل يتجدد به نافلة له، ليدخل الليل في
نهاره، ويأوي الضال في بيته إلى جواره.

كان يتيما، فأشفق على اليتامى.. وكان فقيرا، فأشفق على الفقراء.. وكان ضالا، فلم يضق ذرعا
بالجهلاء.

آواه الأعلى، وجعله في الوجود الأعلى، فتخلق بأخلاق من آواه، فأوى إليه من آوى، يوم هو لنفسه
ارتضاه، وبحاله اقتداه، فكان جنة الوجود له بوجوده، لمعاني حقه ونفسه وموجوده.

آوى إليه، من رأى اليتيم لعينه، ومن لمس الفقر بيديه.. آواه وتولاه، فكان أولى به من نفسه ومن
والاه. وأمدّه فأغنّاه، وظهر له أنه المحتاج إليه ليغنيه، لأنه يفتقر لمن يغنيه، ليُظهر به معانيه ومغانيه،
يجب أن يعرف، وبه يعرف، يوم غنى فيه، من طلب الغنى، بذكر من يغنيه، آمنه أقرب إليه من جبل
الوريد، قائما على نفسه بما تريد، وقائما بما يريد على كل نفس فيه.

إن الذي قال لك، كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون، لم يعزل معناه عن معنك ولا وجوده عن وجودك، لم يعزل عنك له، وإن عزلت نفسك منه.. ولم يغفل عن نفسك فيه، وإن غفلت أنت عنها به.. ولم يبتعد عنها، وإن باعدتها عنه.

إن الذي تعرفه مفروضاً، يعرفك وجوداً.. إن الذي تنكره عليك وجوداً، لم يمنع عنك شيئاً من عطائه لك كرماً وجوداً، إنه يريد برحمته ومغفرته أن يصلحك لك، فهل صلحت أو أصلحت؟ إن من يطلب الإصلاح، أو يقوم الإصلاح يقتضيه طلبه للإصلاح أن يعرف ما يكون الصلاح، فكيف يطلب الإصلاح، ويعمل للإصلاح من لا يعرف ما هو الصلاح؟

(رُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)¹.. إنها رسالة الفقه في الإسلام، أن يتحدث الناس عن الحق.. أن يتواصى الناس بالحق.. أن يعمل الناس لطلب الحق. فرسالة الفقه رسالة نظر، وهي رسالة قائمة بذاتها، ورسالة العمل بما علم.. رسالة مجاهدة وعمل، وهي رسالة قائمة بذاتها.

ولا تستقيم رسالة العمل، إلا إذا استقامت رسالة النظر، ولا تنتج رسالة النظر، ما لم يتبعها من صاحب النظر عمل. إن النظر والعمل، إنما هما حرث الدنيا.. إنما هما كسب الدنيا.. إنما هما ما تعطيه الدنيا لمغتنيهما.. إنما هما الاستقامة في الدنيا، ولو استقامت الدنيا للفرد أو للمجتمع لتطورت الدنيا، لتغيرت الدنيا، لانتقلت الدنيا، من دنياها، إلى حقيقة معناها بموصوف أحرأها.

إن الدنيا والآخرة، وجودان متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا دنيا بدون آخرة، ولا آخرة بدون دنيا، ولو فقدت الآخرة دنياها، ما سميت أخرى، وما عرفت آخرة.. ولو فقدت الدنيا آخرتها، ما سميت دنيا، وما عرفت عند قائمها بوصف الأمر الداني والدنيا للأمر الملاحق والآخرة. فلا تبعدوا أحرأكم عن دنياكم، ولا تعزلوا دنياكم من أحرأكم. فأنتم لكم آخرة لقبلكم، وأنتم بكم دنيا لبعدهم، وأنتم فيكم الحق ليومكم.

لو كشف غطاء الدنيا عن داني وجودكم، من نبات الأرض، لرأيتم النبات والحيوان من معناكم لدنيا آخرتكم، لعين قيامكم عياناً بياناً. {وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}². إنكم لم تدخلوا الإنسان بعد.. أتريدون أن تناقلوا قول آبائكم ولا وعي لكم دينا ويقينا؟! أو لو كان آبائكم لا يعلمون شيئاً، ولا يعقلون؟

إذا كان الله، قد عامل آباءكم في إدراكهم على ما أدركوا بموازين تقواهم وإيمانهم بما أدركوا، عاملهم بما عقلوا، فمن صدق منهم، ما فاته لتطوره شيء.. ولكن الله في عصركم هذا وقد كشف لكم الكثير من العلم عنه بما علمتم عن الكون، وعن كونكم، فلو تعاملتم معه بما أدرك آبائكم لهلكتم.

تأملوا الرسول وهو يقول لأهل عصره (من ترك منكم عشر ما أمرتكم به لهلك، ويأتي على أمتي زمان من عمل بعشر ما أمرتكم به لنجا)^٣. إن الحياة في عصركم تختلف عنها في عصر الرسول وقبلة. فما بعد الرسول أمر في الحياة جديد، وما قبل الرسول كان أمرا في الحياة فريدا، بالرسول تجدد على الحق لقائمه به جمع من القبل والبعد لحاضره لنا.

وإن الرسول، سيبقى هو الرسول، ما تجددت الأمور، وما تجددت العصور، وما تجدد الناس، فهو الحاضر الدائم للقبل، وبعده.. يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويتخير لعديد علومه لكل علم من بينهم. فرسالته رسالة جمعهم ليوم اجتماعهم.

فإذا كان الناس يُرفعون طبقا فوق طبق، ففي كل طبق مرفوع أمره ورسوله، وفي كل بيت موضوع أمره ورسوله. إن هذه الأرض دار واحدة، وبيت واحد، يرفع أو يوضع، فيه أمره ورسوله، بيت فيه أهله وفيه ذكر الله، لأهله، رسولا من أنفسهم، لا يغيب عن أنفسهم ما شهدوا بعين الحق أنفسهم.

ولا يحتجب بينهم لهم عنهم، أمر جماعهم وباب كلهم، ما تفقهوا في أمرهم، وما تنبهوا لمعية ربهم، وما قدروا أمر إلههم، وما أكبروا أمرهم في الله، بإعلاء عقولهم، وخفض نفوسهم، وبعث قلوبهم، وتقويم جوارحهم، لتجديد هياكلهم فلم يفرطوا في أمرهم.

هذا ما علمتهم بهم وأعلمتهم لهم الفطرة، على لسان أمرها وعينها، وربها ورسولها وعبدها، وحققها وخلقها، من عرفناه إنسانا، فشرّف به الإنسان، ومن عرفناه آدماء، فبعث به آدم، من عرفناه كلمة لله، تجمّع بقديم معناه، لقادم معناه في قائم معناه، فكان الحق من الله.

إنسان أخذ كتابه بيمينه قرآنا، وقال لألواح وصحائفه آدماء وإنسانا، هاؤم اقرءوا كتابه، فجددوا في كتبكم، واكتبوا بأقلام القدرة لمعانكم صحائف قادمكم لقائكم في وبي، جماع أمركم لبيتي هو بيتكم بيتا لربي وربكم. (أعطيت جوامع الكلم)^٤.

أتبعوا السيئة الحسنة تحها، فاحموا من صحائفكم سيئاتكم، على ما كانت، بحسنات أفعالكم على ما تكون، فيمحي قديمكم، ويشرف قادمكم، ويصلح في الله قائمكم، (أهل لا إله إلا الله لا يحضرون الموقف)^٥.

فهل استجبنا له؟ نعم، استجاب له منا من استجاب، فرسالته لم تولد ميتة، بل ولدت حية ونبضت بالحياة. فجمعت بيئتها للعمل للثواب وللعقاب، فحيا بها من حيا، وعن قديمه تاب، فإلى قائمه رجع ولمعية الحق تاب.

وها هو بحقه لقائمه، إلى الأرض روحا مع الروح آب، {يوم يقوم الروح} لرب العالمين.. وفي يومنا لعصرنا يقوم الروح، عاملا مناصرا ناصرا، مع من كان العروة الوثقى، ولم يدرك إلا لمن رحم.. يقوم

الروح رفيقا وحبيبا وخليلا، لرسول الله ظاهرا وباطنا، جسدا وروحا، لقائم الروح، بدنيا الحياة بشرا سوّاه أمة، وعدا من الناس بداه. يقوم الروح لنصرته جمعا وفردا، قيوما لقائم روحه وحقه، وخلقه عبدا وربا، روح الله، وأمة رسول الله.

إن لك في النهار سبعا طويلا، جعلنا الشمس عليك دليلا، يا من رجعت إلى المطلق فكنت مطلقا، ويا من تكنزت بنورك في حجاب ظلامك، فكنت بعد النور والظلام.

رجعت، لمن إليه رجعت، فإليه آواك، ويتهما سماءك، وجعل الدين فيمن يؤمن باليتيم لمعناك، فتأويه فيأويه من آواك.. وجعل المقت والكراهية والكفر، لمن يدع اليتيم لكوثرك بمعناك ومبناك، وجعل السكينة، والطمأنينة لمن والاك، ليرد موائدك، ويطلع بسكينتك، ويتوفر كفله من رحمتك، فيصلح باله بما علم.. ويصلح أمره بما أيقن.. ويستقيم لسانه فيما نطق بما أفيض على قلبه، من نور حكمته لقيوم قائمه بربه، حتى يكون كلامه كلام الله، وفعله فعل الله. وقد دخل في حصن لا إله إلا الله، فقام لا إله إلا الله، وعرف أن إمامه رائدها وقائمها، فشده محمدا رسول الله، وبذلك يستقيم في الله أمره، فيعلم فيشهر ويجهر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

فيحسن حمد الله، يوم يقول الحمد لله، ويحسن استعانة الله، يوم يقول أعوذ بالله، ويحسن إدراك نفسه، يوم يستغفر الله من نفسه، عند معناه لمعنى ربه، يوم يقول أستغفر الله، ويقدر الله حق قدره، يوم يقدر نفسه حق قدرها، فيتقدر عنده الرسول بحق قدره، فيكبر الله ويكبر رسول الله، ويكبر نفسه في الله عن قائمها لدناه. فيدرك إدراك عارفيه، من قاموا به فيه، فقالوا إن (السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له)^٧.

أولئك جاهدوا أنفسهم سيرا إلى الله، لها ممتطين، بهمهم لها حاثين، إلى الله مسرعين، وعلى مطاياهم في الله حريصين ولها راعين.

إنها العبودية لهماكلهم، تمتطيا الربوبية لمعانيهم بعقولهم، مدركة للألوهية لهم في بيتها من قلوبهم لأرواحهم.

عرفوا من كان نور السماوات والأرض لمبانيهم. إنه ما كان إلا نور عقولهم لذواتهم، عوالم الله، عرفوهم بمقيدهم مطايا مطلقهم، وعرفوهم بظواهرهم أبواب باطنهم، وعرفوهم بقلوبهم أراضي دورهم، وعرفوهم برؤوسهم رحمن هياكلهم.

عرفوا المستوي على عرش وجودهم، بذوات وجودهم، إنما هو أرواحهم.. إنما هي الحياة لهم، فلم يغيبوا الله عن وجوده لموجودهم، فدخلوا في حصن وحدانيته بشعارهم، قياما بشعارهم بلا إله إلا

الله، مؤمنين، مرتقين، في الله ذي المعارج، برسوله إليه في دوام عارج، قائد ركب عوالمه إليه، في لانهايه بوجوده، بلانهائي عطائه وجوده، لقائه به وموجوده.

فكان الإنسان به حقا وإنسانا، وكان الإنسان به على الحق عنوانا، وكان للحق بيتا يذكر فيه اسمه، رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، مذكور وجودهم، يذكرونه، وموجود ذكرهم يقومونه، إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله.

المؤمن مرآة المؤمن، فما كان المرء إلا على دين خليله، لا تنتظروا حسابا أو عقابا، فلينظر أيكم من يخال، فلا تخدعه نفسه، ولا يغلبه حسه، عن إدراك مقاربه، وهو بفعله مجانبه، يظاهرون الله لا يواجهونه، ويواجهون الشيطان ويظاهرونه، يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد.

إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وفي أنفسكم أفلا تبصرون. إن إلى أنفسكم اتجهتم، أبصرتم، فإن ردت إليكم أعمالكم، فشياطين وجودكم قتم ولكم عرفتم، وإن في حجابكم جاهدتم، وللشيطان يجري منكم مجرى الدم ما كذبتكم ولكن صدقتم، ولما في أنفسكم غيرتم، إلى من هو بينكم عرفتم، وإلى الله رسولا نسبتم، غير الله ما بكم. فإذا كشفت عنكم أغطيتمكم، عرفتم، ما قدمتم وأخرتم، يوم أنكم رسول الله في أنفسكم شهدتم، وعلى عروش قلوبكم أجلستم ما عارضتم ولا منعتم، وبيته من قلوبكم ربا لكم ما أغلقتم، ولكنكم لأبواب قلوبكم فتحتم وبالحق جاءكم رحبتكم، فدخلكم بنور الله له، هو معناه، أتم له ما هو مبناه، هو لكم عين مولا، من مولا لمعنى مولاكم. فما عرفه فيه، إلا مولاكم، فذكره لكم، بما عرفتم وبما طلب إليكم، ولم يذكره لقائه في شهودكم، فما عرفتموه ولن تعرفوه في وجوده مع شهود وجودكم.

(ما عرفني غير ربي^٨.. لست على هيئتكم^٩).. لست على صورتكم.. لست كأحدكم.. إنني كل أحديتكم ولست كأحدكم، إني جماعكم ولست بكلي لكم في جزء مني بأحدكم، {ويوم القيامة يكفرون بشرككم^{١٠}}. وقد أنكروا عليك أنك كلهم أو أنك الحق لهم وما كنت من الله إلا كلهم، لكلهم، فما أنكروا على الله ولكن أنكروا عليك قائم الحق لهم. ما طلب منهم الله أن يقدروه حق قدره. وأنى يكون لهم ذلك! ولكنه طالبهم أن يقدروك حق قدرك {وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته^{١١}}، ما قدروا الله حق قدره.

لو أكبرتم الله.. لو قدرتم الله.. لو أعليتم شأن الله في نظركم، لآمنت برسوله ربا لكم راعيا لأمركم، إنه لكم كل ما لكم من عند الله.. إنه الحق لجماع العبد والرب لكم، وقائم الوجود والموجد لشهودكم.

ليس لكم عند الله بعيدا عنه شيء، فمن بعد عنه، فلا حظ له من الله، ومن قاربه معنى، أو عرفه وجهها، أو تحسسه اجتهدا، فإن الله يؤتية به كفيلين من رحمته، عن طريق إدراكه، لقائه برسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فألوان الإيمان ومراتبه ثلثون برسول الله، ومراتب الإيمان في الله تتحدد بالإدراك لإدراك ما أدرك رسول الله.. والنجاة من القطيعة وهي العذاب، تنقضي بالوصلة برسول الله. إن المعرفة عن رسول الله، إنما هي المعرفة عن الله، وإن المعرفة عن النفس في رسول الله، إنما هي المعرفة عن رسول الله.

فمن طلب المعرفة، فليبدأ بمعرفة نفسه في القطيعة عن رسول الله، وفي الوصلة برسول الله. فكيف يعرف كله.. لمعنى رسول الله من لا يعرف جزء رسول الله لمعناه؟ كيف يعرف جزءه من رسول الله لمعنى نفسه من لا يعرف رسول الله من عند الله لمعنى كله؟ ابدأ بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت. (ابدأ بنفسك فانها عن غيها، فإذا انتهت، فأنت حكيم) ١٢.

فإن صَلَّحت نفسك نبع الإصلاح منك، وصلحت لأن تصلح، (لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ١٣، فإذا كانت نفسه لم تجد ما تُحب، فكيف يقدم لأخيه شيئا يحب! إن الناس يرونهم، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، بترديد ما قرأوا متجاوزين بأنفسهم وضعها، متجاوزين بها إلى ما فوق حقها.

فكيف يعطي الهدى ضال؟ إنه يعطي الضلال.. فيرتقي في ضلاله من ضال إلى مُضل. أمرنا أن نستعِذ بالله أن لا يدخلنا فيهم، أو يفتتنا بهم، وأن يجعلنا من غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

هكذا نستعِذ بالله، من أنفسنا، مستحقة للرجم بعملها شيطان وجودنا، طلب إلينا أن نجاهدها، بين جوانحنا، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ١٤.

إنك في جماعك بمجموعك في قائمك، من قيل له، بعضكم لبعض عدو. إنك في هيكلك، من قيل لهم، لكم فيها في هياكلكم مستقر ومتاع إلى حين، إنك في وحدتك لأحدك في قائمك، من وعد وبشر وحذر وعلم ليعلم، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم.. إنك يوم تتشتت إلى صورك، من إلهك وربك، وعبدك، في عالمك وكونك تعرف ما بين يديك من البلاغ، فما تجحد وتتكبر، وتحرف، كفي بنفسك اليوم وفي كل يوم، عليك حسيبا.

الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده، في يومه وأمسه وغده، وفي كل أطواره، وفي كل أوقاته، وجد الله عنده، والله عند خلقه، ما فارق خلقه، لا في قديم خلقه، ولا في قائم خلقه، ولا في قادم خلقه.

إن الله عند خلقه، وإن الله يخلق من خلقه، صوراً له، يتجلى بها، يوم يتجلى بهم، على أعمالهم، وما صدر عنهم، والله خلقكم وما تعملون.. ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، إنما هي أعمالكم ترد إلى عاملها وصانعها وربها منكم، إنما هي أعمالكم ترد إليكم، فتكفر بكم إن بمن صنعكم كفرتم، وتؤمن بكم يوم أنكم بصانعكم آمنتم. كما تدين تدان.

إنما هي أعمالكم ترد إليكم، فتراكم، يوم تراها، من عملكم، وتراها يوم تراكم من عملها، {إن ابني من أهلي}.. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح^{١٦}، فيوم يتحكم في الإنسان عمله، ربا عليه لا ربا له، فيرد إلى ربه، فيعذبه عذاباً نكراً، ويوم يتمكن هو من صنعه، بتخلقه بأخلاق ربه، يدخل جنته لمعنى فردوس نفسه، بمن دخلها من قومه وبيته وأهله.

بهذا كله جاء الإسلام، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم قالوا بلى شهدنا}١٧، يوم صاروا حقائق لحقائق. ولكن يوم شهد الأبناء أن الآباء من صنعهم برد الآباء إلى أبنائهم، قيام صانعهم، فهذا جزاء الآباء، برد أعمالهم إليهم بنقصهم لأطوارهم، ويوم يرد الأبناء إلى الآباء لمعاني صانعهم، موالين متابعين محبين متفانين، فهذا جزاء الآباء بمتابعة الأبناء لهم، مرحلة كريمة لتطورهم. فمن صلح لله والداً أو ولداً، أصلحنا له من صلح من آباءه وأزواجه وذرياته.

فمن يكون الله، إلا من صلح من خلقه، يوم يعرف الإنسان الفطرة في نفسه، ويعرفه مصنوع الله لله، (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة)١٨، [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة]١٩.. {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً}٢٠ {ولسوف يعطيك ربك فترضى}٢١. (كلكم لآدم وآدم من تراب)٢٢. (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)٢٣.

إن هذا الذي نقوله في رسول الله، إنما نقوله لكم فيكم عنكم، يوم أنكم له تتابعون، وبالله ورسوله لأنفسكم تؤمنون، والله ورسوله عن أنفسكم لا تبعدون. لا تبعدوا الله عنكم، ولا تبعدوا رسوله عنكم، لقائم وجودكم بموجودكم، يوم تصبحوا بهما رحامين، مغيرين لما في نفوسكم من معاني الشياطين.

لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فلينظروا بالإيمان أي منقلب ينقلبون، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً}٢٤.. إن الله لا يغفر أن تشركوا به وجوداً غير وجوده، بوهم وجودكم، فأنتم ظلال لمن فيه تواجد، يوم أنكم فيه تتواجدون، ولأنفسكم بعملكم بقدرته بأمانة الحياة تصنعون وتطورون وتخلقون.

إنكم عملكم بأمانة الحياة لكم.. إن الحياة التي تحملونها أمانة معكم، إنما هي عارية، تبقى لكم هدية من الله يوم تستحقونها بحسن استعمالها، وتفارقكم باستردادها، يوم تسيئون استعمالها، تفارقكم رحمة بالناس، ورحمة بكم، لأنكم لا تستعملونها إلا في خلق الشياطين، وتنمية مملكة الشيطان، وتغذية قائم الشيطان، وإعزاز الشيطان، لأنكم لا تقرأون إلا قرآن الشيطان، ولا تجددون إلا صحائف البهتان، وتخاصمون في دوام، وجوه الإحسان، وأسماء الله الحسنى بالإنسان في عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا.

ولكنكم تقومون في مجال المقت لهم عند الناس، وفي مجال النسيان لكم بهم، لا تذاكرون بينكم عنهم، ولا تتواصلون بالحق بهم لكم، ولكنكم تذكرون في دوام مخاصمكم من الطغاة منكم باسم معانيهم لكم.

تقولون إنكم تتابعون رسول الله، وآله والتابعين، وأصحابه والمصاحبين، بإحسان إلى يوم الدين، وما تابعتم وذكرتم إلا الغافلين والظالمين والطاغين، وما كان للمحسنين بينكم من سبيل.. أغلقتم أبواب رحمة الله، وقطعتم عن الوجود رسول الله، وما أغلقتم الأبواب إلا على أنفسكم، وما قطعتم الرحمة إلا عنكم.

ختام النبيين! آخر النبيين! بهذا وصفتموه! فليكن كذلك.. أليس هو أول العابدين! أليس هو أمر الله للعالمين! أليس هو نور الله للعارفين! أليس هو كتاب الله للقارئ! أليس هو أقلام قدرته للكاتبين! أليس هو صوت الله للمرتلين! أليس هو إمامة الله للعارجين! أليس هو روح الله للأحياء العاملين! أليس هو نور الله لقلوب المشرقين! أليس هو الإنسان للعالمين!

ألم يقل لنا في هديه، إن الإنسان إنما هو الرحمن! ألم يقل إن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان! فإذا كان هو إنسان الله ظهر به الله، فكيف يموت وكيف يغيب، والله يقول له ليسمعنا، ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد؟ وهو يقول لنا (أنا حي في قبري)^{٢٥}، ليعالج عنتنا بخطاب على قدر عقولنا.

ونحن نذهب مغاضبين، ونظن أن الله عليه غير قادر، لم يجعل له الخلد لأنه مات، فكيف نقول أن الله جعل له الخلد، إنه جعل له الخلد لذكراه، كما جعله لنابليون وولنجتون وبسمارك وخوفو وخفرع ومنقرع!

هل هذا نوع الخلد الذي جعله الله لرسول الله؟ أو من {جعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}^{٢٦}، ألم يجعل الله لحمد نورا يمشي به في الناس؟ ألم يقل له على مسمع لنا ومشهد بنا هو {الذي يراك حين تقوم وتقبلبك في الساجدين}^{٢٧}!

إن الله هو الذي يراه، حين يقوم ويتقلب في الساجدين، فكيف يراه من لم يسر فيهم بنور الله له؟ كيف يراه العمي غير المبصرين؟ {لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير}^{٢٨}..

كيف يرى رسول الله، وهو الحق من الله من لا يؤمن بالله في معيته، ولا يجاهد نفسه في الله، معبدها نور طلعتة، بإنسان حضرته؟

(أخفى الله الولي في الخلق) ٢٩. {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} ٣٠. (رُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) ٣١، ولكن الناس لا يريدون أن يروه إلا تحت التيجان.. لا يريدون أن يروه إلا فوق كراسي السلطان.

أي سلطان.. هذا الذي يرى فيه رسول الله! وأي تاج ذلك الذي يرى تحته رسول الله؟ إنه جمال الله.. إنه يرى على عرش سلطان الله، وتحت تاج جلال الله.. إنه مصدر الحياة.. يوم تُدرك معنى الحياة.. إنه مصدر الحياة يوم تقبل أن تكون عبداً لله.. إنه وجه الله، يوم تريد أن تضيف نفسك إلى الله... إنه ظاهر الله، رسولا من الله.. إنه الله، باطن رسول الله.

إنه علم الله اللانهائي فوق الأسماء والمسميات.. إنه ما وراء الله بأسمائه.. إن الذين أدركوا وعرفوا، فبينوا وقالوا في متابعتة، ناصحين لأهل مجانبته باسم شريعته، هُذوا إلى أن (السير إلى الله له نهاية) ٣٢، وعلموا أن ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم.

فبذلك يتم سيرك إلى الله، فإذا بقيت في إيمانك بمتابعة رسول الله، عرفت رسول الله.. فإذا عرفت رسول الله، وتفتحت لك أبواب معارج الله، إلى اللانهائي فعرفت الله أكبر، والله أكبر، ورسول الله أكبر، ورسول الله أكبر، عطاءً غير مجذوذ، وسيرا غير متوقف، وعلمت علم اليقين أن فاقد الشيء لا يعطيه، وأن مالك الشيء زاهد فيه.

من عَرَف أنه يملك الدنيا، زهدها.. ومن عَرَف أنه يفتقر إلى الله، طلب الله.. ومن يعرف أنه اسما لله، يمقت نفسه يوم كانت بعيدة أن تكون اسما لله، ويحذر أن تعتدي عليه اسما لله، فتضيعه مع الله.. الذين آمنوا بالله ورسوله ثم ارتابوا، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان} ٣٣.

والذين آمنوا بالله ورسوله، ولم يرتابوا في إيمانهم بالله ورسوله، في دائم لهم، كانوا نعم المؤمن مرآة المؤمن، شهدوا الله برسوله لقيامهم، قيوما عليهم، وشهدوا رسول الله، بقائمهم، قائم قيامهم، في الله، برسول الله، كلمات لله ورسوله.

(أشده بك، وأشهدك به) ٣٤. هذا توأصيهم بالحق وتدريكمهم به للآخرين، عن إدراكهم وموصوفهم في قيامهم، قائم كلمة الله، من كلمات لله، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت، من سطح الأرض فما لها من قرار. {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} ٣٥.

قل انتظروا فإني معكم من المنتظرين، وإن غدا لناظره قريب، وإن يوما سيجيئ، يعرف فيه لمن عقبي الدار، يوم تشرق الأرض بنور ربها، وتنشق الأرض عن سيدها، يوم تنشق الأرض عن رسول الله، مولاه، زويت له الأرض، لقدوته بها، وطويت له السماء لرحمته منها، هو يد الله، مبسوطة، لمن يبايع الله على نفسه.. هو يد الله، مخلصة، لمن لجأ إلى الله، في سفن النجاة وركب الحياة.

هل عرفنا أهل بيت رسول الله؟ وأنهم كتاب الله؟ وكلام الله؟ وأن الرسول وقرآنه أم كتابهم، وجماع أحاديثهم من قبله ومن بعده؟ وأنه الكتاب والإمام الذي لم يفرط فيه الله من شيء؟ كتاب الوجود.. كتاب الحياة.. كتاب الإطلاق، يأخذه مريد الحق، لمطلق الحق، حرصا على الحياة لنفسه.

فإذا حيا قلبه، واستقامت نفسه، وأشرق عقله، خرج للناس نبيا، وقام بينهم نبيا، بما عرف بالحق مبعوثا، وبالرسول قائما، ليتابعه الناس على ما علم يوم يعرفون عترته، لا تتفصل عن الكتاب، تقدم البيان، وتكشف طريق الإحسان، وتقوم بالعنوان، لرسول الرحمن، لإنسان الإحسان، لإنسان الله، لآدم الله، لجماع أوادم الله، لباب الله، لوجه الله، لقلم قدرة الله، لعرش الله وكربي الله، لصحائف الله، لكتب الله، لدائم رسالة الله بدائم رسول الله.

لقد كان لنا الرسول، وما زال، وسيبقى.. فهل أخذنا شيئا من ذلك؟ لقد جافينا من أخذ، ولا نريد أن نأخذ، ولا نريد أن ندرك حتى نوصي أبناءنا أن تدرك ما غفل عنه الآباء لنا، لا نريد أن نتواصى بالحق، ولا نريد أن نتواصى بالصبر، ولا نريد أن نتلاقى مع الحق في قيامنا، يوم نعرف أهل الحق من بيننا، ولكننا مع أهل البهتان نتواصى بموصوف الحق، وبموهوم الحق.

هذا حالنا.. وهذا ما آل إليه أمرنا، فهل فينا من رجل رشيد؟ فهل فينا من يستيقظ؟ فهل فينا من يقظ؟ هل فينا من يريد أن يوقظ؟ هل فينا من عرف؟ هل فينا من يريد أن يعرف؟ هل فينا من يريد أن يعرف؟ {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ٣٦.. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ٣٧، فكيف أنا من الله نياس، وكيف أنا عنه بيننا في الخلق لا نبحت!

إننا يوم أننا إليه نستيقظ، ولأنفسنا ندرك، وفي أنفسنا نطلب لبحثنا عن المثل الأعلى لنا، {ولله المثل الأعلى} ٣٨ في السماوات والأرض، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} ٣٩.. {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} ٤٠، ولكنا من دون الله نتخذ، وبالله لا نأخذ، وبالله لمعيتنا نجحد وننكر، وإذا آمنا بمعيتة لنفوسنا نطغي بها ونستكبر، وعلى عباد الرحمن لمعنى الحق نخاصم وننكر.

فهل عبدنا أنفسنا لله، وعبدناها لاسم الله بعبد من العباد حتى نعرف العباد، وحتى نقوم في الرشاد؟ رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا، وما رفعنا بعضكم فوق بعض

درجات، إلا في المعرفة.. إلا في الحقيقة.. إلا في كسب نور الله.. إلا في معارج الله.. إلا في روح الله.

طبقاً فوق طبق ترفعون.. وأمرنا فوق أمر تنتظمون، وجعلنا طريقنا منا إليكم أو منكم إلينا، رجل سلم لرجل في كل صعود وهبوط، وجعلنا فتنتنا رجل فيه شركاء متشاكسون، ولم نسوي بينهما مثلاً، ولم نجعل من الثاني للاحتذاء مثلاً، ولكن جعلنا من الأول كوثرًا، إنها المسير والطريق، إنها الصدق والصدق، إنها الحق.. إنها القيامة.. إنها الحياة.. إنها الساعة... إنها الخلاص.. إنها السلامة.. إنها الدين.. إنها العلم.. إنها الخروج من الجاهلية والجهل.. إنها الإسلام والعق من النار، إنها التخلص من سجين المادة إلى طليق الإرادة.. إنها التحرر من قيود الزمن.. إنها الغلبة على الموت.. إنها العلم والكتاب.. إنها الحياة والحساب.

على أساس من هذا قام دين الإسلام.. فهو دين الروح، تجسدت شبحاً وتجسد.. وهو دين الأشباح انطلقت أرواحاً وتتطلق.. إنه دين الغيب والشهادة.. إنه دين الدنيا والآخرة.. إنه دين يوم الدين.. إنه دين أمسك، ودين يومك، ودين غدك.. إنه دين قيامك وقيامتك.. إنه دينك فيما تقوم، ودينك فيما فيه قديماً قمت، ودين غدك يوم علمت نفس ما قدمت وأخرت. هذا هو دين الله، هذا هو دين القيمة.. هذا هو دين الفطرة.

إن الجمهور في هذا الدين على الجادة من الدين يوم كان له من القيمة إمام ورائد وقائد.. إن الجمهور في هذا الدين، وكل إنسان حبله على غاربه، لم يدخل في الحياة بعد ما لم يدخل في إمام يرتضيه.. إن القيادة، والريادة، والرسالة، والإمامة، إنما هي باب الحياة.. {استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}¹.. {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً}²، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}³.

يقوم الرسول قبس نور الله في الناس ويتقلب في الساجدين، فيراه رب العالمين. فأنت لا تعرف الله ولا ينظر إليك الله معروفاً له إلا يوم توحّد ومع الرسول توحّد فيشهد الله الله فيك، وإن الله لا يشهد فيه إلا الله، فهو لا يشهد إلا حقه برسوله، يوم يقوم ويتقلب بالسجود فيك له رباً يشهد، لعبد يشهد، إن الله من الله، لا محل للتفريق بين الله وحقه.. بين الله ورسوله.. بين الرب وعبده.. بين الخالق وخلقه.

إن الفقه في إنسان رسول الله خلقاً وحققاً هو الفقه في الدين، ولا يقوم الفقه في رسول الله إلا في الفقه في النفس، فالفقه في النفس وعن النفس إنما هو فقه في رسول الله، والفقه في رسول الله إنما هو فقه في الله، فكيف تبدأ فقهمك بأن تفقه عن الله؟! أين أنت من لانهايه لمعنى حقه لوجوده؟! وإن كان

الله بحقائقه أقرب إليك من جبل الوريد.. هل فقهت شيئاً عن الرسول حتى تفقه ربه وحتى تفقه عن الله؟ حتى تكون نفسك موضوع إحاطتك وعلمك؟!

إن مفتاح الفقه عن نفسك، أن تصدق من حمل إليك تعريفه لك عنك، إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فتستجيب له، يوم يقول لك ضيق مسالك الشيطان بالجوع والعطش، حتى تغير ما في نفسك، ليغير الله ما بك من أمرك لمراد أمره بك.

إن إيمانك بالله، يكفي فيه أن تعرف ما قيل لك، من أنه أقرب إليك من جبل الوريد، ومعك أينما كنت.. إنك يوم تعرف عن ربك من الله هو له ولك، وهو الكيان الذي هو لك أقرب إليك من جبل الوريد، فإن معرفتك فيه تنتهي إلى أنه إنما هو أنت ولست غيره، وهو ليس غيرك.. وهذا هو معنى الدخول في حصن لا إله إلا الله، ومعنى التوحيد والوحدانية، (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي)٤٤.

ولكن.. والله أغنى الشريكين فيك، فأنت فيك شركاء متشاكسون، معك رحمانه لرحمتك، وفيك شيطانه لامتحانك وابتلائك واختبارك وفتنتك. فشيطانك فيك في عراك دائم مع رحمانك معك. فأنت فيك شركاء متشاكسون، والله أغنى الشريكين، إنه لا يدخل بيتا فيه شركاء متشاكسون، فرحمانك معك لا يدخل بيتا فيه شيطانك مملوك الزمام لتكون مملوك الزمام له بحبك.

ولكنه يدخل بيتا خالصا لله، يوم تكون رجل سلم لرجل، مؤمن بالله ورسوله، سلم لمؤمن لله ورسوله، فإذا رأى الله أنك سلم لرسوله، فأنت سلم له، فإذا رأى الله أنك بيت لرسوله قلبك بيتا له، فدخلك الله بنوره يوم كنت ساحة لرسوله، فاجتمع فيك المؤمن لمعناك، والمؤمن لمعنى الرسول لله، والمؤمن لاسم الله المرسل في المؤمن الأكبر الذي شهد لنفسه أنه لا إله إلا الله.

وهذه هي حقائق الإسلام في تعديده، وحقيقة الإسلام في وحدانيته وتوحيده، هذه هي أقانيم الإسلام، في الله، جاء بها رسول الله، وقامها رسول الله، واجتمعت للرسول في رسول الله، اجتماعا على ربه من الله، قام بها في الأعلى والأكبر والأعز، في الله، فكان الأكبر والأعز للمؤمنين بالله لأنفسهم، ورب رسول الله، ورسول الله لهم، أقانيم وحقائق ثلاثة أو أكثر في وحدانية المطلق لموصوف الله.

نقول إن الإسلام لم يقيم على التعديد.. وقام على التوحيد.. نعم، فقد تنزه الله، عند المسلم عن التعديد وعن الاتحاد وعن التوحيد، ولكن الذي تحقق بالله مسلما، هو من تحقق بالتعديد لنفسه، في أي صورة ما شاء ركه، ومن تحقق بالتوحيد لنفسه، جماع صورته وجماع ما رُكِب، وجماع ما ركب،

وجماع من ركب، فعرف أن علم الإنسان عن الله، ما قام إلا في دائرة علمه عنه لنفسه منه عبدا وربا لقائم حق الله.

إن الإنسان وهو الأمر الوسط في الإسلام، بين أمور الله لا بدء لها، وبين أمور الله لا توقف لجديدها، هو بطرفيه للقديم والقادم لعين قائمه. وبذلك عرف ووجد الله، عرف الله بحقائقه في مطلق الوجود إلهًا بالإنسان لقديمه أزلا، يقوم ربا بقائمه، لعباد لقادمه به حقائق أبدا، إنسانا واحدا، وحقا واحدا، وعبدا واحدا، وإلهًا واحدا بين وجوه الله في مطلقه ولانهايته. فالإنسان رب بين أرباب مكلفين من الأعلى، وعبد بين عباد مكرمين من ربهم في الله، فهذا هو المسلم لله ورسوله، وهذا هو الحق من الله للناس قدوة لهم، وسبيلا ميسرا لاهتدائهم. {...ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا}٤٥.

قل جاء الحق وزهق الباطل، فما كان الحق إلا رسول الله بعلمه عنه لربه من الله، وما كان الباطل إلا رسول الله في جهله عنه بقائمه من التراب، فيوم ذهب جهله عنه، بعث به حقه فيه، وكشف عنه غطاؤه له، فخد بصره، وكشف أمره، فطلب الأعلى رفيقا، وقام مع الأدنى صديقا، وكان لما حمل إليه من اللانهاية صديقا، فتحقق بالله لقائمه، واستزاد من الله لقادمه، وعرف عن الله أنه لا يحز عطاؤه، ولا يتوقف ابتلاؤه.

فعرف أن ابتلاءه الأبدى الأزلي اللانهاية، ملاحق حتى لمن دخل في حضرته، وحتى لمن قام بحقيقته، ما دامت له أنا في المعارج. عرف أن صفات المطلق بالأعلى، لا تتوقف عن الأعمال أبدا وأزلا وقياما، فالتزم حده، فقال (ها أنذا رسول الله بينكم ولا أدري ما يفعل الله بي غدا)٤٦، (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)٤٧. نعم، فقد صدقه ربه، {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا}٤٨، صدقه ربه، {إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}٤٩، ولكن هل فرضت أنت إرادتك على الله؟ كتب ربك على نفسه الرحمة، كتب لأغلبن أنا ورسلي، ولكن لو شاء الله وأبعدك عن حظيرتهم لحضرة ربك، فبمن تتشفع إليه؟ وبمن تستجد عليه؟ إنه المطلق في إرادته.. إنه المطلق في فعله.. إنه المطلق في مشيئته.. إنه المطلق في رحمته.. إنه المطلق في عطائه.. إنه المطلق في بلائه.. إنه المطلق في جزائه.. إنه المطلق في بطشه. إن ربك لك معك إنما هو وجه الله عندك، ورسوله إليك ورحمته بك.

بهذا كله جاءنا دين الإسلام، فكيف نبيح لأنفسنا بعيدا عنه أمورًا، يختل بها ميزان الاستقامة لنا؟ كيف نزعم أننا المصلحين، ونحن لم نصلح؟ كيف نقوم الهادين ونحن لم نهتدي؟ كيف نجلس مجالس المعلمين ونحن لم نتعلم؟ من يكون الدجالون؟! ومن يكون الكذابون؟! ومن يكون المنافقون إذن؟!

هذا ما يليق بنا أن نعرفنا به، ونقدرنا فيه، حتى نستطيع أن نجاهد ونستعيد، ونلجأ، ونغير ما بأنفسنا، حتى يغير الله ما بنا، ويأخذ بنواصينا إلى الخير.

نسأل الله أن يفضحنا لنا، حتى نعرفنا، نسأل الله أن يكشف لنا أمرنا، وأن ينير لنا طريقنا، وأن يهيئ لنا أسباب الرحمة منه، برسول الله.. بحبيب الله.. بخليل الله.. بوجه الله.. بحق الله.. من جعله رحمة للعالمين، وسيدا للرسولين، وقدوة للناس أجمعين، به يقتدون، وله يتابعون، وعنه يعلمون، وإليه إلى الله يسرون، وبه بالله يقومون، ويستعينون، ويستقيمون.

أشهد أنه لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله، وأشهد أنه لا شريك لله، من رسول أو عبد، ولا قيام لله مشاركا، بموصوف رب أو عبد، فالكل له، فالعباد له، والرسل له، والحق له، والمقيدون والمطلقون له، ومعنى التقييد له، ومعنى الإطلاق له، ومعنى الوجود له، ومعنى الغيب له، ومعنى الظهور له.

لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "نَصَرَ اللَّهُ امرأ سَمِعَ مقالتي، فَبَلَّغَهَا، فُرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مِنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فُرَبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ" سورة العنكبوت - ٦٤
- ٢ حديث شريف: "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا." صحيح الترمذي
- ٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ." سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ٤ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.." أخرجه الحكيم الترمذي، والبيهقي، والطبراني، وأبو يعلى.
- ٥ سورة النبأ - ٧٨
- ٦ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.
- ٧ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكفائي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٨ من الحديث الشريف: "إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي" أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٩

- ١٠ سورة فاطر - ١٤
- ١١ سورة الحديد - ٢٨
- ١٢ من قصيدة طويلة للشاعر العربي أبي الأسود الدؤلي، ومنها: لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمًا بدأ بنفسك وانها عن غيا... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمفهنالك يقبل ما وعظت ويقتدى... بالعلم منك وينفع التعليم
- ١٣ إشارة إلى الحديث الشريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: "والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخير." أخرجه النسائي ومسلم.
- ١٤ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك."
- ١٥ سورة هود - ٤٥
- ١٦ سورة هود - ٤٦
- ١٧ سورة الأعراف - ١٧٢
- ١٨ إشارة إلى حديث شريف طويل: "إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولون نعوذُ باللهِ منك هذا مكاننا حتى يَأْتِينَا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عرفناه. ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولون أنت ربُّنا." صحيح البخاري.
- ١٩ عبارة للسيد رافع. يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٠ سورة الإسراء - ٧٩
- ٢١ سورة الضحى - ٥
- ٢٢ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد
- ٢٣ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ التَّبَيِّنِ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.
- ٢٤ سورة الزمر - ٥٣
- ٢٥ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ." أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٢٦ سورة الأنعام - ١٢٢.
- ٢٧ سورة الشعراء - ٢١٩: ٢١٨
- ٢٨ سورة الأنعام - ١٠٣

- ٢٩ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٣٠ سورة الفرقان - ٦٣
- ٣١ من حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طَمَرَيْنِ، تَنَبَّوْا عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٣٢ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي، "السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له".
- ٣٣ سورة الحجرات - ١١
- ٣٤ من صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في "الياقوتة" الصوفية للشيخ محمد بن محمد بن مسعود الفاسي.
- ٣٥ سورة الرعد - ١٧
- ٣٦ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٣٧ سورة يوسف - ١٠٨
- ٣٨ سورة النحل - ٦٠
- ٣٩ سورة مريم - ٩٣
- ٤٠ سورة آل عمران - ٦٤
- ٤١ سورة الأنفال - ٢٤
- ٤٢ سورة الأحزاب - ٣٣
- ٤٣ سورة الأحزاب - ٦
- ٤٤ حديث قدسي رواه الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المحدث العراقي، بإسناد ضعيف، المصدر: تخریج الإحياء للعراقي كما جاء بلفظ: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن (من) عذابي". بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.
- ٤٥ سورة الكهف - ١٧
- ٤٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي ولا بكم". صحيح البخاري.
- ٤٧ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إِنَّ أَتَقَاتُكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا". صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمُ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهْ خَشْيَةً". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٤٨ سورة الإسراء - ٨٦
- ٤٩ سورة الفتح - ١:٢

(٣)

لا يعرف الحب من لم يشهد الحبيب ولا يعرف البعيد من لم يؤمن بالقريب

حديث الجمعة

٢١ شوال ١٣٨٥ هـ - ١١ فبراير ١٩٦٦ م

بسم الله، أشهد أنه لا إله إلا الله.. وبسم رسول الله، أشهد أنه محمد رسول الله.. بهما أحياء، وبعيدا عنهما أفنى.. عنهما أصدر، وبهما أبعث.

أعوذ بالله، وأستغفر الله، وأشهد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله. لا انفصال لنا عنه. ولا موجود لنا بغيره. ولا بُعد بيننا وبينه.

عباد الله..

إن الطريق إلى الله، إنما هي في التطور في الله، إلى قائم اسمه.. وهي تقوم على دعائتين من تقوى الله، بالاستقامة على ما أمر والبعد عما عنه نهى، وعلى التحاب في الله برؤية وجهه في رسول الله، وكوثره بظلاله لقائمه بعينه لوجهه لرائيه، وفي المؤمن بالله ورسوله لأنفسهم.

إن إيمان الإنسان بنفسه لقائمه للرحمن أو للشيطان، إنما هو في لا إله إلا الله، وشهادة أنه لا إله إلا الله.. وإن إيمان الإنسان بالإنسان دخولا في رحمة الله، اقتداء بمرتضى الله، إنما هو في الإيمان برسول الله، بشهادة أنه محمد رسول الله لقائمه وقيومه.

وإن إيمان الإنسان بالله أكبر، في معرفة الأكبر، إنما هو في الإيمان بالعبودية لله، مشهودا في رفيق أكبر، مشهودا في رفيق أعلى، مشهودا في رفيق أقدم، مشهودا في رفيق أقدر، مشهودا في رفيق أقوى، ولا يكون ذلك إلا لمن آمن بأن الإنسان للإنسان، هو الحق من الله في الله، مقدرا لله حق قدره، إيمانا برسول الله، ومتابعة لرسول الله، واتحادا مع رسول الله المتحد مع أعلى فأعلى إلى مسيح مطلقه وروح قدسه، وقد بعث ويبعث لنا بيننا في دوام كلمته لوجوده بجوده.

إن معرفة الإنسان عن نفسه خلقا وحقا، إنما هي في التخلي عنه إلى أعلى لمعنى خالقه.. إنما هي في التخلي عن وعيه إلى قائم وعي معلمه فيه، قائم نفسه.. إنما هي في التخلي عن وجوده، إلى وجود وجه موجد.. إنما هي في التخلي عن أنانيته مغيرا ما بنفسه، إلى أنانية الرفيق الأعلى والرفيق الأكبر قائما برسوله لشهوده.. إنما هي في محوه عنه، إلى من يعتقد، إلى أن يتخلق من فعله بأمانة قيومه لقائه، تخلقاً بأخلاق الأعلى.

ولا يتحقق له محوه عنه، إلى من يعتقد، إلا بمحوه عنه إلى من يحب. ولا يعرف الحب، من لم يشهد الحبيب، ولا يعرف البعيد، من لا يؤمن بالقريب، وكل ذلك لطالبه في قائم العروة الوثقى لا انفصام لها عن المطلوب، ولا بعد لها عن الطالب بعباد الرحمن في الوجود للشهود.

إن الله ورسوله، وجود موجود قبل الوجود.. وإن الله ورسوله، في تواجد بوجود بعد الوجود.. وإن الله ورسوله، قيوم الوجود على قائم الوجود بوجود، في حاضر وقائم الوجود.

إن الذي خلق السماوات والأرض، خلق من قبلها السماوات والأرض، ويخلق من بعدها السماوات والأرض.. إن خالق السماوات والأرض قديما، هو خالق السماوات والأرض قائما، وهو خالق السماوات والأرض قادما، ويخلق السماوات والأرض دائما، ويوسع في خلق السماوات والأرض في قائمها أبدا.

ذلكم هو الهو "لا إلى هو، إلا هو" ولا هو في شهوده، إلا الله في وجوده. إن الإنسان في وجوده في الهو، هو الله في شهوده للإنسان في الهو.. إن الإنسان لله للإنسان لله، هو الهو للهو.. إن الإنسان في الله هو العبد للهو، والرب من الهو، والرسول للهو.. إن الإنسان للهو حقه وعبدته ورسوله للرفيق الأعلى لإنسان للهو حقه وعبدته ورسوله. ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، وإن الله للإنسان في الهو، هو هو.. وهو عبده وحقه ورسوله في دوام.

إن الأمر الوسط.. إن العروة الوثقى.. إن الحق الوسط.. إن ناشئة الليل أشد وطئا وأقوم قيلا. إن له في حجاب النهار سبحا طويلا، وإن له في حجاب الظلام أمرا خطيرا جليلا. يحمل إلى أهله خيرا وفيرا، وعطاء جزيلا، ويخاطب الناس على قدر عقولهم. يخفف لهم جناح الذل من الرحمة، يغفر لهم ويستغفر عنهم، ويتجاوز عن قصور أمرهم، يحمد خيرهم، ويتغاضى عن أخطائهم، ويقوم أمرهم، ويصلح سرهم، ويكشف لهم بالحق عن بيانهم.

إن الإنسان للإنسان، هو الرحمن للرحمن، هو الإحسان للإحسان، هو الحق للحق، هما الحقان، هما العبدان، هما الربان، هما الإلهان، هما الكتابان، هما البيانان للظاهر والباطن لأمر الإنسان. خلقناكم أزواجاً، وحققناكم أزواجاً، وجددناكم أزواجاً، ورفعناكم أزواجاً، ولاقيناكم أزواجاً.

أنتم لله ورسوله، تلاقوه.. وأنتم بالله ورسوله، تقوموه.. وأنتم بالكون ومكونه، تعرفوه.. وأنتم بالوجود ومبدعه، تصيروه.. فأنتم من الله ورسوله.. وبالله ورسوله.. وإلى الله ورسوله.

وهذه هي أقانيم الإسلام.. هذه هي أقانيم الفطرة.. هذه هي حقائق الفطرة.. هذه هي أمور الفطرة.. أمور في مطلق الله، لا يتعدد.. أمور في قائم الله، موجود لا يتواجد.. وقائم لا يتجدد، وواسع لا يتحدد.. أمور في الله، تعالى على القدم قبلاً، وتعالى على البقاء بعداً.. وتعالى على الشرك به كلاً.. وتعالى على الإحاطة به أحداً.. وتعالى على المغيرة له أحداً.. كل ما جال ببالك فهو على خلاف ذلك.

ما عرف الإنسان فيه، إلا نفسه، بلا إله إلا الله.. وما عرف فيه إلا جنسه، بمحمد رسول الله.. وما عرف فيه، إلا قدمه، بالله أكبر.. وما عرف أنه سيعرف، إلا أنه سوف يعرف دائماً عن نفسه، يوم يعرفه اسم الله، وأن الله أكبر، فيعرفه وجه الله في قادمه، لوجه الله به منه في قائمه، على ما كان به فيه في قديمه، وهذه هي أقانيم الفطرة.. وأقانيم الإسلام.

الإنسان.. بين قديمه وقادمه بقائه، عين قيومه بقديمه.. وعين قيومه على قادمه.. لعين قيامه بقائه.. فهو لعين قائمه يقوم لقيومه بالأكثر، وهذا هو التوحيد والتعديد في الإسلام، تعديد الإنسان لنفسه، في مطلق الله، وتوحيد الإنسان لنفسه، من شتاته، في موجود الله.

وهو يوم يصدر مشتتاً من أحديته إلى واحديته، يحاسب نفسه بنفسه.. ويغفر لنفسه بنفسه.. ويقبل نفسه عند نفسه.. كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.. كفى بنفسك اليوم عليك رقيباً.. كفى بنفسك اليوم لك مجيباً.. كفى بنفسك اليوم لك حبيباً.

إنك لن تلاقي يوم تلاقي في الحق، إلا نفسك.. ويوم تحاسب في الحق، لن تُحاسب إلا من نفسك.. ويوم تحيا بالله، في الله، إنه إنما يوم تحيا بالله نفسك بعملك. فهل قدرنا شعار الإسلام بلا إله إلا الله نرفعه أعلاماً، ونزدد كلاماً، ونخاصمه عملاً وقياماً!

إن الإنسان لربه لكونود.. إن الإنسان، كان أكثر شيء جدلاً، وما اختلف الإنسان مع الإنسان، إلا بعد الذي جاءه من العلم بغيا بينه وبين أخيه.. وما جاءه العلم إلا ليرتبط الإنسان بالإنسان، ويتوثق الرباط بين الإنسان والإنسان..

فتتجمع بالإنسان لبنات البنیان، ويوم تتجمع لبناته لبيته يذكر فيه اسم الله، يتجدد خلقه، ويتواجد حقه، وتستقيم طريقه، ويظهر له من الغيب رفيقه، {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون}¹.

يتحدث الإنسان، عن ربه وإلهه، وفيه ربه وإلهه، فيخرج ربه وإلهه من واقعته معه، ومن واقعته به، إلى كلام يردده، وإلى إفك يجده. إن إنكار الإنسان على نفسه من الله، قام قديماً، وهو قائم دائماً، وسيبقى أبداً فيه مسغبته إلا من رحم، وقليل ما هم.

إن الكثرة، إن الأغلبية للشيطان، ولكن الغلبة للرحمن، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، وما النصر إلا من عند الله. فما يكون النصر والغلبة، لأسرة الرحمن؟ وما تكون الأغلبية لأسرة الشيطان؟ إن الأرض كما وصفها كلمة الله.. وأقره إنسان الله.. هذه الدار أول أبواب جهنم، إنها مملكة الفتان.. إنها مملكة الفتنة.. إنها دار الصدع.

هي بدانيها، (عرض زائل، يأكل منه البر والفاجر)²، هي بجيفها عليها، خرجت منها وباعدتها الحياة. هي (جيفة طلابها كلاب)³ .. (قدرة، قدر ما فيها عدا معنى الحياة، عدا ذكر الله، وما والاها)⁴..

إنها الحياة، في أثواب الشيطان.. إنها الرحمة، في جلايب الفتان.. وإن (الآخرة، وعد صادق، يحكم فيها ملك عادل)⁵ هو العقل الثاقب، هو الروح الواجب الوجود، لمن يراه بالروح موجود، وإنه بالنور مشهود، لمن يراه، بذاته، موجود العالم الأكبر، وبمعناه، موجود مولاه، بقائم الحياة له.

{الله لا إله إلا هو الحي القيوم}⁶، أستم أحياء؟ أستم قائلون بالحياة، في سهركم على أبدانكم بها، تجددونها وتغذونها، وتكرمونها، وتحفظونها، وتسترونها، وتكشفونها، وتكسونها؟ أستم قيوم الحياة لها؟ أليس الله قائم الحياة بكم؟ إلى متى يردد الناس اسم الله، بعيداً عن أنفسهم! إلى متى لا يعرف الناس معنى الرب لهم، ومعنى الرب عليهم، ومعنى الرب منهم!

إنهم الأرباب، وإن عليهم لأرباب، وإنه ليتواجد منهم أرباب، فهم أرباب بين أرباب وأرباب، أمرا وسطا لله في الله.

وكذلك جعل الله أمة الفطرة.. أمة الرسول.. أمة الأمر الوسط.. أمة وسطا.. فكانت بأمرها الوسط، خير أمة أخرجت للناس، وكان الرسول، بقائه أمرا وسطا، خير الأمور في الله، فيه أمور لا بدء لها، على عين مثاله، وفيه أمور لا انقضاء ولا انقطاع لها، على عين مثاله.

عرف الحق لنفسه.. وعرف الحق لمن يعلوه.. وعرف الحق لمن هو بالحق يعلوه.. عرف الحق، لمن يعلوه ولمن يسفله، مع عين معرفته للحق، في نفسه ولمن يكفله {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم}.^٧

وهذه أقانيم الحاضر في الإسلام، وأقانيم الحاضر في ذاته، بحقائقه، وأقانيه بوحده، مع قديم مثاله، وقادم عينه وحاله.

يقولون إن الإسلام لا يعرف الأقانيم ولا يعرف تعديد الحقائق، ولا يعرف التعديد للوحدانية لله، لأنه دين التوحيد، وكيف تدخل إلى التوحيد، إلا من باب التعديد؟ كيف تدخل إلى حضرة الخالق، ولم تطرق بابه كمخلوق؟ أنت بموصوف المخلوق تطلب الاجتماع على الخالق، في حال من التعديد، ولست في حال من التوحيد، وإنك يوم تقتل معنك بموصوف الخالق، تبعث بمعناه بموصوف الحق، وبذلك يقوم التوحيد.

فالتوحيد، فعل لا قول، وحالة لا مقالة، يوم يحل الإنسان بخلقه، في خالقه بحقه. إن الحلول لا يكون لله في خلقه، ولكن الحلول يكون للخلق في خالقه، وللخلق في محققه. لقد كفر الذين قالوا إن الله حل في المسيح بن مريم، لقد كفر الذين قالوا إن الله هو عيسى بن مريم، هو المسيح، عيسى بن مريم، وما كفر الذين قالوا إن عيسى بن مريم حل في الله، فمسح عنه في الله، فقام كلمة لله، واسما لله، ووجهها لله، وبيتا لله، وهيكل الله، وحقا لله من حقائق.

إن المسلمين كان عليهم أن يعرفوا ذلك لعيسى، ولآل الرسول، ضرب ابن مريم مثلاً لآلك، فإذا قومك عنه يصدون، وفي الوقت نفسه جعلوا ذلك ونسبوه إلى طغاتهم، إلى من ارتضوهم لسيادتهم وحكمهم لا لمثالياتهم، بقائم مثلهم بكوثر، {وقالوا ءألهتنا خير أم هو}.^٨

يا أيها الناس، (لا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله)^٩. إن الله المثل الأعلى بعباده، في السماوات والأرض، فما كان عيسى، إلا مثلاً أعلى يُرتضى ويُحتذى، {إن هو إلا عبد، أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبيي إسرائيل}.^{١٠}

وعممنا ما خصصنا به بني إسرائيل، يوم أبرزنا من جعلناه كافة للناس قدوة وأسوة رحمة للعالمين.. وحقا للمكرمين يقوم ويتقلب في الساجدين، مشهودا من رب العالمين رحمة مهداة، للتوايين والرجاعين.. هدية الله للمستغفرين، وجه الله للمكبرين، حوض الحياة للمتقين.. نور الحياة للراغبين.. نور السماوات والأرض للمتطورين.. بأخلاق الخالق متخلقين.. بقائم الحياة متحققين.. برجل الساعة ومالك يوم الدين.. بوجه الله ورب العالمين.

فكلما أخذنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك شهيدا على الشاهدين، أشرقت الأرض للقلوب بنور ربها للعارفين، وأنزل الكتاب للتالين، وعمل قلم القدرة في يد الكاتبين، لصحائفهم ناشرين بمن يصطفون من فطريين. كل مولود يولد على الفطرة، وفي عالمكم يسبح في ملك رب العالمين، يوم يدخل في عبد من عباد الله، نفسا، ساكنة، مطمئنة، راضية، فيدخل من باب الوجود المقيد، إلى ساحة الله بالوجود المطلق، عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

قل جاء الحق، بجيئي.. قل بُعثت بالحق، على ما تشهدون، وأزهق الباطل مني، على ما كان بي، هو بكم كما تعرفون، {يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}، وقد أحياء الله بينكم، وغير معلمه التي عرفت لكم.

هل هذا الذي تشهدون، بعد أن نُفخ في أسوار مادته، وهيكلكم بيته، من نور الله وروح الله، أوحى إليه، هو من عرفتم من قبل، مزحزا عن جاهليته إلى إسلامه لمن علم، إلى المعروف له، والذي تذكرون ولا تعرفون معيته لكم؟ فهو يحدثكم به مبعوثا بالحق قدوة به. ما كان يدري ما الكتاب. وما كان يدري ما الإيمان، ولكن سلوه الآن ما شئتم، إنه يدري كل ما يمكن لكم أن تدرؤه معه من العلم النافع.

إنه يعلم عن خلق السماوات والأرض وعن خلق نفسه.. إنه يعرف نفسه، وقد أشهده الأعلى خلق نفسه، فإذا هو الكتاب، في قائمه بالحجاب.. فإذا هو الوجود، في قائمه بالموجد، عرف الموجد لمعناه، لمعنى روحه، لمعنى الحياة له، وعرف الوجود لمبناه، لنفسه، تخلى عنها، طالبا لمولاه، وعاد إليها، سيذا بمولاه، فملكها وسادها، واستوى بمعناه على عرش وجوده بها فكان شاهده وموجوده لمشهوده. عرفه محدثا لقديم، لقائم موجد بموجوده، فعرفه في الأعلى لمطلقه، عبده ومعبوده، إلهه وموجوده، إلهه وجوده، إلهه ووجوده.

أظهره على الدين كله، فكان الدين كله.. وعلمه الأسماء كلها، فكان الأسماء كلها.. فكان اسم الله الجامع لأسمائه، ووجود الله الموجود بآلائه.. وحق الله الظاهر بحقائقه.. وعبد الله لسيادة مطلقة.. وعتيق الله، لمقيدات وجوده، في ساحة موجوده، لأمر موجد.

فكان لا إله إلا الله، والله أكبر.. وكان إنسان الله في أزله، ورسول الله في أبده.. وآدم الله بحمده لوجوده.. وعبد الله بحقه.. ورسول الله بكتابه.. كان الغيب والشهادة للإنسان لله.. كان العبد والعبادة.. كان الإحسان والإجادة.. كان الإتيان والزيادة.. كان الإيمان والمعرفة.. كان كل شيء لنا، ممن هو كل شيء لنا، وكان كل شيء له، لمن كان شيئا له.

كان الحلقة الوسطى، في سلسلة الحياة، لا انقطاع لها، دائرة لا بدء لها.. حلقة، لا مركز لها.. ومركزا لا دائرة له، كان كل معاني الحق، يوم نلقاه بالحق في أنفسنا، بحقه لنا، قائم قيامنا، وقيوم قائمه بنا من قيوم قيامه علينا لقاؤه قيومه للأعلى رحمة مهداة إلينا.

كان الكتاب كله.. كان الإنسان كله.. كان الحق كله.. كان الوجود كله.. كان لنا النور كله.. هل عرفناه؟ نقول إنا عرفناه، وذكرناه، وفي الكتب دوناه، وبالسيرة رددناه! كما دونا سير خوفونا وبليونا وبسمرنا، والطغاة!

فهل نحن بالصلاة عليه صلة به جددناه، أم أنا عن أنفسنا أبعدناه! وختم الرحمة أغلقناه.. وباب الرحمة جانبناه، وأحواض الحياة ما وردناه.. وماء الحياة ما سقيناه.. ونور الحياة ما تعرضناه، فأسربناه، يوم فتحنا قلوبنا وصدورنا له ولنوره فتحا لها لمولاه، بيتا لمن ذكره لنا، باسم مولاه، وما كان لنا غير المذكور منا ومن عناه، فهلا لأنفسنا قبلناه، وفي الله أكبرناه، وبمجاهداتنا قاربناه، فبالرحمة قاربنا لمعناه.

إنه دين الله.. إنه حق الله.. إنه طريق الله.. إنه وجه الله.. إنه الحياة.. إنه من الله اسمه ومعناه.. دانانا منه بالحق وجهها للوجود بهيكله ومبناه، روحا تجسد ذاتا لأقدس، وقبله للصلاة، فهياكل للوجود مثلناه، فهلا حقائق جددناه وبعثناه وهو الكوثر لنا ولكسبنا من رحمة الله، يوم اتحدت اهتزازات قلوبنا، مع اهتزازات قلبه ذكرا ووجدا لمولاه، وقد عرفناه وجهها لله لوجوه الله، فشهدنا وشهدناه، فطالعنا وطالعناه، وعرفنا وعرفناه، وجهها لوجه في الله.

ذلكم هو الحي في قبره دفناه، وما من القبر أخرجناه، يوم بعثناه وكناه، فجددنا به بنا رسالة الله، وكتاب الله، وذكر الله لذكره بالصلاة، ولا اسمه باسم الله أكبرنا الله، فكبرنا في الله، فصرنا أسماء الله فعنونه، والاسم الأعظم دعونه، والرفيق الأعلى طلبناه.

نقول إننا على دين مولانا رسول الله، وما جعلناه مولانا في دين، ولا في دنيا وليناه وهو ما رفض، وقد خفض لنا جناح الذل من الرحمة أن نكون في الله بالله مولاه. فهلا أدركنا من توليناه فكنا له دعاة بمن تولانا ورعانا من كلمات الله، فقمنا وأقنا كلمات الله، وجاهدنا لإعلاء كلمة الله.

وهل أعلينا نحن في أنفسنا على أنفسنا كلمة الله، فكسبنا لأنفسنا كلمة الله؟ وهل رضينا لأنفسنا وتعشقنا الأعلى لكلمة الله لننمو بكلمة الله؟ وهل سعينا يوم سعدنا بكلمة الله لنشر كلمة الله في كلمات الله بخلق الله، فحججنا بجمعنا إلى بيوت الله، وتصادنا بيوتا لله، حيثما كانت كان الله، وكلما سُمعت سُمع الله، وكلما عُرِف عُرِف الله، وكلما استقام أمر محبها استقام الأمر لله؟

{ن والقلم وما يسطرون} ١٢.. (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان) ١٣، فهل حديث الرسول قبلناه؟ وهل فقهناء؟ فهل رضيينا الرسول اسما لله ووجهها لله؟ وهل رضيينا المؤمنين بالله ورسوله كوثرًا له بحقه في مولاه، وجوه الله لنا لوجوه الله بنا فتكشفت لنا وحدانية الله بلا إله إلا الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله يوم نقوم في عزة الله؟

إن الربوبية في الله، ربوبية مصطفاة مرتضاه، وربوبية قهرية عالية لا تُعلى، ولا تدانى، ولكن لها إرادتها، بصفات الله.. بأسماء الله. لقد جعل الله الرسول ربوبية الرضا لمن يرضاه، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} ١٤.. {ولله المثل الأعلى} ١٥ في السماوات والأرض، وما كان المثل الأعلى لله في السماوات والأرض إلا الرسول لله لا يتعدد معناه وإن تكاثر مبناه، تجمع به بمبانيه لكوثره، روح قدس الله لمعانيه ومخبره، ظاهرة لمعنى رسول الله، كلمات لله.

إن الله جل شأنه عز على المثل والمثيل، هو أحد واحد في معناه لغيبه وشهادته. وإن الرسول له، متخلقا بخلقه، قائم حقه، عز بمعناه على الشريك والمثيل في أمره لمولاه. فهو رسول الله، وما كانت الذات المحمدية إلا وجهها من وجوه رسول الله في الله.. وكلمة من كلمات الله في روح قدس الله.. إن رسول الله بهذا المعنى، معنى لا يشارك.. ولكن المتعدد في الله ورسوله، إنما هي كلمات الله، وهي متفاوتة على خط التطور، وإنسانية الرشاد لله غايتها ونهايتها.

إن الذات المحمدية التي شهدت.. إنما هي مثالية لكم، أعطيتم لتكونوها فما قبلتم، إنها مثالية تكسب، جعلها الله قدوة للكافة، وما أرسلناك إلا كافة للناس، قدوة وأسوة هي لهم ما كانوا هم لها، ولكن الناس امتنعوها على أنفسهم، فخرموها، إلا من رحم الله، فشده محمدًا رسول الله، (لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين) ١٦. إنه يعني أنه أصبح ورسول الله قيامًا واحدًا، وأنه عن إدراك ذلك لا يحيد ولا يتحول، وأنه هكذا يكون المؤمنون برسول الله حقًا لهم من الله، وأنه الحق المتكاثر في ثابع بالمسلم للمسلم إلى يوم الدين، يتجدد به للناس أول العابدين مرة أخرى بانشقاق الأرض عنه، بدءا بعد بدء، وقد استوفى بدء البدء المعلوم أجله وبلغ الهدى محله.

إننا في هذا العصر، تتجدد بيننا رسالة الإسلام.. تتجدد لنا رسالة الفطرة.. تتجدد لنا رسالة السماء.. تتجدد لنا رسالة الوحي.. تتجدد لنا رسالة المكاملة.. تتجدد لنا رسالة المندامة.. تتجدد لنا رسالة الأُنس بالله، (أَيُّتْ يَظْعَمْنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي) ١٧.. تتجدد لنا رسالة الفطرة، برسالة الروح.

ها نحن الآن في عصرنا نشهد دورة لآدم وبنيه، يتجلى بهم الحق، وينفخ الله من روحه في هياكلهم.. ها هي أنوار الله تشرق على أراضى الله في القلوب.. ها هو ملكوت الله يقوم في الناس بين الصدور..

ها هو الله يقوم على كل نفس بما كسبت.. ها هو الحق أبلج والباطل لجليج.. ها هي قوى الكون ظهير الإنسان، وها هو الإنسان، يتواجد وجه ظهيره، وقدرة مظاهره.

إن أرضكم نتعرض في هذا الزمان وفي قريب وعاجل من الأيام، لإرهاصات الله.. لإرهاصات الرسالة.. لإرهاصات الحق.. لإرهاصات تجديد دين الله.. ها أنتم ترون الأحداث، وتسمعون عنها أو تقرأون منها، ولا تلتفتون إلى ما فيها.

ستتزايد هذه الأحداث، وسيتسع هذا الأمر، حتى يضج الناس بأمرهم، حتى يتساءل الناس بينهم بكفرهم وشركهم.

إنها ساعة من ساعات الله.. إنها قيامة من قيامات الله.. إنها ساعة من ساعات الإنسان.. إنها قيامة من قيامات الإنسان.. إنها قيامة الجزاء للقديم، وقيامة الوفاء للمستديم.. إنها بدايات الحياة للمنظرين.. وإنها نهايات الحياة للموعودين.

إنها الزحزحة عن النار.. إنها الإدخال إلى الجنة.. إنها الفوز العظيم.. إنها الحكمة وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.. إنها علم الساعة، وعلم الساعة.. إنها رسالة الروح يقوم لرب العالمين، إنها الفطرة التي ينكرها الناس دون تجربة، ودون إدراك، ودون قراءة، ودون سؤال ودراسة، ودون طرق لأبوابها، ودون علم بما عندهم في كتبهم. ها هو الروح يقوم لرب العالمين.. هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة؟ ها هي الملائكة تأتيهم، فهل يستقبلون؟ أو يأتي ربك فهل يتهيئون؟

ماذا يكون أمركم أيها المكذبون، يوم يأتي ربه، يوم يبعث بالمقام المحمود، لقائم ربه، يقوم أمره؟ ماذا أدرك الناس عن الحق جاءهم؟ ماذا عرفوا عن أول الحشر لهم؟ هل استجابوا إلى الرسول بلغهم؟ هل اتقوا من هو معهم وقد أوعدهم؟ هل طمعوا في كسبه لأنفسهم وقد وعدهم، وقد بشرهم؟ هل استقاموا وقد ذكرهم؟ هل تحققوا به وقد قامهم، أم أنهم أنكروا على كل من قامه بينهم وقد سالمهم، فخاصموا كل من سالمهم به، وسالموا كل من خاصمهم عليه؟

إن يوم الفصل كان ميقاتا للطاغين مآبا، لاثنين فيه أحقابا، حتى يداول الله الأيام بين الناس، وينصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة. إننا نوشك أن نشهد الآن بدءا ليوم من أيام الفصل، على ما شهد يوم بعث الرسول بالحق، يوما للفصل في أمر النبيين إلى آدم من قبله. وإنا لنشهد اليوم يوما، هو يوم للفصل، في أمر النبيين من بعده.. إنها النبوة.. إنها الولاية.. إنها الحقيقة.. إنها العبادة.. إنها العبودية.. إنها الحياة.. يوم تعينا الحياة فنغنى بالحياة.. إنها البداية للحياة.. وإنها عين النهاية لتتام الكسب للحياة.

إنه لا إله إلا الله.. وإنه لرسول الله.. وإنه لمحمد الله.. لآدم الله.. إنه الإنسان أولاً.. وإنه الإنسان آخراً.. وإنه الإنسان كوثرًا.. إنه الإنسان ظاهراً ومظهراً.. وإنه الإنسان معنى ومخبراً.. إنه الإنسان حقاً.. وإنه الإنسان خلقاً.. وإنه الإنسان حقاً وخلقاً.

اللهم الطف بنا فيما قضيت.. اللهم لا تمنعنا النور الذي أنزلت.. اللهم أوفر قسطنا من النور الذي نشرت.. اللهم ارزقنا الحياة، وضاعف لنا الحياة، ولا تفقدنا بغفلتنا ما منحت من أمانة الحياة.. اللهم أحیی موات قلوبنا وأبداننا.. اللهم حرر أرواحنا من سجونها، وحرر عقولنا من سجينها.. اللهم قَوِّم جوارحنا.. اللهم ابعثنا في أوقاتنا، بعثاً بعد بعث.. واحشرنا في أذكارتنا ذكرًا بعد ذكر.

اللهم أدخلنا الطريقة، واكشف لنا عن الحقيقة.. اللهم يسر لنا الأمور، وأوفر لنا حظنا من الجزاء والأجر، واغفر لنا الذنوب، واستر منا العيوب، وفرج لنا الكروب.

اللهم تولنا بعنايتك ورعايتك، حكماً ومحكوماً، رواداً ومرودين، مجاهدين وغافلين، مذنبين ومتقين.. اللهم حقق لنا ما من أجله خلقتنا، وعبدنا لك، عباداً صالحين.. اللهم احشرنا في زمرة المساكين، وأحيينا فيك بين المساكين مساكين.

اللهم قنا شرور الطغاة والطغيان والطاغين، وما كان من حزبهم من التابعين.

اللهم قنا شر طغيان أنفسنا، وطغيان النفوس بالطاغوت للطاغين.

اللهم أعل كلمة الحق فينا، وأعل كلمة الحق بنا، وأعل كلمة الحق بالعالمين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة يوسف - ٨٧
- ٢ من الحديث الشريف: "يا أيها الناس! إن الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرُّ والفاجرُ، وإنَّ الآخرةَ وعدٌ صادقٌ، يحكم فيها ملكٌ عادلٌ قادرٌ، يحق فيها الحقُّ، ويبطلُ الباطلُ، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنَّ كلَّ أمٍّ يتبعها ولدها". أخرجه الطبراني، وابن عدي، وأبو نعيم جميعاً بلفظه، والبيهقي مختصراً.
- ٣ حديث شريف ذات صلة، ذكره السيوطي. وأخرج الديلمي عن علي مرفوعاً: أوحى الله إلى داود: يا داود، مثل الدنيا كمثل جيفة جمعت عليها الكلاب يجرونها، أفتحب أن تكون مثلهم فتجرها معهم؟" أيضاً: "قال علي بن أبي طالب الدنيا جيفة، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب." المصدر: الموضوعات للصغاني. وعند أبي نعيم عن يوسف ابن أسباط.

- ٤ حديث شريف ذات صلة: "إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالَمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ". رواه الترمذي وابن ماجه..
- ٥ من الحديث الشريف: "يا أيها الناس! إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ قَادِرٌ، يَحَقُّ فِيهَا الْحَقُّ، وَيَبْطُلُ الْبَاطِلُ، كُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ كُلَّ أُمَّ يَتَّبِعُهَا وَلَدُهَا". أخرجه الطبراني، وابن عدي، وأبو نعيم جميعا بلفظه، والبيهقي مختصرا.
- ٦ سورة آل عمران - ٢ ، سورة البقرة - ٢٥٥
- ٧ سورة الأحزاب - ٦
- ٨ سورة الزخرف - ٥٨
- ٩ استلهاما من { لَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } - سورة آل عمران - ٦٤
- ١٠ سورة الزخرف - ٥٩
- ١١ سورة الأنفال - ٢٤
- ١٢ سورة القلم - ١
- ١٣ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان تكليفة لله.
- ١٤ سورة آل عمران - ٦٤
- ١٥ سورة النحل - ٦٠
- ١٦ عبارة صوفية ذكر البعض أنها لسيدنا أبي الحسن الشاذلي، وقال بعض آخر أنها لسيدنا المرسى أبي العباس.
- ١٧ حديث شريف ذات صلة: "إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِيَّا لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِيَّا أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي". أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.

(٤)

العبودية لله غاية

والعبودية لله نهاية

العبد لله، السماوات والأرض معناه لمبناه

نفسا لله، لنفسه ارتضاه، فوجها له تجلاه، واسما له عناه

حديث الجمعة

٥ ذو القعدة ١٣٨٥ هـ - ٢٥ فبراير ١٩٦٦ م

الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله لا شريك له.

ولا إله إلا الله، لا موجود بحق سواه. والله أكبر، على كل من طغى وتكبر.

بسم الله نقوم.. وبسم الله نحيا.. وبسم الله نعمل.. وبسم الله نتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر.. وبسم الله ندعو إلى السلام، وإلى دار السلام، بقيام السلام في أنفسنا، وفي قلوبنا، ومن حولنا.

عباد الله:

اتقوا الله، لتكونوا عبادا لله.. إن العبودية لله غاية، وإن العبودية لله نهاية.. إن العبودية لله، بدايتها الخلقية لله، فأنتم خلق الله، لمراده بكم أن تكونوا عبادا لله.. وإرادته بكم أن تكونوا أسماء لله.. قائمة، دائمة، أزلية، أبدية، فهل رضيتم أنتم خلق الله، أن نتواجدوا باسم الله، بذكر الله، بتقوى الله، بروية الله، بلا إله إلا الله؟

هو قائم وجودكم، وحياتكم لشهودكم.. لا تأخذه سنة ولا نوم في قلوبكم، ولا يترككم لحيوانكم بإيقاظه لعقولكم، ولا يتخلى عنكم بعمله، بجذوة الحياة لنفوسكم، فأنتم بنفوسكم لا إله إلا الله، وأنتم بعقولكم لا إله إلا الله، وأنتم بقلوبكم لا إله إلا الله، وأنتم بأرواحكم لا شريك له.

فأنتم لا إله إلا الله، بجماعكم، يوم تحرصون على معاني الحياة. أنتم تحملون أمانة الله، بقائم الحياة لكم، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله. إن أبعاضكم بالنفس والقلب والروح والعقل، تجمعها الحياة.

فلا تربوا النفس على العقل، فتعكسون أوضاع الحياة، ولا تغفلوا القلب، مُدداً، للنفس والعقل بالقدرة والطاقة فتعطلوا نمو الحياة، ولا تغفلوا العقل مُدداً للنفس والقلب فتعطلوا استقامة الحياة بالإدراك والعلم، متجدداً، نامياً فياضاً منتشراً.

ولا تغفلوا عن حاضر الله لكم لا تأخذه سنة ولا نوم، في بيته بقلوب لا تأخذها سنة ولا نوم، اذكروا الله معيتكم، وجاهدوا معانيكم ومبانيكم أن تكون معيته. إن الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد، لا ينكر ولا يجحد ولا يكفر.

إنه الحياة، وأنتم بالحياة، تقومون، وتريدون، وتعملون، وتخلقون.. أنتم بالحياة معنى الخالق.. وأنتم بالهيكل معنى المخلوق، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله، اعلوها أن وصف العبد لكم ووصف الرب لكم، في موصوف الله معيتكم، بمعاني الحياة، فلا تحقروا أنفسكم، ولا تظاهروا عقولكم، ولا تغفلوا عن الافتقار للحياة، في بيتها من قلوبكم.

{إن الذين تدعون من دون الله، لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضَعَف الطالب والمطلوب} ١.. (لو كانت الدنيا تساوي عند الله، جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها جرة ماء) ٢.. إن الجدير بالتقدير، والتقدير، والإدراك، إنما هو معاني الحياة فيكم، إنما هي الحياة. إن ما نسميه الدنيا، في قائمها لكم، إنما هو مادي وجودكم بالهيكل، إن الدنيا ليست المدن، والطرق، والمباني، والمزارع، والأموال. إن الدنيا إنما هي ذواتكم، يوم تحرصون عليها فتتضاءلون، في قائمكم بالروح بقائكم بمادي الحياة.

إن حرصكم على الحياة، وتتميتها، وتطوير دنياكم بذواتكم بها، هو حرصكم على الله. الله هو لكم.. أنتم له الأسماء، وأنتم به الوجوه له، وأنتم بنعمائه العوالم.. وأنتم بكسبكم له الحضرات.

إن الذي تسمونه الله وملائكته، إنما هو أنتم في اجتماع قلوبكم، على قلب رجل منكم، صدق قلبه، وصدق لكم من الله به وعده، لو اجتمع إنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم، وأعطى المطلق، وأعطى اللانهائي، وأعطى الله، وأعطى الأعلى، كلا منكم مسألته، ما طرأ على الوجود طارئ، وما نقص شيء من ملك المالك.

وما كانت مسألته، إلا أن يكون في حال مثله ارتضاه، وجه ربه له عناه، ووجهاً لله رآه، وحقا من المطلق داناه، فكان بالرحمة من الله متوليا متوليه، مقيما له فيه، قائما به بمعانيه، نور الله، جعل له، سرى به في مرتضيه، فكان عينه لمعاني الله وعانيه.

آمن بالله ورسوله.. آمن بالإنسان والأعلى للإنسان من الله بالإنسان، وطلب معنى الإنسان لمعناه، بقائه بمبناه، لمعنى دنياه، فتولاه، مَنْ مِنَ المطلق تولاه، فوالاه، وقامه لمعناه، فكان عبدا لله، وعبدا لعباد الله.

من يكون عبد الله؟ وكيف يكون عبد الله؟ وما مداه؟! ومن مولاه؟! وأي معنى في الوجود معناه؟! وما مبناه؟!

هو عبد ارتضاه مذكور الله، لمعنى عبده ووجهه واسمه ومعناه، ارتضاه لنفسه من لم تسعه السماء والأرض، فبحقه عبدا لله، طوى السماوات والأرض لمعنى مبناه، وظهوره بجلاه.

قام غيبا على السماوات والأرض، إلا لمن ارتضاه، ورضى لنفسه أن يكون عبدا لعبد الله، تقديرا لله، وإكبارا لله، وفهما في الله، وفهما عن الله، وإيمانا بالله، في قيام بالله.

إن الذي خلق الإنسان لنفسه، فارتضت نفسه أن يكون لله، فأصلحه الله لنفسه، يوم غيّر ما بنفسه من جفوة مع الله، فغيّر الله ما به إلى اسم الله، نفسا لله.. ما تكون الأشياء مع من كان لله عبدا.. مع من كان لله نفسا.. مع من كان لله وجهها.. مع من كان لله اسما.

هل عرفنا عباد الله، يمشون على الأرض هونا؟ هل طلبنا عباد الله، أخفاهم الله في خلق الله، روح الحياة، وحقائق الحياة، وأحواض الحياة؟ هل عرفناهم يد الله، لطالب الخلاص من نفسه زلت به في طريق الحياة، فخدعته دناءه، فانحط عن معناه، وسقط في هاوية مبناه، ولم يحرص على قيومه لقائه في مولاه؟

اختار العدم، بلا مبالاة، ولم يركب سفن النجاة، ولم يتخذ له دليلا في هذه الفلاة، فضل الطريق إلى واحة الخلاص والنجاة، يعرفها لسكينته وسكنه يوم يدخل في عبد من عباد الله جنة مأواه. {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}³، يتامى يعودون إلى بيوت الآباء فيها يمرحون.

إن إحسان الظن بالناس، لا خطر فيه، ولا ضير منه، ولكن إساءة الظن بالناس، فيه كل الخطر، وفيه كل السوء. إن المؤمن، ينشد الحق في الناس، ويطلب الله في الناس، ويعبد الله في الناس. إن المؤمن غرّ يُخدع، ولا ضرر عليه أن يُخدع، ولا يحط من قدره أن يكون غرّا. (من مأمنه يؤتى الخذر)⁴.. {إن الله يدافع عن الذين آمنوا}⁵.

إن الذي يحكم على الناس بالسوء، ويقدرهم بالسوء، لن يجد له من الناس، ولن يرى بينهم من يكون له حوض حياة، ولا مفازة نجاة، (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه)^٦.

إن الله أعطانا عقلاً.. وأعطانا قلباً.. وأعطانا نفساً، وجعلنا فيه وراء ذلك كله، يوم نكون عباداً لله، يوم ننشد أن نكون عباداً لله، يوم نحث عن عبد الله، بين خلق الله. ويوم نرى الناس عبداً لله، نجتمع على وجه الله بعبد الله، قيام خلق الله.

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}^٧. من رأى رسول الله بحكمة الله في الناس، هداه السبيل، وجمعه على الدليل، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني}^٨.

فهل قام فقهنا؟ وهل تواصلنا بيننا بالحق، طلباً لوجه الحق، وجهاً ناضراً، وجهاً مشرقاً؟ إن الوجوه التي عليها غبرة، ما زالت موصوف الوجه له، وما زالت مبرزة، بحكمة منه، وما زالت تدل على حقيقة له، في نقيض صفاته لقيامها برحمته. إن السلام في مجانبتها وصفاتها. وإن المجاهدة في مباعدها، والبعد عن مساندتها، وإن الرحمة في الانتفاع بالتأمل فيها لرؤية قائمها في النفس، وفي ذلك كله سليم المجاهدة، وهذا هو التخلص من المعاندة.

ولو جاهدنا، وفي جهادنا أمرنا سددنا، واعتزلنا بنا كل ما من دون الله، طلباً لكل ما من الله فينا، لعرفنا أن الدنيا، لمآل أجسادنا، جيفة، قدرة حقيقة، قدر ما فيها، عدا ذكر الله، وما والاها.

ولو عرفنا أن طلابها عبادها، وأن عبادها كلابها، وأن ساداتها المتخلصون عنها، المتبرئون منها، لهدانا الله سواء السبيل، وجمعنا على الدليل، ولكشف عنا أغظيتنا، وتجلي لنا فينا منا، وتحدث إلينا بنا عنا، (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)^٩. لهم قلوب لا يسمعون بها، لا يتكلمون بها، لا يبصرون بها، لا ينتفعون بها.

لهم قلوب لا يدخلونها، ولو دخلوها، لسبحوا في دارهم من السماوات والأرض، أعدت لهم متقين، وحرمت عليهم غافلين، وما حرّمها عليهم مبدعها لهم. (خلقت كل شيء من أجلك فلا تتعب)^{١٠}، ولكن حرّموها هم بفعلهم على أنفسهم، لأنهم جافوا من خلقهم من أجله، جافوا من طلبهم إلى الجد في أمر أنفسهم، خالفوا من نهاهم عن الاستهتار بأمرهم، أمرهم أن لا يفرطوا في أمرهم، هم لله أمره، هم لله شأنه، هم لله وجوده، هم لله شهوده.

هل عبدوا أنفسهم لله على ما أرادهم لنفسه، فلم يجدوه، وفي أنفسهم لم يلاقوه؟ إنهم خاصموا كل من عرفه في نفسه، فأرادهم لهم في أنفسهم، فوصموه متألهاء عليهم متفسقا عن أمر الله إليهم، وهو ما تأله، وهو الإله، وألهوا هم بفعلهم وبجهلهم وغفلتهم، من عليهم بشيطانه تأله...

فسجدوا للشيطان، مجنّدين له، خادعا لهم، وقاموا في وجه الرحمن، مخاصمين له، وهو بينهم، من أنفسهم، موصوف عبده، وقائم رسوله، وقيام رسالته، ودائم أمره، وأزلي وأبدي سعيه، وباب رضائه، وساحة رضوانه، ويد إحسانه، قائم علمه، وحق معلومه.

ماذا تفقّه الناس في أمر عبد الله، ففقهوا عن الله لهم؟؟!! يذكرون الله لفظا تلوكة ألسنتهم، لا تخشع له قلوبهم، ولا تقشعر منه جلودهم، يسوفونه لقيامه، ويسوفون قيامتهم في قائمه، ويسوفون علمهم عن معلومه، ثم هم الموحدون! هم المؤمنون! ولا وحدانية بينهم، ولا تآلف لقلوبهم، ولا اجتماع لهم على ذكره، ولا قائم لهم بحقه، ولا إدراك لهم لروحه، ولا إيمان لهم بسبوحه. سبحانهم.. يوم هو عندهم سبحانه، ما أعظم شأنهم.. يوم هو عندهم العظيم، ما أحقهم وما أقدسهم.. يوم هو عندهم الحق في أنفسهم.

الناس هم الناس دائما، وتدافعهم هو تدافعهم دائما، فإن تدافعوا على الحق صادقين، انتهى الصراع إلى المحبة، بالحق مؤمنين. إن تدافعوا على الحق، انتهى التدافع إلى الوحدة للحق، ما من محبة إلا بعد عدااء. (ما شاد هذا الدين مُشاد إلا غلبه) ١١.

ولكن كيف تكون المحبة بعد العدااء! إنها يوم يكون العدااء على من يجب عند المتعادين عليه، يوم يكون الصراع على الله.. يوم يكون الصراع على الحق.. يوم تكون الحمية للحق.. يوم تكون الحمية لله عند المتصارعين عليه.

ولكن الصراع على الدنيا لا ينتهي إلى حب، مهما تآلف الفريقان على الدنيا، ممن كانوا عليها من المتصارعين أو المتوافقين.. إن المتحابين على الدنيا ينتهون إلى فراق، وإلى تباغض، وإلى تصارع عليها، مهما تآلفوا لكسبها كسبا مشتركا لجمعهم.

إن المتصارعين على الدنيا في جمع أمام جمع وإن غلبوا، فهم المنهزمون فسيرتد عليهم المنهزمون يوما، على الدنيا يتجمعون كما تجمعوا، ولها يدبرون كما دبّروا، وأيدي كاسيها عنها يزحزون، وقد تفرق جمعهم تزاخما عليها، فعن وحدتهم عليها يتراخون. هذا شأنها، يوم ربجوها وكسبوها، فأكتهم يوم تنازعوها، وفرقتهم يوم غنموها. هم مع غيرهم، بتنازعهم عليها مرة وأخرى في دائرة مفرغة يدورون، وللسلام يفقدون، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى.

إن القلوب لا تتجمع على الدنيا. ولكن النفوس هي التي تتجمع على الدنيا. إن المتجمعين على الدنيا، لن يخلقوا لهم جديدا من دنيا، ولن تخلقهم الدنيا، فهم عبيد الدنيا وليسوا مجدديةا، وليسوا خالقيةا، والدنيا يوم استعبدتهم، استهلكتهم وما خلقتهم، ولا جددتهم.

إن الحياة، هي التي تجدد نفسها، وترزق الدنيا رزقها لعباد لها، وترزق الآخرة رزقها بعباد لها، وما كان عباد الدنيا أو عباد الآخرة، عبادا لله.

إن العباد لله من اتحدت قلوبهم على ذكره، فانفتحت وتواءمت أمورهم على أمره، فقاموا بسرّه وجهه، فكانوا غيوب أنفسهم، وظاهر غيوبهم، كانوا عباد الله في ظاهره بمبانيهم، لحقائقهم بمعانيهم، لقيوم ربوبيتهم، لقائم عبوديتهم لعين وجهه بهم لهم فيهم...

سادت وقد تحررت أرواحهم، وانتصرت وقد نارت عقولهم، ورفعت راية السلام، يوم اشتعلت بجزوة الحياة نفوسهم، فبعثوا بالوجود لذواتهم، وجودا متطورا ناميا لأراضيهم وسماواتهم، أدركوا كيف بدأوا من علق على ما كانوا، إلى ما هم كائنون عين من صنع العلق وقذفه وأودعه ورعاه. فعرفوا أنهم في كيانهم بحاضرهم علق لقبالهم ولما سيكونون عليه، فأدركوا وعد الحق لهم وخلق السماوات والأرض، كبيركم أيها الناس يوم تكبرون، وتطوركم يوم تتطورون، وآخر من يخرج من النار يُعطى أمثال هذه الدنيا، جعلت الشمس عليه دليلا.

ما كانت الشمس دليلا إلا على الإنسان، وما كان الإنسان دليلا إلا على الرحمن، وما كان الرحمن دليلا إلا على الإحسان، وما كان الإحسان إلا المعبود، المقصود، المدرك بالوجود للوجود في الوجود، لمن به تواجد وله في نفسه شهد، فشهد أنه لا إله إلا الله، يوم عرف أنه محمدا رسول الله، معه وحد وبه توحيد.

به جاء الحق.. وبه صدق الوعد.. وبه قام الجد.. وبه انتهى الهزل.. وبه تحقق السعد، لنفوس مطمئنة، دخلت في عبد الله جنة، فقامت فيه له ظلال، تجدد فيها له المثال، فتنزه الله عند العبد المؤمن به، إيماننا بنفسه لله ورسوله إيماننا بالله ورسوله، لا يفرق بين الله ورسوله، ولا بين الرسول وكوثره، ولا يفرق بين العبد وربّه، ولا يفرق بين خلقه وحقه، فلا يفرط في أمره ولا يأمن لخدعة نفسه، فيشّده لا إله إلا الله، فيشهد الله أكبر والله أكبر لعين معناه في الله يكبر ويكبر. هذا له ولمن جدد نفسه به، ليُعلم عن معلومٍ يعلمه، تجديدا للحياة عند مجددها في معالمها بالوجود.

{من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا} ١٢. وما هي النفس التي تقتلها أو تحيها؟ إنما هي نفسك أنت، أنت محيها يوم تحيا، وأنت قاتلها ومغتالها، يوم تغفل عن الحق لها. ابدأ بنفسك. {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} ١٣.. فأحيها على ما رسم لها من الحياة بأمانة الحياة في مرسوم الطريق، في مرسوم التشريع، في مرسوم التبليغ.

لا تضع تشريعا من وضعك، ثم تقول، هذا هو تشريع الله. لا تقم في إرادتك ضالة، ثم تقول هي إرادة الله، إن الله أعطى كل شيء خلقه سواء في اتجاه الشيطان، أو في اتجاه الرحمن، يتواجد على ما يريد. (إن الله، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية)^{١٤}، وهو كائن فيمن كان على ما كان، بما هو به كائن، (كن كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)^{١٥}.

لا تتخلى عن مسئوليتك اتهاما لله، إن الله أعطاك أيها الشيء طريقك لخلق شيئك، وتطویر شيئك، والانتقال بشيئك، إلى وجود لحقك، لمعنى الرب لك، في قائم الحياة بك. {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان}^{١٦}. بدأنه ظلوما جهولا، وبلغنا به مرادنا، راحما مرحوما، (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^{١٧}.

بدأنه ظلوما، وانتهينا به ميزانا، عقلا متحررا طليقا محيطا درّاكا مدرّكا، ميزانا يفرق بين الحق والباطل، انتهينا به روحا لنا، متحررا، ممكّكا، قادرا، عزيزا، انتهينا به نفسا لنا، ووجودا كبيرا، {وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا}^{١٨}، هو لك، إنه نعيمك وملكك.

إن الله، مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء من عباده، فيجعلهم ملوكا، ويجعلهم أعزة، ويدرّكهم جمال الذلّ له فيختارون الذلّ للمطلق، على العزة لموصوف المقيد، يختارون أن يكونوا عبادا لله عن أن يكونوا أربابا لملك.

جاءنا عبد الله، فهل أدركناه؟ وتجدد بيننا عبدا لله، بظلاله لكوثره، يعلننا معنى السجود لربه بالله لأنفسنا، {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال}^{١٩}، وهل في السماوات والأرض إلا عباد لله بين رب ومربوب!

لمن يظهر الله؟ وكيف يظهر الله؟ يوم نقدر الله حق قدره، يوم نؤمن بالله على ما يليق بالإيمان به، يوم ندرك معنى الله، على ما عبر الوجود به عنه. إن الذي لا شريك له من وجود، ولا موجود معه بموجود، كيف يظهر لموجود، إلا في نفسه!

وإذا ظهر لموجود في نفسه، هل تقيد هو؟ هل تخلى عن مطلقه؟ هل خرج من وصف إطلاقه؟ هل تحدد؟ ولن أضاف الموجود بالحق، بموصوف الوجود لنفسه؟ إنه إضافة إلى المطلق.. إنه إضافة إلى الغيب.

إن الذي أصبح مرتبطا بالغيب، ما ارتبط إلا بغيب وجوده، موجودا لمشهوده، لعين موجوده، فعرفه إنسانا لإنسان، وحقا لحق، وعبدا لعبد، واسما لاسم، فعرفه اسم الله ورسوله، شاهده جديد رسول الله، لقديم جديده.. جديد رسول الله قديما له، وقديم رسول الله لجديده به.

عَرفه ذكرًا لله محدثًا لذكر الله قديم ولأقدم، عرفه بدءًا من ذاته، دلت على أقدم، بقائمه لقائم مقدس، في الله ذي المعارج، يطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات.

فماذا أخذنا عن ذات رسول الله؟ وماذا عرفنا عن روح رسول الله؟ وماذا قدرنا لشهادة رسول الله بيننا؟ وماذا أدركنا لغيبه عنا؟ علام الغيوب.. غفار الذنوب.. ستار العيوب.. لا يدين أبدًا.. (أمة مذنبه ورب غفور)..^{٢٠} اعتذر لمتابعيه، وغفر لهم قبل أن يعتذروا أو يستغفروا، واستغفر لهم وشفع عند ربه قبل أن يعرفوا أنفسهم بالإساءة، رحمة للعالمين، ساحة للمتقين، طلعة لرب العالمين.. يدا لله، مبايعوه على أنفسهم يبايعون الله على نفسه لهم بأنفسهم له ويد الله به لها الغلبة على كنودهم، (وا عجي من أناس يجرّون إلى الجنة بالسلاسل)^{٢١}، يرحمهم رغم أنوفهم، (من قال لا إله إلا الله خالصا بها قلبه، دخل الجنة، وإن سرق وإن زنا رغم أنف أبي ذر)^{٢٢}.

إن شهادة لا إله إلا الله، يوم يشهد بها مشاهد، ويوم يدخل في حصنها داخل، يقوم فيها الدين كله، ويقوم بها الحق كله، فهل نحن داخلوها، أم نحن مجانبوها؟

نقف على المنابر، لنصف الله، بموصوف فرد من خلقه، بموصوف عبد من عباد، وأي عباد؟ عباد نحكم لهم نحن بالعبودية وما كانوا، وقد نصفهم بالتقوى وما عرفوها، ونسميهم العلماء وما علموا، ونسميهم العارفين وما عرفوا.

ونحن لمن عَرف نفسه لله، نقلوه، ونهجو، ونخاصمه، إذا عَرَفنا عن أنفسنا لله، إذا صارحنا عن أمر الله لنا. ونسجد، واهمين الطاعة لله، لمن يفرض نفسه علينا بطغيانه، ويحدثنا بيهتانه.

إن الناس هم الناس حتى في غفلتهم، هم لله، ولكن ليسوا عبادا لله، هم عباد الله في وحدانيتهم معه. إنهم في عبوديتهم للدين، وهي الله، ربا لهم كانوا لله ولكن ليسوا عبادا لله، إن الدنيا في الله هي الله لهم، هم لها عباد، فلم يسودوها بربوبيتهم عليها عبادا لله، فقد خلقت الدنيا للإنسان، وخلق هو للرحمن، ولم يخلق الإنسان لتسوده دناءه.

إن العبودية لله لها بدؤها ومآلها، إنها تبدأ يوم تلد الأمة سيدها، وتشرق الأرض للقلوب بنور ربها يوم تعرف أرض القلب من ربها، وتعرف النفس للقلب قدسيته يوم تعرف النفس العقل وقد زويت له الأرض، يوم تعرف النفس من تصلي له الفرض، يوم يعرف العقل ما تكون القبلة له، وما تكون الغرفة يسكنها ويملكها، يوم تعرف النفس لروحها معنى الله لها، فلا تخاصم الله معها بخاصمة ربها فيها فتند غايتها من أن تكون لمن هو معها وأقرب إليها من حبل الوريد، نور الحياة.. ونور العقل.. ونور

الطاقة، فتعمل أن تكون عبداً لربها لها فيها هي له، مضافة إليه، فتعرف معنى السعادة، وتعرف معنى الحياة، وتعرف معنى الحرية، وتعرف كيف تتعارف، وكيف تعرف.

تأملوا وانظروا حاضركم من دنياكم، على ما كان من حاضر آبائكم في دنائهم، ها أنتم ثوارثون كنودهم، وتقومون في غفلتهم متسرلين بجلايب ظلامهم بجاهليتهم، {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون} ٢٣، أجداد الآباء والأجداد؟! أجداد الظلام والغفلة. ولتجدن أكثرهم مشركين، ولتجدن أكثرهم لا يؤمنون.

(إن قومي عجموا بالشمس هاماتهم.. ومشوا فوق رؤوس الحقب) ٢٤.

أين هم.. هل تسمع لهم من رجس! أين هم! سيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم، استعيدوا أمام عقولكم، وتذكروا بأنفسكم هدي عبد الله ورسوله بينكم، (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن الذي أخشى عليكم أن تفتح لكم البلاد، أن تفتح لكم الدنيا، فتتافسوها، كما تتافسها الذين من قبلكم، فتأكلكم كما أكلتهم) ٢٥.

ها هم الناس، يتصارعون على الدنيا، في مشارق الأرض ومغاربها، وها هي الدنيا، تأكلهم كما أكلت الذين من قبلهم، أين سادة مصر بالأمس؟ أين سادة سوريا بالأمس؟ وأين سادة غانا بالأمس؟ وأين سادة كل بلد، بسادتها من أمسها؟ هل اتعظ سادتها في يومهم، بسادتها في أمسهم؟ هل حرص سادتها في يومهم، على أمر سيادتهم في غدهم؟ إنها الدنيا، تتقاذف عبادها، وتأكلهم كما تأكل الهرة أولادها، إنها تنبتهم منها، ثم تستعيدهم لجوفها.

هل تابعوا عباد الرحمن عليها؟ جاءوا لينقصوها من أطرافها يوم يأخذون من يأخذون معهم، من أحلافها وقد بدلوا ما بهم فهم يكفرون بها، إلى الأعلى عليها، فتفتح لهم أبواب السماء ليدخلوها، مهاجرين، من الأرض، يفارقونها إلى جنان عرفوها، فيدخلون المدينة للعلم طلبوها، يهجرون بكة، بظلم أهلها بالظلم قلوها.

فيستقبلهم أنصار الله، حواريو الله، الله في معيهم شهوده، والحق منه عرفوه:

طلع البدر علينا.. من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا.. ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا.. جئت بالأمر المطاع ٢٦.

أيها المبعوث في أنفسنا.. أيها المبعوث في قلوبنا.. أيها المبعوث في عقولنا.. أيها المبعوث في قلوبنا.. أيها المبعوث في أمورنا لأمرنا.

أيها المبعوث فينا.. جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة.. مرحبا يا خير داع^{٢٧}

جئت نور الله حل بصدورنا وقلوبنا فشرف مدينة هياكلنا بإرادتنا ومحبتنا، { لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد }^{٢٨}.

قصة للناس ولكافة الناس أبرزت لتكون قصة كل فرد منهم. فهل في نفوس المؤمنين برزت؟ هل لبث العقول دعوة الضمائر؟ هل تعرضت القلوب للحياة؟ هل استقامت النفوس في أمرها؟ هل تجددت الجلود في أطوارها؟ هل تغيرت القوالب مما بها من القلوب في كنودها، ومما بها بالنفوس بجهلها، ومما بها من العقول في غفلتها؟

هل استيقظ النيام؟ هل قاموا في السلام؟ نودوا أن ادخلوا في السلم كافة، فما دخلوه، حتى اليوم، دعوا ليؤمنوا بالسلام، اسما لله، واسما لرسول الله، واسما للمؤمنين بالله ورسوله فما تحلوه، وما حملوه، ولكنهم بثياب الخصاص تسربلوا وفي دوام.

فهل أقاموا السلام بدينهم؟ هل فارقوا الخصاص بيقينهم؟ هل جادلوا في الله بالحق؟ هل تواصلوا فيه بالصبر؟ هل تألفوا عليه؟ هل تخاصموا فيه مع خصومه؟ هل كان الله ورسوله مرادهم، فيما يعينهم من أمر دناهم وأخراهم؟

هذا ما دعا إليه الإسلام.. وهذا ما يجب^{٢٩} أن يكون دعوة باسم الإسلام، يوم يتواجد بيننا مسلم. أليس فيكم من رجل رشيد! إن الإسلام لا يرفضه العقل، ولا يجفوه القلب، ولا تخاصمه النفس، يوم يعرف، يوم يدرك، يوم يقوم له بين الناس مثال، يوم يظهر مسلم، بالإسلام له حال.

من يرفضه.. من يجفوه.. من يرفض أن يكون اسما لله، من يرفض أن يكون عبدا لله، من يرفض أن يكون وجها لله، الوجود تحت قدميه بالسموات والأرض ملك يديه؟

من يرفضه.. وهو يعرف أن هذا ميسر، يوم يسلك إليه طريقه، ويعرف ما تكون سبيله، يوم يعرف له بابا يطرقة؟ يوم يعرف الله وجها يعبد؟ (نحن روحان حللنا بدنا)^{٣٠}.. تقولها لامرأة ولا ترتضيها لإمامك، ولا ترتضيها لرسول الله، ولا ترتضيها لله، بوههم الإكبار لله، بجهلك، وبوههم الإكبار لرسول الله، بغفلتك، وقنوطك من رحمة الله.

أوحى بعد رسول الله!! هو ختام النبيين. نعم.. ليس هناك وحي بعد رسول الله، لأنه هو الوحي.. إنه قديم الوحي جدّ، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا بصفاته، يقوم بآياته، يوحى بإذنه ما يشاء، وما ينطق عن الهوى، فما يكون هو!! {إن هو إلا وحي يوحى} ٣١.

إنه الروح تجسد بشراً ليكون رسولا من أنفسكم.. إنه الحياة.. إنه الحق. هل عرفه قومه حقاً من حقائق الله؟ هل عرفوه عبداً من عباد الله؟ كلهم ينشد أن يكون عبداً لله، وهو يجهل معنى العبد لله. نعم إنه الوحي السرمدى الخالد.. إنه الوحي القديم المتجدد.. إنه الوحي الدائم.. إنه أمر الله القائم.. إنه بكوثره آية الله، المتعددة، المتكاثرة، المتقدمة المتجددة.

إنه رحمة الله، فكيف تغلقون أبواب رحمة الله، بغلق بابه، بهدم بيته، بالإنكار عليه، حقاً من حقائق الله، وعبداً من عباد الله؟ وثنابعون كل ناهق، باسم التنزيل، وكل متفريق باسم التأويل، وإن أنكر الأصوات لصوت الحمير. إن الله ما تحدى بالقرآن المؤمنين، فقد كان القرآن لغتهم، وحكمتهم وبيانهم، ولكنه تحدى به المخاصمين، ادعوا من دون الله من شئتم، {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله} ٣٢، {لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} ٣٣. ولكن من كان بالله يتكلم فبحكمة القرآن وبلغته وبلاغته ينطق، كان حديثه قرآناً وتنزيلاً، قوم أناجيلهم صدورهم، علماء أممي كأنبياء بني إسرائيل. تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، لا يفترقان أبداً، فكيف ينقطع الوحي!

إن الذي ترفع إليه أعمالنا، فيحمد الله، أو يستغفر لنا، كيف لا ينشغل بنا وبأمرنا! وكيف لا يوحى إلينا، وقد جعل الله له نورا يمشي به في الناس، دائماً قائماً، لم يرفع بغيبة أول هياكله! أعطي كوثر التكاثر لجلايب ذاته، لا يظهر إلا متدثراً، أنزل عليه وجعل له كتاباً، أبقاها بعترته له مبيناً مبيناً. {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم} ٣٤. {لتقرأه على الناس على مكث} ٣٥، {لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر} ٣٦. لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً} ٣٧. فكيف تقطعون السنة الله بجهلكم، والله متكلم مجاهر بحديثه بينكم! يفيض الحديث على أهله، ويفيض الحكمة على قلوب عباده، وينير عقول من طلبوه، ويزكي من اتقوه، ويجدد بينكم جلدة الرسول متكاثرة، نفساً عذراء، وأول عابدين بكوثرها زهراء وطابع النبيين، طابع المعلمين. شائته الأبر، أما هو فهو لدائم الحياة الكوثر.

إن الذي جدد الجلود لتذوق العذاب، ألا يجدد الجلود، لتنشر الرحمة!! ما ظنكم بالله؟ لم تظنون بالله ظن السوء؟ وهو الخير، فكيف يقطع الله من جعله رحمة للعالمين، عن تجديد جلده بينكم، وهو الذي يقول له، هو الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين؟

وهو الذي يقول له، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، على صلة.. على وصلة.. على محادثة.. على مقابلة.. على لقاء.. على معرفة.. على عينية.. على وحدانية.. على توحيد؟ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، كوثرا لا يتر، ووجودا لا ينقطع، ورحمة لا تختفي، وعطاء للناس لا يجز، ورحمة للناس لا تنقطع.

أين هو فقه الدين عند هؤلاء الفقهاء؟ وأين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند هؤلاء الأمراء؟ وأين هي التقوى عند هؤلاء الأتقياء؟ وما تكون البلوى إذا لم تكن في الدين؟ إن الناس يعيشون في بلاء من أمر أنفسهم، ويقوم عليهم جزاء من فعلهم، بأنفسهم وآبائهم.

{ذرية [طيبة] بعضها من بعض}..^{٣٨} ما أرحمك يا إلهي.. وما أكرمك. لم يقل ذرية سيئة بعضها من بعض حتى يجعل الأشجار الخبيثة إلى انقضاء، والأشجار الطيبة بثمارها إلى تكاثر، وجعل الكفر في الكفر بالرسالة، وصفهم في وضعهم في مخاصمة رسوله، إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتفون، أفلو كان آباؤهم، لا يعلمون شيئا ولا يفقهون.

فإذا رأينا أنفسنا في عين معناهم أفلا نفيق فتأمل الله، وهو يبسط لنا يد رحمته، {ولا تزر وازرة وزر أخرى}..^{٣٩} {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا}..^{٤٠} {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}..^{٤١}.

ولكن ما هي الطريق إلى ذلك كله؟ هي في أن يغير الإنسان ما في نفسه، إلى مرضي يراه، {أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا}..^{٤٢}، أن يرتضي من عصره، من قومه، مثلاً لنفسه يرتضيه، وسلوكاً يحتذيه فيتأمل لمن يؤاخي. ابحث عن الرفيق قبل الطريق. (المؤمن مرآة أخيه)^{٤٣}، في تسلسل إلى المؤمن، يعبد به ويرتضيه.

شهد الله مؤمناً، أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة مؤمنين، أنه لا إله إلا الله، وشهد أولو العلم مؤمنين بما آمن به الله وملائكته، أنه لا إله إلا الله، وأنه لا إله إلا هو، فعرف المؤمن أنه مرآة المؤمن، ومرآة المؤمن، حتى إلى الله لاسمه المؤمن، لاسم المؤمن له وللملائكته، بأسمائه المؤمنين، لاسمهم المؤمنين، فالمؤمن من قيامكم، مرآة المؤمن إلى قائم الله في واسع قائمه إلى مطلق قيامه.

وهذا هو معنى التوحيد، بممارسة معنى الاتحاد، لإدراك معنى الوجدانية، وهو معنى الدخول في لا إله إلا الله، وحصن لا إله إلا الله، {أن تقوموا لله مثنى وفردى}..^{٤٤}، أن تتوحدوا أنتم أمركم بينكم، أن تتحدوا بعقولكم، فتتآلف قلوبكم فتعرفون ما يكون التوحيد، وما تكون الوجدانية، فيكون المؤمن مرآة أخيه المؤمن، ومرآة الأعلى، من المؤمنين، وهكذا الأعلى فالأعلى. المؤمن، مرآة المؤمن، أمر الله في الله

إلى الله لا حد له، ولا قيد له، ولا وصف له، ولا إحاطة به، إلا في قائم النفس به، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

اطلبوا الله في أنفسكم تجدوه، واطلبوه لأنفسكم حتى تروه، وحتى تقوموه، فأسماء الله، تعرفوه وتعرفوه. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من كنت لنا في كل شأن بقديم.

اللهم يا من كنت لنا في كل وجود بقائم.

اللهم لا تتخلى عنا في دائم.

اللهم جددنا لك أسماء لك، وأتمم لنا نعمتك عبادا لك، حتى ندرك عظمة العبد لك، في عظمة أنفسنا بك وتفاهتها بدونك فنقدر عظمتك، ونشهد أنك الأكبر، وأنتك الأعلى، وأنتك الأعظم، وأنتك الأبقى، وأنتك الأعز. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأقنا حصنا لا إله إلا الله، برحمتك وبِعزتك. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وأمر الطريق أماننا، وألف بين قلوبنا، وأمر عقولنا، وزكي نفوسنا، وقوم جوارحنا، وجدد فيك جلودنا، على طاعة لك، وقيام بك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم، برسولك، جماع رسلك، وبحقك، جماع حقائقك ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم انصرنا على أنفسنا، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، وخذ بنواصينا إلى الخير، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين.

اللهم اشمنا بمن جعلته رحمتك برحمتك، وقنا به شر غضبتك بعدلك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الحج - ٧٣
- ٢ حديث شريف: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء." أخرجه الترمذي، واللفظ له، وأخرجه ابن ماجة مطولا باختلاف يسير.
- ٣ سورة الفجر - ٢٧، ٣٠.

- ٤ مثل يُروى عن أكرم بن صيفي التميمي، الملقب بـ (حكيم العرب)، أي الحذر لا يدفع عنه ما لا بد منه، وإن جهد جهده، ومنه الحديث (لا ينفع حذر من قدر).
- ٥ سورة الحج - ٣٨
- ٦ حديث مشهور على الألسنة بصيغة: "لو حسن أحدكم ظنه في جبر لنفعه." يوصف بأنه موضوع ولا أصل له.
- ٧ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٨ سورة يوسف - ١٠٨
- ٩ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.
- ١٠ استلهاما مما جاء في بعض الآثار: "يقول تعالى: "ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلف برزقك فلا تنعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء." وذكرهما كذلك المناوي في "فيض القدير" ويقول المحدثون: "لم نعتز بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فلعلهما مما روي عن أهل الكتاب."
- ١١ من حديث شريف: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينُ أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ." صحيح البخاري، وصحيح النسائي.
- ١٢ سورة المائدة - ٣٢
- ١٣ سورة المائدة - ١٠٥
- ١٤ من خطبة للإمام علي كرم الله وجهه من كتاب نهج البلاغة: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ فَتَقَسَّمُ بَيْنَهُمْ مَعَايِشُهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ..." المكتبة الشيعية.
- ١٥ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ١٦ سورة الأحزاب - ٧٢
- ١٧ من حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود، والترمذي.
- ١٨ سورة الإنسان - ٢٠
- ١٩ سورة الرعد - ١٥
- ٢٠ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَحِيحًا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مَذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ." المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٢١ حديث شريف: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ وَهُمْ كَارِهُونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

- ٢٢ من الحديث الشريف: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر." رواه أبو ذر الغفاري. أخرجه البخاري ومسلم.
- ٢٣ سورة الزخرف - ٢٢
- ٢٤ عبارة مستلهمة من أبيات شعر ميار بن مرزويه الديلمي، وهو شاعر كبير بالعصر العباسي: قَوْمِي اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى... وَمَشَوْا فَوْقَ رُءُوسِ الْحَقِيعَمَمُوا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ... وَبَنَوْا أَيْتَاهُمْ بِالشُّهْبِ
- ٢٥ حديث شريف: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلككم." صحيح البخاري.
- ٢٦ من أبيات الشعر التي استقبل بها أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة.
- ٢٧ من نفس أبيات الشعر أعلاه.
- ٢٨ سورة البلد - ١:٣
- ٢٩ تم تصويب هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٣٠ من قصيدة للصوفي منصور الخلاج: أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا... نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا
- ٣١ سورة النجم - ٤
- ٣٢ سورة البقرة - ٢٣
- ٣٣ سورة الإسراء - ٨٨
- ٣٤ سورة النحل - ٦٤
- ٣٥ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٣٦ سورة لقمان - ٢٧
- ٣٧ سورة الكهف - ١٠٩
- ٣٨ سورة آل عمران - ٣٤
- ٣٩ سورة الأنعام - ١٦٤
- ٤٠ سورة الزمر - ٥٣
- ٤١ سورة الفرقان - ٧٠
- ٤٢ سورة سبأ - ٤٦
- ٤٣ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفُّ عليه ضِيعَتَهُ ويحِطُّه من ورائه." أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٤٤ سورة سبأ - ٤٦

(٥)

دائرة الزمان والمكان ومركزها ومحيطها بالإنسان علم الله بالوجود ووجهه للشهود

حديث الجمعة

١٩ ذو القعدة ١٣٨٥ هـ - ١١ مارس ١٩٦٦ م

أشهد أن الإنسان في الله عصر.. وأن الله له دهر..

أشهد أن عصر النبي، نبي العصور.. وأن النبي بيته، مدينة البيوت والدور.. وأن الرسول بكتابه، أم الكتاب للكتب.. وأن آدمه بجلابه، آدم الأوامم للجلايب.. وأن قبضة نور الله له، أصل قبضات النور للناس.. وأنه بإنسانه، عصر كل عصر، وإنسان كل إنسان. به، كلها برز وكلها يبرز، يستدير الزمان على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض.

دعانا للتخلق بأخلاق الله، متخلقا بأخلاق الله، ومظهرًا لأخلاق الله، لمن يطلب أن يتخلق ويتواجد في الله بأن يكون على خلق.

علمنا أن التخلق بأخلاق الله، في التخلق بأخلاقه، هو السبيل والدليل، وهو الطريق والخليل، إلى الحياة والوجود لمن يطلب الحياة والوجود.. لمن يطلب من العدم النجاة.. لمن يطلب الخلاص من الالمبالاة، إلى المبالاة، لقاء مع معيته ومولاه، بقيامه له - بعيدا عنه - في قائم مولاه.

جاءنا محمد عبدا من عباد الله، وحقا من حقائق الله. الذين آمنوا بحمد، من أنفسهم، لأنفسهم لمعنى الحق، مبعوثا به، بمن نزل عليه وداناه، وأنزل إليه من علي مولاه، غفر لهم ذنوبهم، وأصلح بالهم، وكفر عنهم سيئاتهم برحمته، بواسع مغفرته، وكفى بربك، بذنوب عباده بصيرا، وعليما خبيرا.

لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة، ولكنهم إليه بغفرانه.. ولكنهم فيه برحمته.. ولكنهم يضلون ويهتدون بحكمته، ويستقيمون ويخرفون، بإرادته، ومشيتته.. لا يؤاخذهم بما أخطأوا،

فلو شاء ربك ما فعلوه. ويجزيهم بما أحسنوا، مِنَّةٌ منه، وكرما عنه، ورحمة بهم. خَلَقَهُمْ لِنَفْسِهِ، وصنعهم على عينه. يُعْطِيهِمْ وَلَا يُمْنُّ. ويجزيهم ولا يضمن، ويغفر لهم غير محقر لشأنهم ولا لأمرهم.

إنه الله، لقلوبهم.. وإنه النور، لعقولهم.. وإنه العزة، لنفوسهم.. وإنه الوجود، لهياكلهم.. به لهم، لأنفسهم، ونخيرهم، يسجدون لمعانيهم، فهو لهم فيهم، العابد والمعبود، والمسجد والسجود، والمطاف والطائف، والبيت والعاكف، والنصب ورائه، والحق المعبود، والحق العابد به فيه، قيام عينه، لأمره وشأنه به منه فيه.

بهذا جاء عصر النبي، نبيا للعصور، وتعريفا بالدهور، وتجديدا لعصور العارفين، بعث الحق بالحكماء الفارغين، ليكون أصلا فيه، لأمر قادم به، وليكون حقا فيه، لأمر قديم له، فكان عصرا وسطا، في الدهر الآبد الآزل.. وكان نبيا وسطا، في النبوة.. وكان أمرا وسطا، للأمر في الله.. وكان حكيما وسطا، في الحكمة والحكماء، في حكمة الله المطلقة.. وكان خلُقا وسطا، في الخلق المطلق لمعنى الخلق العظيم للموجود اللانهائي لا شريك له.

كان العروة الوثقى، بين القديم لا بدء له، والقادم لا توقف لجيئته، بحاضر بين يدي رحمته لرحمة الله، لا حد لها.. كان وجه الله.. كان أمر الله.. كان اسم الله.. كان بيت الله الموضوع، لبيوت الله المرفوعة.. وكان بيت الله المرفوع، لبيوت الله الموضوع.

كان الإنسان، لإنسانية سبقه، لا بدء لها، ولإنسانية لحاقه، لا توقف لها.. كان العروة الوثقى، بين موصوف الإنسان بالحق، وموصوف الإنسان بالخلق، لقائم الإنسان، بعثا بالحق من قائم بالخلق، في أمر كيان، لأمر معناه، بقائمه بينيانه، علما على معنى عنوانه.

فكان لا إله إلا الله.. كان لا إله إلا الله، يقومها الناس فيكونوها، ويدخلون في حصنها، فيتواجدوها حصونا بها. يا أيها النفس المطمئنة، ادخلي في لا إله إلا الله، قائمة بعبادي، ادخلي في عبادي ممن كانوا لا إله إلا الله.

فإن فعلت، فما للقيد خُلقت، ولا للضيق تواجدت، ولكنك نفسك في الضيق أوجدت، فما حررت وما عتقت.

فإن في مُحَرَّر دخلت، به عتقت، وفيه انطلقت، منطلقا في المطلق اللانهائي معه سبحت فيمن ليس كمثله شيء، به بالغيب آمنت، ففي الجنة دخلت، وعن النار زُحزحت، ومن موصوف الخلق عتقت، إلى موصوف الحق به بُعثت، يوم أنك مع متوحد توحدت، ومع متحد اتحدت، ففي موجود تواجدت، فبفعلك وُجدت، ولنفسك جَدَدت، وبالله تواجدت، فلا إله إلا الله شهدت، والله أكبر

عرفت ودخلت، وبالحق للحق بُعثت وبقيت، فالحياة كسبت، والعدم فارقت، ومن الموقوت تخلصت، وبالسرمدى تسرّبت.

ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم وآمنتم، فما للعذاب خُلِقتم، ولا للضيّق أوجدتم، ولكن لنفس الله تواجدتم، فبمن كان نفساً لله، معه اتّحدتم فوجدتم، فالله واحداً عرفتم، والله أحداً قُتِم، ففي أنفسكم لله شَهِدتم، وبمشاهدتكم سَعدتم، والسعادة أُسَعدتم.

بمعروفكم له، إليه في الناس تعارفتم، وعنه عَرَفْتُمْ، فعَرَفَته الناس على ما عَرَفْتُمْ، يوم أنكم بأنفسكم في أنفسهم تواجدتم، وبالحق تواضعتم، وتنزلتم، على ما عاملكم، فداناكم، فدنوتكم، فأعلامكم وما علوتكم، وتواضع لكم، فما له أهنتم ولكن له أكبرتم وقدرتم، وما أنفسكم عليه أعلّيتكم، وقد قام بالخلق دونكم فما عليه بهم طغيتم.

ولكن في تواضعه، معه تواضعتم وله زاحمتكم، فزاحمكم فهُزِمْتُمْ، فكان دونكم على ما عَلِمْتُمْ، فبيده بالخلق دونكم رُفِعْتُمْ، وبيده بالحق فوقكم ظَلَمْتُمْ، فبين يدي رحمته قُتِم، ولقيامكم أدركتم، وما فُتِنْتُمْ.

فكنتم به يدا رحمته لمن رحمتم، أمة وسطا وصِفْتُمْ.. وأمة وسطا عند الناس عُرِفْتُمْ.. أمة وسطا جُعِلْتُمْ، وخير الأمم قُدِّمْتُمْ. الله في أنفسكم شهدتم، فما استكبرتم، وشعار لا إله إلا الله، رفعتم وما استعليتم، والله أكبر آمنتُمْ، وله عند من طلب العلم عنه أكبرتم، وفي الناس للناس عَرَفْتُمْ وذكُرتُمْ، على ما ذُكِرْتُمْ فعرَفْتُمْ وذكُرتُمْ، فكنتم أمة النبوة، وعصر النبوة، ما للنبي في أنفسكم استقبلتم، فحمداً رسول الله لأنفسكم شهدتم، وباسمه في الناس قُتِم، وباسم الله، في أسماء الله، لخلق الله بَشَرْتُمْ، وللناس إليه في أنفسهم قدتم، على ما أُقِدْتُمْ، وقد قادكم الرسول بعترته كوثرًا، فكوثرًا له كنتم، فأدركتم، وحصن لا إله إلا الله دخلتم، وفي ذي المعارج بالأكبر عَرَجْتُمْ.

إن النبي، إنما هو لكم، وهو من حقكم، قدوة لكم، وأسوة لبلائكم واختباركم، ومطمعا لرجائكم ومآلكم. إن النبوة طور فيكم إلى حقكم من خلقكم. ولكنكم أغلقتكم عن أنفسكم أبواب رحمته، وأغمضتم عيونكم عن بابه بينكم في دوام يتواجد بكم، وفي دوام يفتح لكم، بابُ رحمة الله لا يغلق أبداً، ولا يغيب أبداً، ولا تطمس معالمه أبداً.

(الخير فيّ وفي أمتي، إلى يوم القيامة) ٢٠٠ (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم، إلى أن تقوم الساعة) ٢٠١ (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) ٢٠٢، الله لهما حافظ، وعليهما ساهر {إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون} ٢٠٣.

كتاب الله للوجود عن الوجود بوجود الله، قائما بآيات الله في الآفاق وفي أنفسكم. جعله بين يديكم نطقا وكتابا للناموس، عن ظاهر الحياة وباطن الحياة. أحصى الله فيه كل شيء، ودخل فيه كل شيء، وقام به كل شيء، عرف به الإنسان ناموس الوجود للكائنات والأشياء.. ناموس الحقائق والأكوان.. ناموس العوالم والموجودات.. كتاب مقروء مشهود.. كتاب نافذ بسلطان الله.. كتاب مُعَلِّم دائب بنور الله، قائم بحكمة الله للحق وعرفانه، بالإنسان للإنسان لعنوانه.

كتاب الفطرة.. كتاب النفوس.. كتاب التجربة.. كتاب القدوة.. كتاب الأسوة.. كتاب الحياة.. كتاب الخلاص والنجاة، يقومه الحكماء والأولياء، ويقرأه العلماء والأنبياء، كما يظهر بزخرفه الأمراء، ويغفل أوراقه الجهلاء. ويقوم به في حكمته وهديه الأتقياء والرحماء، كما يقوم به في عظاته التعساء والأشقياء. خبر التعساء فيه، وبشرى الأتقياء فيه، وطغيان الطغاة فيه، واستقامة محل الأمر فيه، ونور الحكماء فيه، وصُحف العلماء فيه.

إنه كتاب الوجود، يتجمع في أوراق من أسفار بالناس لأشجار للحياة. عُرِف الناس به أنهم حروف هذا الكتاب وصحائفه وكلماته وأوراق هذه الأشجار لآياته.. إنهم سور هذا الكتاب ولبناته.. إنهم جماع هذا الكتاب وأمره وعنوانه لأَم الكتاب، لجوامع الكلم لرسول الله وظلاله، برسول الله وعترته.

إنهم لله وجوه، ما رضوا أن يكونوا لله وجوها، وقد رضيهم الله له وجوها، وما ارتضوه، وبعيدا عن أنفسهم طلبوه، وبغيره فيهم قاموه، وبغيره لهم دخلوه وشغلوه، فالشيطان ارتضوه، والرحمن جفوه. والشيطان والرحمن، فيهم وفي الأكوان، لأمرهم ما قدرهم وما أدركوه.

إنها الفطرة.. إنها الحياة.. إنها الوجود.. {بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة}.. لا يُصدِّق.. لا يقبل.. لا يسأل.. لا يتعلم من متعلم أنه قائم بالله في الله، قائم الله لقيومه، وما القيامة له إلا كشف الغطاء عنه، لقائم الله به برحمته أو بشيطانه.

أينما تولوا فثم وجه الله، فتي القيامة!!! وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وما أنتم لا تبصرون، فما تكون الندامة!!! إن الحكمة.. إن اليقين.. إنما هو في كشف غلالة الجسد، حتى يعرف الإنسان أن الذي هو فيه، إنما هو فيه لا يحول ولا يزول، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}، أي حق ذاك الذي تأتي به سكرة الموت، كان منه المرء يحيد؟ إنها معية الله أقرب لكل نفس من جبل الوريد، إنها قيومية الله قائم على كل نفس بما كسبت، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)..^٨ إنها نفس الله بالإنسان، حريصا عليها أو مفرطا فيها، بأمانة وجوده بها لتواجهه لها..

وحتى يعرف الإنسان، أنه بموجوده موجود في الوجود لله.. موجودا لا شريك له فلا يبقى خارج الحياة بمنحرف إرادته، فإنه لن يدخل الحياة إلا بإرادته، ولن يدخلها حتى يرى الله وجودا لا موجود معه، فينعكس إلى نفسه فيلاقيه، فيعرفه وجهها لوجه في وجود من يعبد، بمن يُحِب، في وجود من ينشد، بمن يتابع، معه يتحد ويتوحد، في وجود من يعتقد رسولا منه، ووجهها له فيراه به مسيحا فيه، وجهها لوجه، وكلمة له لكلمة به، باسم المؤمن لهما لاسم المؤمن له، نِعَمَ الاسم (المؤمن مرآة المؤمن)^٩، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، أو يلبس يوم يخرج من الإيمان بالله ورسوله، إلى الريبة في أمره بهما، وقد أتاه العلم برسول الله قدوة له، وأمر الله إليهما.

فمن لم تنزلق قدمه إلى الريبة وقد استقام على ما به قال، على ما هُدي، قام بالله ورسوله، وشهد الله برسوله، وشهد الرسول بالله، ودعا إلى الحضرتين بالحضرتين، مسيح موجودهما، وقائم مشهودهما، مُنكرا على نفسه بمعنى الوجود، إلى الواحد الموجود، لا شريك له ظلا ووجها له، وقياما به مسيح موجوده بإنسانه شعارا لا إله إلا الله، وأمة لا إله إلا الله، ونبي لا إله إلا الله، ورسول لا إله إلا الله، وقائم لا إله إلا الله، في شهادة محمد رسول الله، لكل نفس استقامت في الله.

فما قام محمد بيننا قدوة لنا وأسوة في أمرنا، إلا لنكونه، ونكون عند جاهله عينه ومضمونه، فما كان المؤمن لرسول الله، ولرب رسول الله، إلا معنى المرسل إليه من الله، عبدا لله، وكلمة لله، ومسيحا لله ورسوله.

فكان بحاله، وبقيامه ومآله، عين رسول الله إليه روحا، داناه، وطوره من مبناه، وحرره إلى عين معناه، قاب قوسين أو أدنى والاه، فعبدنا سماءه، وربا عليه تولاه، وما كان غيره في روحه ومبناه، وفي علميته متوحدا معه، علما على مولاه.. علما على الأعلى والاه، إنسانا عرفه فلاقاه، شاهدا لمشهود رآه، بعينه أبصره، وبصره بصره، وأمر أن {أبصر به وأسمع} ^{١٠} هو {الذي يراك، حين تقوم، وتقلبك في الساجدين} ^{١١}، حتى يبصروا ما أبصرت، ويشهدوا ما شهدت، ويعرفوا ما عرفت، ويقوموا لمن له قمت على ما قمت وأقت. (خلقت الله عليكم) ^{١٢}، فلا أنباء عنه بل القيام له حتى يرث الأرض ومن عليها يوم يورثها عباده الصالحين، على ما كانت لرسوله وقد زويت له، كلها جددته وللناس أشهده. (بعثت والساعة كهاتين) ^{١٣}، مشيرا لإصبعيه.

من كان مع الرسول، كان رب الرسول له ومعه.. ومن كان رب الرسول له ومعه، عرف الله معهم جميعا، فما تخلى الله عن الربوبية عبدا له، وما تخلى عن الرسول ربا منه، وما تخلى عن المرسل إليه، حقا بهما.

ولكن الناس، يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير. ينصرون الطغيان في طغاته، ويذكرون العرفان لفعلهم وقولهم باسم هداته، {فن يكفر بالطاغوت، ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها} ^{١٤}، ولكنهم (يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير) ^{١٥}، مشهودا لهم معلوما منهم، وهم يخدعون أنفسهم قبل أن يخادعوا الرسول والمؤمنين.

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه وفقا لما جئت به) ^{١٦}. {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^{١٧}. (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه) ^{١٨}. {فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} ^{١٩}. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ^{٢٠}.

كل هذا يرددونه بأفواههم، ولا يرون فيه مصدرا لفقههم، إنها أسس الدين، للمتابعة والمشاركة والمحبة في حاضر الناس وفي كل حاضر للناس، وفي كل عصر، وكلما تجدد العصر.

يا أيها الناس، هو الرحمن فاسألوا به خبيرا، والمرء منكم على دين خليله، فلينظر أيكم من يخال. فإذا فقهننا في الدين، وعلى أي صورة قننا فيه؟

ألدين سيوف تُرفع، وخناجر تُغمد في الصدور، وقذائف تُقذف على هياكل القلوب والنفوس، ومعاول تُهدم بها المدائن والدور!! ما يكون الدين؟؟ {والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر} ^{٢١} في هذا يكون الدين، وبه يقوم الدين، (كل الناس هلكت إلا العالمون، والعالمون هلكت إلا العاملون، والعاملون هلكت إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) ^{٢٢}.

إن المسلم، من سلم الناس من يده ولسانه.. إن المسلم لا يؤمن، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.. إن المسلم، لا يفرق بين أحد من رسله.. إن المسلم، يسمع لكل ما جاء به رسول.. إن المسلم، يطيع كل ما جاءت به حكمة، يسمع القول فيتبع أحسنه.

إن المسلم، من يقوم في عزائم الله هداه إليها، ولا يشق على نفسه، عندما تقتضي ظروفه وأمره، أن يعمل برخصه، (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) ^{٢٣}. إن المسلم يعرف أن الله غفور رحيم، فلا يقنط ولا يقنط من مغفرته ورحمته.. إن المسلم، يعرف أن روح الله قريب من المحسنين، قريب من الناس.. إن المسلم، لا ييأس من روح الله له ومن روح الله إليه حتى لا يكون من القوم الكافرين، ولا يقنط من رحمة الله، حتى لا يكون من القوم الخاسرين.

وهل كانت روح الله أمرا غير الإنسان.. غير الناس.. غير موتى الناس.. غير أرواح المنتقلين من الناس.. غير أرواح المؤمنين عتيقة في الكون طليقة؟ وهل تعطل الاتصال بها عند المسلم يوما؟ (يا أهل القلب... هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، إني وجدت ما وعدني ربي حقا) ٢٤.. {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله} ٢٥.

إن المسلم، من يعرفه عبدا لله، الله معه، بحقه، بمطلقه، وإن الرب في انتظاره، ينتظر أوبته إليه إنسانا في أبوة مجده يوم يؤمن العبد بالله له ولربه ولرسول الله، وينشد ربه وجهها لله، بحبة الله {إن وليي الله} ٢٦. لا يتخذ بعضهم أربابا من دون الله، فيعرف الله للرب والعبد معا، فيعرف الرب عبدا كما يعرف العبد ربا، ويعرف الرسول حقا وحقيقة في قائمه لمعنى العبد والرب له في وجوده بظاهر وباطن موجوده، إنسان العلمية على الأعلى للإنسان، في الله ذي المعارج، تعريفا وقياما لمجد الإنسان في الله. إنه الإنسان في أي صورة ما شاء ركه الرفيق الأعلى.

فيوم ينشد الإنسان ربه محبة لله، (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه) ٢٧.. بمن يرسل الله من الرسل، يعلم ويعرف الإنسان أنه لا إلى ربه إلا مع رسول الله، رسولا من أنفسكم، ما كانت أنفسكم، في السماوات أو في الأرض كنتم، فالله معكم في السماوات والأرض، ورسول الله من أنفسكم معكم لكم، بينكم، في السماوات أو في الأرض، وإن الناموس يدعو كل أناس بإمامهم، والله المثل الأعلى في السماوات والأرض.

يدعو ناموس الله الناس بإمامهم، رسولا من أنفسهم، وقد عبد ظاهريهم لباطنهم في وجودهم، بوحدانية باطنهم وظاهريهم، في قائمهم لكيانهم. {ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا} ٢٨.. {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع} ٢٩.. وما الحياة الدنيا في ذاتها إلا متاع الغرور.. وما الحياة الدنيا في سلامة معناها إلا خدمة البنيان.. وما الحياة الآخرة في مجلاها، إلا قيام الإنسان. كل ذلك يدرك للإنسان مع الخبير بالرحمة، مع المعلم، مع الرسول وعترته، مع الرسول وكوثره بظلاله.

فن زُحِر عن البنيان، منطلقا لمعنى الإنسان في الإنسان فقد زُحِر عن النار من سجن نفسه، وأدخل الجنة في نفس ربه، وفاز بالحق لموجود أنه بالأعلى لاقاه ففاز بالعتق، وفاز بالخلاص، وفاز بالمعرفة، وفاز بالحياة، {إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} ٣٠.

(ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك) ٣١.. (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاؤها لذكر الله) ٣٢.. إن ذكر الله لقائمه بالإنسان عبادة القلب، وإن رؤية الله لوجهه بالوجود، عبادة العقل.. وإن

الاستقامة بالذات في المأمور به والمنهي عنه، عبادة الجوارح.. وإن تغيير ما بالنفس في هيكلها مجفوة، إلى نفس معروفة، بالمجاهدة والحب، عبادة الحكماء.

فللجوارح دين، هو الاستقامة والعمل.. وللقلب دين هو الذكر والحس.. وللعقل دين هو التأمل، والفكر والتعريف والتعارف، والإنسان في هيكله بقاء موجوده من القيام البشري، يجمع ذلك لكيانه، ويقوم بذلك كله لعنوانه، إنسانا صالحا للكمال، من بداية الظلام، من بداية الحجاب، من وراء أسوار الذات والنفس إذا تحرر من مادي غلافه، وغير ما به من الظلام إلى مصدر النور يعرفه.

ضُربَ بينهم بسور، من الذات والنفس، ظاهره من قبله العذاب، وباطنه من قبله الرحمة، والله من ورائهم بإحاطته، والله من أمامهم بشهادته، والله فيهم بقيامته، والله لهم بنعمته ورحمته، والله عليهم بتأديبه وقدرته، نفوسا لنفسه، وعقولا لحكمته، وأرواحنا وقلوبا لتجليه وطلعته.

هذا هو دين الفطرة، يوم يكون لنا في قيامنا الفطري دين، يَسْرُه البلاغ، وَقَرَّه السماع، وسَجَّلَه الكتاب، وجُعِلَ الإنسان فيه، قلم قدرة الله له، يكتب صحائفه بفعله، ويستقيم بأمره، ويتحقق باستقامته، هو الموجد للملائكي صفاته، والمجدد لهيكل ذاته، والمقيم لنصبه، والمُشيد لغرفته، والمقيم والرافع لبيته، والواضع لاسمه، والمتواضع برسمه.

الإنسان في الله، والإنسان لله، هو الله، في الله لله، عند الله، ومن الله، يوم يشهد أنه لا إله إلا الله، ويوم يسعد ويقوم لا إله إلا الله، ويوم يفتقر بلا إله إلا الله إلى الله أكبر، يوم يشهده محمدا رسول الله، فيعرفه الحق من الله، يوم يستمع لما يسمع من القول فيدركه، {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ٣٣، يوم يعرف أن محمدا قدوة له، بُعث بالحق، وهو بالحق في اقتدائه يُبعث، وبه فيه بالحق يقوم.

فلا يتجراً على ما ليس له، فيزعم أنه المسلم وما أسلم، وأنه المؤمن وما آمن. فالإسلام من فعله، ومن فعله يبدأ، والإيمان من فعل ربه هو له يستقبل يوم هو على الله معه يقبل. قالت الأعراب آمنا، لهذا العربي منا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، لهذا العربي ما كان منكم {ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم} ٣٤، جعلناه رحمة منا وشرفا لكم، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم.

فلن أسلمتم أنتم في هذا العصر، حتى تكونوا من المسلمين؟ وأي إيمان أفيض على قلوبكم حتى تكونوا من المؤمنين؟ فإن قلتم نحن المسلمون، فكيف يحييكم الإسلام؟ وإذا قلتم نحن المؤمنون، فكيف يدخلكم الإيمان؟ إن ما يفتقر إليه الإنسان، هو ما يحققه لنفسه بعمله وطلبه، وأنتم لستم لإسلام ولا لإيمان مفتقرين. فأنتم أبناء آبائكم كانوا على أمة وأنتم على آثارتهم مقتفون!!! فكيف تقبلون أن يطلب إليكم أن تدخلوا الدين وقد ولدتكم بزعمتكم في الدين!!! والدين لمن يكسبه لا لمن يزعمه.

يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، قولوا نحن الفقراء، قولوا إننا نفتقر إلى الإسلام، فيرزقكم الله الإسلام، فإذا رزقكم الإسلام، قولوا إننا نفتقر إلى الإيمان، فيرزقكم الله الإيمان، فإذا أعطاكم الإيمان، قولوا إننا نفتقر إلى العرفان، فيعطيكُم اليقين والعرفان. فإذا أعطاكم اليقين والعرفان، قولوا إننا نفتقر إلى الحكمة، فيعطيكُم الحكمة. فإذا أعطاكم الحكمة، قولوا إننا نفتقر إلى الرحمة، فيعطيكُم الرحمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، ومن أوتي الرحمة، فرحم بها من في الأرض، رحمه من في السماء.

هذه هي أوليات هذا الدين الفطري.. هذه هي بدايات هذا الدين الكتابي.. هذه هي الألف والباء، لهذا الدين، فكيف تبتعدون عن أوليات هذا الدين، وتجاهونها ثم تقولون إنكم في هذا الدين!!

{إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا} ٣٥، يتلون الكتاب، ويأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم.. إنهم الحقى.. إنهم قوم لا يعقلون.. إنهم على سنن من قبلهم.. ساروا ويسيرون، حتى إلى حجر ضب ٣٦، شبرا بشبر.

حُمِّلُوا الْكِتَابَ فلم يحملوه.. كأولئك الذين {حُمِّلُوا التَّوْرَةَ، ثم لم يحملوها} ٣٧.. مثلهم {كمثل الحمار، يحمل أسفارا} ٣٨، فإذا جابههم أهل الحق، فروا هارين، {حُمِرَا مستنفرة، فرت من قسورة} ٣٩.

(خير العصور عصر، يكثر فيه الفقهاء) ٤٠، الفقهاء الصادقون، الفقهاء العاملون، الفقهاء المحبون لفقهم، المفتقرون لربهم، المجاهدون لأمرهم، (حتى إذا قام الأمر بالمعروف)، وقد لا يكون منهم، وَقَلَّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، (وجد من يعينه)، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يصطفي له الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته، يصطفي من يصطفي من عباده، حققوا بفطرتهم العبودية لأنفسهم لربوبية عقولهم في مرآة الرسول يشهدونه قيوم قائمهم عبدا وربا لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، أعربي وأعجمي؟! إنه اصطفاء الله للناس، من أي مكان، ومن أي أمة، وبأي لغة، مزوية الأرض لمن جعله الله قبضة نوره، وحياة طريقه، ونور كتابه، وقلم قدرته، وأحواض الحياة من رحمته. (زويت لي الأرض) ٤١، وجعلت لي مسجدا وطهورا) ٤٢.. و(ما أعطيته فلا متي) ٤٣، فلست فردا في معناني فأنا أمة بكوثرني، دعوة أبي إبراهيم، وهو أمة، (تبلغ أمتي ما زوي لي منها) ٤٤، لدوام رسالتي بعترتي وأهل بيتي.

(اطلب العلم ولو في الصين) ٤٥، فالحكمة من أمر الله ليست مقصورة على العرب ولا على بلاد العرب. اطلب العلم من المهد إلى اللحد، أمرا ليس مقصورا على وقت من أوقات الإنسان في عمره الأرضي، أو

في عمره الروحي.. اطلب العلم دائماً وأبداً، (الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها التقطها)^{٤٦}.. خذ الحكمة من أفواه المجانين بالله، خذ الحكمة من العلماء العاملين، خذ الحكمة من العلماء المُقَوِّمين.

خذ الحكمة من الضالين الفاسقين!! وكيف نأخذ الحكمة من الضالين!!! أن لا تسلك طريقهم^{٤٧}، ألا يكفي أن الله أشهدنا ضلالهم؟! ولو كناهم ما شهدنا الضلالة، ولا استمعنا لمقالة (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى)^{٤٨}. صدق الله، أينما نولي فتم وجه الله. إنها وجوه عليها غبرة، ترهقها قفرة، أولئك هم الكفرة الفجرة. {أرسلنا الشياطين على الكافرين فتؤزهم أزا}^{٤٩}.

فإن رأيتم بوجوههم الغابرة وتكشف لك من الله أمرهم في الدنيا والآخرة، فاحمد الله الذي أعازك من مثالمهم ومآلهم، ومنع عنك حالهم، فارت لهم وأشفق عليهم، وتصدق عليهم برحتهم، وإن استطعت فبالأخذ بيدهم من كبوتهم وعثرتهم بإيقاظهم من نومهم وغفلتهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم، يوم تستيقظ فيهم ضمائرهم، فيغير الله ما بهم، مما في دنياهم أو في آخرتهم. فالنهاية إليه ودائم البقاء به، وكل ما سواه في الدنيا والآخرة زائل ولا بقاء له. فلا تيأس من الله لك أو لهم.

ماذا يفهم الناس؟ ماذا يطلب الناس؟ ماذا يدرك الناس مما بين أيديهم، من البلاغ والحكمة؟ نعم.. إن الله أعطانا برسول الله، وبكتاب الله معه، الحكمة كاملة شاملة، بينها قيامه بذاته، وقيامه بأعلامه، من عترته وأهل بيته، وكشفها بكلماته بكتابه، وبكتبه وبأصحابه ومتابعيه، ومتابعي متابعيه... (الخير في وفي أمتي)^{٥٠}. (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)^{٥١}.

(لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً)^{٥٢}، ولو كان أبو بكر مختاراً غير الرسول دليلاً، وغير الحق كفيلاً لاختار من عمر خليلاً، إنه (رجل سلم لرجل)^{٥٣}، إنه آدم سلم لآدم.. إنه إنسان سلم لإنسان.. إنه عبد سلم لعبد.. إنه رب سلم لرب.. لقد كان أبو بكر رجلاً في الله، كان سَلماً لرجل الله محمد بن عبد الله، وكان عمر رجلاً في الله، كان سَلماً لرجل في الله هو أبو بكر صديق محمد. إنهم ثلاثة رجال قام بهم إنسان لله، هو قائم إنسان رسول الله لموصوف العبد لله. أما رسول الله بأهل بيته فله شأن آخر وأمر آخر.

بُعْث محمد بربه فكان عبداً له ورباً منه. فبحث عن عبد له، (إن الله يبحث عن عبده، كما يبحث العبد عن ربه)^{٥٤}، فَبُعْث الصديق بمحمد، فكان عبداً له أراد له ليكون رباً منه، فحقق الصديق لنفسه بمحمد قائم ومعروف الرب له به رفيقاً أعلى، وحقق الله بالرسول للصديق وصف العبد له، وما زال ينتظر الصديق عطاءه لوصف الرب منه.

فكان محمد وصديقه وعبداهما عبادة الله في ذي المعارج وحقائق الله، حقية الرب وحقية العبد لله. وكانوا عوالم لله، وبيوتاً يذكر فيها اسمه، وأموراً لله ظاهراً لباطن لحق الله لعبد الله ورسوله بهم تعاقت الخليفة، وتجددت الحقيقة، فكلما قام محمد بموصوف الرب، قام معه الصديق بموصوف العبد، فقاما عبداً لرب ورباً لعبد، يتجددان، ويتقاربان، ويتصاعدان، إنساناً لإنسان، وأمراً لأمر، ورحمة لرحمة، خلقناكم أزواجاً وحققناكم أزواجاً، في بيوت أذن الله أن ترفع، وبيوت أذن الله أن توضع، يذكر فيها اسمه، لمن شهد أنه لا إله إلا الله.. فشهد محمد رسول الله بحقه وخلقته، بعبدته وربته، فعرف الله أكبر والله أكبر، فما طغى وما تكبر، (مُروا أبا بكر فيلصل بالناس)^{٥٥}، أما محمد بعترته وأهله وبيته فله ولهم شأن آخر وأمر آخر.

فما كان بيت محمد بعترته وأهله أمراً منفصلاً عن محمد في حقه وخلقته. فهو بهم وهم به، ثبات قديمه في جديده، لثابت قائمه لقائم الحق وقيومه به وعليه ومنه. (أنا مدينة العلم وعلى بابها)^{٥٦}. (من كنت مولاه فعلي مولاه)^{٥٧}. (عليّ مني وأنا من عليّ)^{٥٨}. (أما يرضيك أن تكون أنت أخي)^{٥٩} {رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين}^{٦٠}. (خَلَقْتَ اللهُ عَلَيَّكُمْ)^{٦١}، (مُروا أبا بكر فيلصل بالناس)^{٦٢}. فأهل البيت ليس بينهم وبين الله حجاب، ولكن بينهم وبين الناس حجاب منهم لمعنى قائم الحق بهم، لا يكلم الله الناس إلا وحياً أو من وراء حجاب، وهم حقائق الله لخلائق الله، بهم يتحققون، وبهم يرحمون، وبهم يسعدون، وينعمون، ويخلق الله بالحق يشهدون، فبهم يقتدون، يوم هم للصديقين لهم معهم يتابعون.

اللهم يا من جعلت بمحمد النبوة عصراً، ووعدتها للقيام دهرًا، اللهم به فاجعل من هذا العصر نبوة، واجعل فيه للعصور إمامة، واجعل لأمة محمد به جدّة، فجدد به عروش وجودك، وكراسي قيامك، بتجديد نفوسنا لموجودك، واجعل منا كلمات قديمة، لطريق مستقيمة، بفطرة سليمة، وحقيقة قديمة، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله. (وليأت به في جمعه وفرده ملكوتك على الأرض كما هو في السماء)^{٦٣}، حتى يشهدوا بينهم الداعي لا عوج له، وحتى تخشع أصواتهم لاسم الله بينهم برحمته لا انقطاع له.

اللهم بالحق به، ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.. اللهم بالحق به فعاملنا برحمتك وعفوك ومغفرتك، وأقلنا من عدلك، واحفظنا من غضبتك.

اللهم به وبالحق به، تولنا فيمن توليت، وارحمنا فيمن رحمت، وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك فينا، ويوم شهودك بيننا.

اللهم به وبالحق به، كن لنا حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، مستقيمين وشاردين، وارحنا به يا أرحم الراحمين، وتولنا به فيمن توليت في العالمين، وصل منا عليه صلاة دائمة بدوامك، قائمة بقيامك، في دائم دوامه، وقائم قيامه، لدوامك وقيامك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ تم تشكيل هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
- ٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٣ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيوت المقدس وأكناف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٤ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ٥ سورة الحجر - ٩
- ٦ سورة القيامة - ٥-٦
- ٧ سورة ق - ١٩
- ٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن يكفُ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ١٠ سورة الكهف - ٢٦
- ١١ سورة الشعراء - ٢١٩:٢١٨
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ١٣ حديث شريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ١٤ سورة البقرة - ٢٥٦
- ١٥ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨

- ١٦ حديث شريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به"، أخرجه ابن أبي عاصم، والخطيب، والبيهقي باختلاف يسير.
- ١٧ سورة الأحزاب - ٦
- ١٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.
- ١٩ سورة النساء - ٦٥
- ٢٠ سورة يوسف - ١٠٨
- ٢١ سورة العصر ٣:١
- ٢٢ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم." ولكنه يصنف في كتب الحديث بأنه موضوع.
- ٢٣ حديث شريف. أخرجه البزار، والهيثمي، وابن حبان، والطبراني.
- ٢٤ حديث شريف: "وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً قالوا يا رسول الله هل يسمعون ما تقول؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم اليوم لا يجيئون". المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد. أخرجه ابن أبي عاصم في ((السنن))، والطبراني باختلاف يسير. كذلك البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة.
- ٢٥ سورة الأنعام - ١١١
- ٢٦ سورة الأعراف - ١٩٦
- ٢٧ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٢٨ سورة المرسلات - ٢٥-٢٦
- ٢٩ سورة الرعد - ٢٦
- ٣٠ سورة النساء - ٤١.
- ٣١ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.

- ٣٢ معنى هذا الحديث الشريف جاء بأكثر من صيغة: "إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: قراءة القرآن". أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء))، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) باختلاف يسير. و"إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. أخرجه الخرائطي في ((اعتلال القلوب))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)). كما أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي، بلفظ: "إنَّ للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار".
- ٣٣ سورة الإسراء - ٨١
- ٣٤ سورة الأحزاب - ٤٠
- ٣٥ سورة الفرقان - ٣٠
- ٣٦ حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشنه.
- ٣٧ سورة الجمعة - ٥
- ٣٨ سورة الجمعة - ٥
- ٣٩ سورة المدثر - ٥٠-٥١
- ٤٠ عبارة للسيد رافع "خير العصور عصريكثر فيه الفقهاء، حتى إذا قام الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر وجد من يعينه." يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.
- ٤١ من حديث شريف: "إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها فإنَّ أمتي سيلبغ ملكبها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٤٢ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياء بسبب: أعطيت جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرَّعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضاً منه في أحاديث أخرى.
- ٤٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٤ من الحديث الشريف: "إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها فإنَّ أمتي سيلبغ ملكبها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٤٥ مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلى.
- ٤٦ حديث شريف ذات صلة: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها." رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة..
- ٤٧ تم هنا تصويب هذه العبارة لتكون "أن لا تسلك طريقهم" بالرجوع إلى النسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع إلى. الخطأ موجود في النسخة ال pdf "أن تسلك طريقهم".
- ٤٨ حكمة دارجة.
- ٤٩ سورة مريم - ٨٣

- ٥٠ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٥١ حديث شريف أخرجه البيهقي والديلمي.
- ٥٢ حديث شريف. "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا." صحيح مسلم.
- ٥٣ استلهاما من {رجلا سلما لرجل} سورة الزمر - ٢٩
- ٥٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥٥ لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَقَالَ: مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصَلِّ بِالنَّاسِ. صحيح البخاري.
- ٥٦ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليّ بأبها، فمن أراد العلم فليأتته من بابي". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٥٧ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّيَّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٥٨ حديث شريف: "إِنْ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي."، أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٥٩ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.
- ٦٠ سورة الأنبياء - ٨٩
- ٦١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦٢ لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَقَالَ: مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصَلِّ بِالنَّاسِ. صحيح البخاري.
- ٦٣ دعاء للسيد رافع مستلهم من ألفاظ الآية: (لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لَتَكُنْ مَشِيتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ) من الصلاة الربية للسيد المسيح عليه السلام: " (مت ٦: ١٠) .

(٦)

الموجود والموجود

لمعنى الحق القائم، لعين القديم والقادم
دائم الحق بعالمه وحكيمه، بقائمه لقيومه وقديمه
وجه الله بالإنسان، لقائم ودائم العنوان

حديث الجمعة

٢٦ ذو القعدة ١٣٨٥ هـ - ١٨ مارس ١٩٦٦ م

(متى يعرف الإنسان ربه؟! سألت عائشة. فأجاب الرسول، (يوم يعرف الإنسان نفسه). ففتى يعرف الإنسان نفسه؟! وما تكون نفس الإنسان؟! ومن يكون رب الإنسان؟!)

الإنسان.. هو موضع دراسة الإنسان، يوم يفكر الإنسان فيمن يسميه أو فيما يسميه الله أو الرحمن، أو أيا ما يدعو. إن عقل الإنسان للإنسان، هو قبس النور القدسي فيه.. وإن نفس الإنسان للإنسان هي جذوة الحياة فيه.. وإن هيكل الإنسان للإنسان هو علم الوجود له.

فالإنسان بموجوده، وبعلم وجوده، يدبر أمره عقله، وتُحرك بالحركة هيكله، نفسه لمعنى روحه. وهو في ذاته بموجوده، بإمكانياته، بموصوفه، حق بذاته، لواجب الوجود، لوجوده، في قائمه لشهوده. فأين الله له؟!)

إن الله له، عنده هو عين وجوده، في رعاية مُوجده، ذاتا لذات، ووجودا لوجود، ذات في قدسها، في قيامها، حق قيام علماً على أقدم، لمعنى الأعلى والأقدس، في معراج من آباء الخليفة إلى أحد في وحدته بآباء الروح حتى لأبوة الحقيقة إلى قدس ذات الوجود المطلق لا تدرك ولا تنال إلى روح لانهائي لا يحاط، هذا ما يقتضيه الوعي ويستوجه الإدراك عن النفس والمعنى لها في الكائن الإنساني البشري وما حققه لليقين السلوك للطريق عند من طريقه، وهو ما يستطيع أن يدركه العقل بمعرفته كما يستطيع أن يبينه ويدركه العلم والحكمة.

فالكائن البشري العاقل يقوم عقله فيه، لمعاني ربه عليه لنور الوجود عنده، كما تقوم نفسه له بجذوة الحياة فيه لمعاني العبد لمعناه بالحق له لربوبية العقل عليه بقاء نفسه فالعقل والنفس هما في موجوده بهيكله العبد والرب في وجوده لشهوده، لأمره بما هو فوق ذلك في معراج تواجده {من اهتدى، فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها}² فالمهتدي هو العقل، والمهتدى إليه هو النفس، {ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير}³. {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}⁴، فعرفت ما لم تكن تعرف، وأبصرت ما لم تكن تبصر، عرفت الرفيق الأعلى للروح لأمرك بها، به معلما عرفت بلا جديد عليك، عرفت أن الحجاب الجسدي حجب عنك معاني الحق لك، ومعاني الحق بك، ومعاني الحق فيك بما أصبحت مدركا لأمرك روحا لروح هو (أقرب إليك من حبل الوريد)⁵، (ومعك أينما كنت)⁶، أنت قائم حق، لقيوم حق أمرا، {قائم على كل نفس}⁷، هو الرسول للمطلق والرفيق الأعلى لك ذات لذات وروح لروح يوم حد بصرك وكشف عنك غطاؤك، فأبصرت ورأيت أن المشاهد عين المشهود (المؤمن مرآة المؤمن)⁸.

(لا تفكروا في ذات الله، ولكن تفكروا في آلاء الله)⁹، بذلك هدى الرسول في عظمة الله.. في نعمة الله.. في قرب الله.. في إحاطة الله.. لا تفكروا في قائم ذات الله، فذات الله بقاء لها هي لكم، وجود في وجود لمعراج من تواجد، وجود صغير في حاضركم لوجود كبير في قادمكم لمستقبلكم في موجود وجود كبير، هو بكم ومن حولكم ينتظركم في معارجكم.

إن الوجود الكبير أتم فيه أما لكم يحمل بكم وبذواتكم ومعانيكم جنينا فيه، إلى مولد مرتقب لكم منه، ويوم تولدون بالحياة لوجودكم الكبير حيا، لا تزول عنكم الحياة، من موجودكم ليومكم بها بعارية الحياة، بأمانة الله.. بسر الله.. باسم الله.. بكلمة الله.. بهياكل الله.. ببيوت الله.. بوجوه الله.. فتكون نعمتكم في كفايتكم بفردكم، فردوس وجودكم، في واسع الموجود، في رحب الوجود وجود لوجود، وإنسان لإنسان، وروح لروح، ونفس لنفس {وخلقناكم أزواجا}¹⁰.

{أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر، على أن يخلق مثلهم}¹¹ كم فعل.. وكم يفعل.. وها أنتم في فعله.. خلق كل شي من أجلكم، فلم تعبدون ما خلق من أجلكم، وقد خلقكم خالق الأشياء من أجل نفسه لمعلومه لعلمه بالإنسان للإنسان في علميته على الرحمن في الله؟ فلم تلعبون وتعبثون فيما خلقتكم من أجله، خلقكم لنفسه، ولتصنعوا بفعلكم من أمركم بإرادتكم على عينه، مقدرا معزا وموجها هاديا؟ {أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى}¹²، وهو فيكم، بالغ أمره، فلم تعوقون نفاذ أمره؟ وما كان أمركم إلا أمره، وما كان أمره إلا أمركم، فهو في دوام لكم، وهو في دوام معكم، فلم تخاصمون من هو لكم؟! ولم تباعدون من هو معكم!!

تساءلون أيان يوم القيامة؟! وهو القائم على كل نفس بما كسبت، فلم تباعدون قيامه، وهو قيامكم؟ إن ما تنشدون من أمر القيامة، في حقيقة أمركم، إنما هو كشف حُجْب الغفلة عنكم، يوم تردون الأبصار إلى البصائر، فيتكشف لكم أمركم، فتُبْعَثون فيكم من فعلكم^{١٣} بحقكم.

{بل يريد الإنسان ليفجر أمامه، يسأل أيان يوم القيامة}، وما تكون القيامة؟ إنما هي قيامه، وهل فارقم قيامه؟ وهل أغفلكم قيومه؟ وهل حرّمكم لكم فيكم قائمه؟ {فأينما تولوا فثم وجه الله}، ولكنكم بفجركم تُنكرون على ما تشهدون، وله في أنفسكم بفجركم تعمهون، ولا تطلبون، ولا تخشون.

يقول لكم الرسول (لكل منكم قيامة)^{١٤}.. إن للمفردات قيامة.. وإن للأمر قيامة.. وإن للجماعات قيامة.. وإن للأمم قيامة.. وإن للبشرىات بطبقاتها قيامة.

فما شأن الفرد في قيامته، بالبشرية في قيامتها؟ إن الذي يعني الفرد إنما هو أمر الفرد لأمر نفسه.. وإن الذي يعني الأسرة إنما هو أمر الأسرة.. وإن الذي يعني الجماعة إنما هو أمر الجماعة، وإن الذي يعني البشرية إنما هو أمر البشرية.

إن الذي يعينهم إنما هو العلم بما يعينهم. وإن العلم بالنشأة وتماها خصصت له رسالة ورسول، كما أن العلم بالساعة وساعتها، والقيامة وقيامها خصصت له رسالة ورسول. هو رجل الساعة، وهو رجل القيامة، {وإنه لعلم للساعة}، (أنا هو الحق والقيامة)^{١٥}، وهو ورجل الرحمة والنشأة يتعاقبان، في دوام يأتي أحدهما بعد الآخر، (هو ولدي يملأ الأرض عدلا وقد ملئت جورا)^{١٦}، (بعثت والساعة كهاتين، وما سبقتهما إلا كما سبقت هذه هذه)^{١٧}، (لا مهدي إلا عيسى)^{١٨}.. (خلفت الله عليكم)^{١٩}.. (من كنت مولاه فعلي مولاه)^{٢٠}.. (فاطمة ابنتي روجي من أغضبها أغضبني)^{٢١} ومن أغضبني أغضب الله^{٢٢}).

فلكل كيان من هذه الكائنات من الفرد في جماعته أو الجماعة في فردها، أو الجماعات في اجتماعها واختلافها في وحدتها وشتاتها، لأحديتها وانفلاقها، أمره على ما يعنيه، ودينه على ما يرضيه، وشريعته على ما يقيمها، ولكن نُشْغِل أنفسنا أفرادا، بما ليس في دائرتنا إمكانا، ونغفل في جماعاتنا تواصلنا بما يكون لمفرداتنا، حقا بيننا مداننا، يصلح به جمعنا، ويتوثق به اجتماعنا.

إن صلاح الأسرة من صلاح الفرد، وإن صلاح الفرد من صلاح الأسرة. {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}^{٢٣}، وإن صلاحية الجماعة، من صلاحية الأسر والأفراد فيها، وإن صلاحية الأسر، من استقامة الأفراد والجماعة، أو تُشْكَون منها في ألفتها واجتماعها.

إن الصلاحية، لا تقوم إلا في دائرة الإدراك لأسبابها وطريقها، والإدراك لا يتيسر إلا في بيئة الحرية، وإن الفرد غير المتحرر الذي يسجن نفسه وعقله، في حدود عقل الآخرين، من بيئته أو من بيئة آبائه وأسلافه، لا يتمتع بالحرية، ولا يسلك طريقها.

إن الحرية ليست فرض الإرادة على الآخرين، ولكن الحرية هي فرض إرادة العقل على النفس، في ملك الذات. (الملك من ملك نفسه)^{٢٧}، والحر من حر عقله، والحي من أحيا قلبه، والطلاق من أطلق روحه، وصاحب الملك، ومالك الملك، من ملك ذاته، والمتحقق المدير، من وجه بالحكمة نفسه بصفاته وإمكاناته. إن مملكة الدوام هي الدين، وإن مملكة الزمان هي الدنيا.

إن الدين على مستوى الفرد، هو أساس الدين، في كل المستويات، فهل تواصى الناس، في جمعهم، بأسرهم وجماعاتهم، وأممهم وبشرتهم، بالحق.. للفرد، ليربح الحياة؟ ليكسب الحياة؟ {فاستقم كما أمرت}^{٢٨}.. (عليك نفسك)^{٢٩}، وهذا هو شرف الكائن البشري، وفرصته كإنسان بالبشرية، فيها ومنها وبها يتواجد الحق، لقائم وجود الحق الإنساني، للوجود الكوني، بكون لكونه، يتواجد من العدم نفاذ أمره وإرادته.

لئن استقمت وحررت نفسك تَكُنِّي، (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)^{٣٠}، (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)^{٣١} يوم تكون بعملك كلمة لله ورسولا منه، وعبداء له، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}^{٣٢}.

فإن سهرت على من عُلْتَ، فكونت لك بيتا، يذكر فيه اسم الله، وقد جعلت من البيت الموضوع قبلة لك، تصاعدت كلماتك لله منك ورُفِعَتْ بيتا، يذكر فيه اسم الله {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه}.. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله^{٣٣}، يدعو الله كل أناس بإمامهم، مذكور وجودهم، في أنفسهم، في قلوبهم.. في عقولهم.. في هياكلهم.. وفي أنفسهم أفلا تبصرون. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}^{٣٤}.

إذا استقام الأفراد، على مراد الله بهم، استقام جمعهم ومجتمعهم، واستقامت وحدتهم، وعرفوا وعرفوا معنى التوحيد، وآمنوا بالواحد، وعملوا بالأحد، {قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى، وفردا، ثم تفكروا}^{٣٥} {رجلا سلما لرجل}^{٣٦}.. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)^{٣٧}.

إذا توحد القلب مع القلب.. فهذا هو التوحيد لدين الجماعة، بنواة من فرد توحد فيه العقل مع النفس أو الرأس مع القلب في قائم القلب، فإذا قام التوحيد بوحدانية القلوب قام التوحيد في المفردات بوحدانية النفوس والعقول في هياكلها لقائمتها، وقامت الحكمة وعمت، وعملت الرحمة وتمت، فكانت

القلوب المتحدة من قلبين نواة للجماعة الموحدة، وللإنسانية الرشيدة، في مراقبها، بالخلقة الجديدة، بعثا بالحق، جديداً للقديم، في أحسن تقويم.

تعالى القديم في كماله، وكلُّ الجديد به في حاله، {وأنه تعالى جدُّ ربنا، ما اتخذ صاحبة ولا ولداً} ٣٨، فإنما يقوم الحق بالإنسان بالقلوب تتألف وتتحد لا صاحبة ولا ولد. فما تجدد الجديد بقديمه، في أحسن تقويم، لأن قديمه اتخذ صاحبة وجاء به وليداً، من صاحبة وولد ولكن تجدد الخلق الجديد، بحق الخلق القديم لا يربطهم الصاحبة أو الولد بإرادة كليهما للآخر، بإرادة القديم للجديد، باصطفائه لنفسه، يوم أراد الجديد، أمره القديم لنفسه بطرقه للطريق السليم إلى التقويم المستقيم، فاستقام في أمره على ما اعتقد، وعرف، بما إليه هُدي، من أن القديم، في أحسن تقويم من الإنسان هو المثل الأعلى لقائمه من الناس، والغاية المرتضاة لقادمه منهم بيعث به لهم من قائمهم.

فكان الإنسان بقائمه ذكراً محدثاً، لذكر قديم آدما لبدايته ومهدا لإنسانيته، بذلك ارتبط به القديم له بالجديد منه، لا عن صاحبة ولا ولد، بل عن إرادة صحبتها مشقة وكبد، بمجاهدة وسعي بدءاً من الأزل ويبقيان إلى الأبد، خلق القائم بهما نفسه بنفسه، فكان الحق الخالق وما خلق. إن رباط القديم بالجديد، هو منشود الجديد من القديم، وهو مراد القديم بالجديد، وبذلك كان الحاضر بهما لهما بين يدي رحمة الوجود المطلق. إن الحاضر هو الذي يعرف ويعلم بلفظ واسم، لعليته على الوجود المطلق بموجوده.

جعلت رسالة الوجود باسم الله، بين القديم والجديد له، بعروة وثقى وإنسانها، أمة وسطاً، وحقا وسطاً، وعالماً وسطاً، وأمرأ وسطاً، وإنسانية وسطاً هي إنسانية ما بين السماء والأرض، إنسانية الروح في أشباحها بين ذات الحق بالملأ الأعلى، وذاته بالخلق بالملأ الأدنى فيها، {مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان} ٣٩.

بذلك قام رسول الله، وبذلك قامت أمة رسول الله، أمة مخرجة للناس، بين قديمهم في أمرهم ونوعهم بالحق، وقادمهم لأمرهم ونوعهم بالحق لموصوف الخلق، برزخ الحياة، بين الحياة أزلية، وبين الخليفة أبدية، بذلك شرفت أمة رسول الله، وبذلك شرف أمر رسول الله، مظهرها على الدين كله، قائماً بالأمر كله، شهيداً على الشهداء، وولياً للأولياء، ونبياً للأنبياء. زويت له الأرض.. وأشرقت به قديماً بنور ربها وفي كل وقت وحين.

عرف منشوده، في كفايته بنفسه، لقائمه بيتاً لله، يذكر فيه اسم ربه، جامعاً قديمه وقادمه، لمعنى أزلي الحق، وأبدي الخلق، في قائم موجوده، ظاهر ذلك لديه في أمره لشهوده، إنه نفس علمت ما قدمت

وأخرت فعرفتها كوثر معناها لقديم في قائم لقادم لا ييتر، فكان رسولا بما عرف كافة للناس يقتدوه وفي كل ما بلغ يبلغوه يوم يتابعوه، بإيمان بالله ورسوله لقيامهم يقوموه.. لله يعرفوه.

كان بنفسه على نفسه فيما علم قدوة للعالمين، وكافة للناس، بها كان رسول الله في الله على ما هو الأعلى من الأعلى في الله وعلى ما هي الرسالة فيه لكل من كان منه بحقه إليه بخلقه.

فإذا ما تابعه الناس مؤمنين بالله ورسوله، كان لهم من الله ما منه له، قد عرفوه به، {فاتبعوني يحببكم الله}،^{٤٠} وإن أحبكم الله، وهو محبكم ما تابعتموني، (كان لكم من الله ما لي)^{٤١}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}^{٤٢} (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)^{٤٣}.. {وابتغوا إليه الوسيلة}^{٤٤}.. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}^{٤٥}.

إن صلتكم بي، هي الصلاة الوسطى، وما كانت الصلاة إلا الصلة بين العبد وربّه، فإذا قامت الصلة بيني وبينكم ووصلتموني ووصلتكم، قامت الصلة بينكم وبين ربي، فأنا منه لكم رحمة مهداة، وصلاة تقام فتقوم بلا انقطاع.. فإن كنتموني كنتم، وإن كنتم كنتموني، وإن كنتموني وكنتم، كنتم صفوة القديم للإنسان، وكنتم أصل ودوام القادم للإنسان فكان لكم الخلود والدوام، على ما هما لي.. (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^{٤٦}.. ألم يقل لكم الله {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}^{٤٧}، ولك جعلناه، {إنا أعطيناك الكوثر}^{٤٨}، وعن غيرك منعناه، {إن شئت هو الأبر}^{٤٩}.

(لا تؤمنون بالله ورسوله، حتى أكون أحب إليكم من مالكم وولدكم ومن أنفسكم)^{٥٠}.. فإن كنت عندكم كذلك، فقد أحببت أنفسكم، وحققت أنفسكم، وأحييت أنفسكم، وكان لكم الخلد في الله (من كان مني كنت منه)^{٥١}، وقام به الناموس يدور في الحياة دورة متصلة خالدة بداياتها ونهاياتها.

بذلك كان الله عندنا.. وفي ديننا ووعينا، قيوم قائمنا لسليم عقائدنا، كما كان بقيومه قائم ما قبلنا لنا، وهو ما بعدنا بنا بمن قام بالحق منا، وهو ما نحن بينهما لنا وعلينا ومنا، فهو البعيد عنا بمطلقه فوقنا، وهو ليس بعيدا عنا بإحاطته بنا في موجوده لنا، نحيا في كرمه وجوده، وبكرمه وجوده تتواجد موجودين متواجدين متجدين متزايدين متسعين في موجوده لمطلقه. نسعد بآلائه، وبآلائه نتحقق بوجودنا بنعمائه.

(لا يدخل أحدكم الجنة بعمله - حتى أنت يا رسول الله - حتى أنا، إن لم يتغمدني الله برحمته)^{٥٢}.

وبنعمائه فينا لنا بنا عرفنا أنه ليس لنا نعمة إلا سلامة أنفسنا، وأن ليس لنا أعداء أو شقاء إلا خيبة أنفسنا (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)^{٥٣}، وإن الله سريع الحساب، فلا تنظر إلى الآخرين، بعين العداء، ولكن انظر لهم إن أتوا ما لا يرضيك، بعين الجزاء منك يقع عليك، ردا لفعل صدر

عنك. وإن أعانوك على ما يعينك، فانظر لهم بعين الرضاء يصادفك ويكشف لك من الله، فإن الله من حولك بإحاطته وبتدبيره وإرادته وحكمته. كما أنه قائم عليك، ومعك، وفيك، بجوده وكرمه ونعمته.

عامل الله دائماً في كل من تعامل، فأينما تولوا فثم وجه الله. واذكر ربك في نفسك يهديك ويغنيك ويشهدك فهو يراقبك ويحاسبك. واجعل معاملتك معه، تضرعا وخيفة، واجعل معرفتك به، وتعارفك إليه دون الجهر من القول، واسع إليه بعملك واستقامتك بالغدو والآصال، وكن في صلتك وصلاتك في كل أوقاتك، فلا تكن من الغافلين، إنه معك في يقظتك، ومعك في منامك، ومعك في قعودك وقيامك.

إن الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، جعل مقر وجوده فيك لا تأخذه سنة ولا نوم. هل تأخذ السنة أو النوم قلبك؟ لو أخذ قلبك سنة أو نوم، انتهى في هذه الدار وجودك، فلا تظن أن الله عابث بإيجادك، بموجودك في هيكلك، (إنما خلقتم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار) ٥٤.

إن باب الموت، ما هو إلا مفازة، من دار قيامكم لدار لمعنى أخراكم، لمعنى الآخرة لكم، وقد تكون هذه الدار في دورة الحياة بدورها أخرى، لدنيا مآلكم لأخراكم منها، يوم تبعثون إلى هذه الدار، مرة أخرى وتدخلونها كما دخلتموها هذه المرة، لكرة رابحة أو خاسرة، لكراتكم عليها وعلى غيرها يوم تردكم السماء، ذات الرجوع، يوم لا تراكم ثمارا صالحة لها ولكنها ترى فيكم ثمارا فجّة غير ناضجة، فتردكم إلى المزرعة.

تردكم إلى الأرض ذات الصدع، لتكونوا حب الحصيد كرة وأخرى، وقد تتكرر هذه في حياتكم المتصلة وفي هذا بلاؤكم في أول أبواب جهنم، وآخر أبواب جهنم وجماع أبواب جهنم. إنها النار الكبرى والصغرى لأهل النار وهي الجنة والجنان والجنة الكبرى لأهل الجنة.. إنها أول عوالم الروح والحياة.

إن هذا هو ناموس الحياة، وقانون الوجود، يوم أنكم تحرصون على كسب أمانة الحياة لدوام وجودكم، وتحرصون على عدم مفارقة الوجود بموجودكم. فطرة الوجود وصبغة الله لكل موجود بالحق يتواجد.

إن رسالة الإسلام.. إنما هي الكشف عن دين الفطرة، على ما هي الفطرة.. إن الفطرة لا يزيد في أمرها نبي، ولا يخلقها كتاب، ولكنها صبغة الله لفطرة الوجود أنتم فيها بأمانة الحياة لموجودكم.

العقل لكم هو أصل الدين فيها بكم، ما تلاقت على التواصي بالحق عقولكم، والنفوس لقوالبكم بيئة العمل، ومجال النشاط والتواجد بمعقولكم، والروح لقائم وقيوم الحق لكم لمعانكم سجيئة الهيكل تطلب العتق من النار في سجن التقييد، وتنشد الجنة في الحرية والانطلاق سبحا في الوجود.

إن العقل متحرر بفطرته، ولكنكم تسجنونه في الموروث من الآباء، وفي معقول الأدعياء. إن الفطرة أزلية.. أبدية.. سرمدية، وإن صبغة الله لها، بها قائمة، لا أول لها ولا آخر.. الأولية فيها لك بأمانة

الحياة، والآخرة فيها لك، لغفلتك مشهودة أو ليقظتك، يقظتك موجودة. فأنت في صبغة الله، أولية بالحق، إن كسبتها فلا آخر لك، عطاء غير مجذوذ، وتكسبها يوم تنهي أمر ظلام نفسك لتبعث بنور عقلك وروح حقك، في بيت التجائك، في متابعة حق ربك برسولك منك وحوض ورودك لك.

هذا هو الدين إن أردنا أن يكون لنا دين مع الحق الرسول من أنفسنا، وهذا هو الوعي إذا أردنا أن نعي.. وهذا هو العلم، إذا أردنا أن نعلم.. اتقوا الله، ويعلمكم الله.. اعبد ربك، واجب الوجود لوجودك، حتى يأتيك بوحدانيته اليقين بوجوده لعين موجودك، وبوجودك لعين وجوده علم ووجه موجوده. لا يفرق وجوده عن وجودك ولا فارق من الكون بينكما في موجودك تتشاهدان فيه وجهها لوجه له لا فرق لكما، ولا تعدد بينكما، فما يكون المؤمن والرب له؟ وما يكون الرب والأعلى له؟ وما يكون العبد في الإنسان للإنسان في المعراج له؟

هذه هي قضايا الدين.. وقضايا المعرفة.. وقضايا العلم.. وقضايا الفطرة.. وقضايا الحق.. وقضايا المجتمع لصالح، أو لصلاح بالقيمة له هم لمفرداته لهم دين.

إن الرب لك.. إنما هو إنسان الحق عليك، يركاك ويرحمك، ويسهر عليك، فإن أضفت الرسول إلى ربه عندك، كان هو وجه الرب لك بك (سيد القوم خادمهم)°. ويقول الرب (اسألني ولو في ملح طعامك)°. ويقول الرسول (لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو نحاصا وتروح بطانا)°، (ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك، وما ليس لك، لن يكون لك على قوتك)°، (اعملوا كل ميسر لما خلق له)°، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته}°. ولكن الإنسان يخلط بين حقه وواجبه، ويخلط بين أمر ربه عليه غنيا عن العالمين، وأمره هو مفتقرا إليه فيراه الغني بمناسكه ويرى ربه المفتقر إلى عمله ومنسكه، فيمن على الله ورسوله بعبادته، أو بعمله، أو بعبوديته، و{الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان}°، {قل لا تمنوا علي إسلامكم}°.

ولكن الإنسان يخلط بين حقه وواجبه، ويخلط بين أمر ربه عليه غنيا عن العالمين، وأمره هو مفتقرا إليه فيراه الغني بمناسكه ويرى ربه المفتقر إلى عمله ومنسكه، فيمن على الله ورسوله بعبادته، أو بعمله، أو بعبوديته، و{الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان}°، {قل لا تمنوا علي إسلامكم}°.

إن الإسلام.. إنما يكون للمثل الأعلى في الأرض، أو للمثل الأعلى في السماء، والله المثل الأعلى في السماء، والله المثل الأعلى في الأرض، والمثل الأعلى في الأرض إنسان لإنسان، رجل سلم لرجل، مثني وفرادي في الله، وجهان له، وجه لوجه، مؤمن مرآة مؤمن، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}°، والمثل الأعلى في السماء روح لروح، {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون}° وبشرية الأرض آخر أطوار المادة، وأول أطوار الروح. وكان رسول الله لنا ذاتا لذواتنا، وروحا لأرواحنا، أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ذاتا وروحا، ومثلا أعلى لنا في الأرض وفي السماء، أولية

عابدين، في دورة الحياة به في دورها وكراتها، كما بدأها برسالة وأمر، في عالم البدء، وسار بركبه في مرتقى بغير انتهاء.

إن رسول الله.. هو العروة الوثقى وحلقة الاتصال، بين الغيب لا ندرية، وبين القادم لا ندرية، في قائم لنا ندرية ولا ندرية، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ٦٥، فن لا يعرف الله في قائمه فلن يعرفه في قادمه، وما كانت له معرفة في قديمه، إنه لم يتواجد ليخلق بعد.

فأين هو الرسول لنسأله!! وهل جاء هذا القول وهو التشريع، ليقوم فينا على ما نتوهمه، لحظة من الزمان ثم ينقطع إعماله إلى الأبد، أم أن هذا القول جاء ليقوم فينا أبداً، على ما كان قائماً فينا أزلاً؟ {ما كنت بدعا من الرسل} ٦٦، {علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل} ٦٧. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٦٨، فيقول البشير به {إن الذي سيأتي من بعدي، هو الذي يبقى فيكم إلى يوم القيامة، فذاك روح القدس} ٦٩، فيقره الرسول ببيانه للناس كافة، {أنا روح القدس} ٧٠، فيصف الصادقون من قوم عيسى قوم محمد {قوم أناجيلهم صدورهم} ٧١، فقد جاء به الموعود، جاء القدوة المتصلة المتواصلة، جاء خاتم وطابع النبوة الدائمة، لطريق الله القائمة. ولكن قومه وسدوا أمره إلى غير أهله بينهم، ففسروا بين الناس مكانتهم، وما زال الرسول يتجدد في البشرية حتى يبلغ الله به أمره.

أمة هي بمفرداتها كلمات لله، ضرب ابن مريم مثلاً لكوثره بينهم بعترته ولكن أمته يصدون عن السبيل، ويصدون عن معناه وعن قيامه بهم أو بينهم، يصدون عنه إلى من وسدوا إليهم أمورهم من طغاتهم وقد وسدوا الأمر إلى غير أهله من بينهم، فلينتظروا الساعة، بكفرهم وقد اتبعوا لزائف آلهة من صنعهم، وقد اتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله لجمعهم، اتخذوا أوثاناً من بينهم، بذوات لم يمشي فيها رسول الله بنور الله لهم، {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة} ٧٢، كأنهم أجهزة، ناطقة أو كاتبة أو حاسبة، من راديو، أو تلفزيون، أو فونوغراف، أو ركورد، أو بك أب، أو ما أشبه.

حملوا القرآن فكان شأنهم شأن من قبلهم، ممن حملوا التوراة، فلم يحملوها مثلهم كمثل الحمار، يحمل أسفارا، يهرفون بما لا يعرفون، وينطقون بما لا يدركون، ينهقون بفقههم، {إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} ٧٣.

يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، لا يعرفونه ولا يقومونه، من أنفسهم ولكن من ورق مصقول من سواد محابرهم مسطور.. لا عقل لهم، لا وعي لهم، لم يمس نور الكتاب قلوبهم، وكيف يمس قلوبهم، ولم تتطهر من مادي نزواتهم، ومسجون العقول لسابقهم؟

كتاب من نور، بالنور أنزل معه لا يمسه إلا المطهرون، لا يمسه إلا قلوب تطهّرت، وما تطهّرت، إلا يوم أنها لربها ذكرت، وفي نفسها عرفت، وبه في معيتها اتصفت، فدعت إلى الله على بصيرة، كما دعا بدؤها وأول العابدين، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ٧٤.

{يقولون بأفواههم، ما ليس في قلوبهم} ٧٥. {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} ٧٦، فيذكرون التابعين وتابع التابعين بإحسان، ولا إحسان عندهم، ولا اتباع منهم، فما كانوا أتباعا للتابعين، وما كانوا في أمرهم بمحسنين، وما كانوا برسول الله بموصول موصولين، بل جعلوا من أنفسهم جندا للشياطين مسخرين.

{الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه} ٧٧، الذين يدركون {الله أعلم حيث يجعل رسالته} ٧٨، الذين يستجيبون لما أُشير إليه استحسانا {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم} ٧٩، الذين يجعلون من الحكمة ضالّتهم، فينشدونها كما برزت من أي إنسان، وفي أي مكان، {اطلب العلم من المهد إلى اللحد} ٨٠، {اطلب العلم ولو في الصين} ٨١.

ومع إغفالهم لذلك كله، يزعمون أنهم الفقهاء الفاقهين، وما عرفوهم أو حسبوهم أو قدروهم، القراء الغافلين. ليس عيبا أن يجهل الإنسان، ولكن العيب أن يزعم العلم جاهل. إن الذي يعرف أنه يجهل، يصح أن يطلب العلم، فلا تقوم بينه وبين العلم الحوائل، ولكن الجاهل الذي يزعم العلم، تقوم بينه وبين العلم السدود والمجاهل.

إن الذي قرأ الكتاب، إنما هو من قرأ كتاب نفسه، من كشف عنه الغطاء فأبصر وقرأ وأدرك، {اقرأ، باسم ربك الذي خلق} ٨٢. {ما أنت بنعمة ربك بمجنون} ٨٣. {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ٨٤. {والقلم وما يسطرون} ٨٥. {إنما هي أعمالكم ترد إليكم} ٨٦. {واتقوا الله ويعلمكم الله} ٨٧. {فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا من لدنا رحمة وعلمناه من لدنا علما} ٨٨.

يوم يتكشف لكم أمركم بالحق، وقد أدركتم أنكم حاسبتم أنفسكم، وأنكم محاسبوها ما زلتم فتعلمون ٨٩ الناس أن يبدأوا جميعا حسابهم من يومهم، بيقظة ضمائرهم، {حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا} ٩٠، ويوم تحاسبون أنفسكم، فكفى بأنفسكم حسيبا، فقد اجتزتم يوم الحساب لكم. فلم تخف الساعة وأمرها عنكم! ولم يحتجب الله عليكم مشهود ربكم في أنفسكم!

فلم تسوفون أمور الدين؟! ولم تسوفون أمور اليقين؟! ولم تسوفون أمر رب العالمين؟! لم تباعدون بينكم وبين الدين، وتزعمون أنكم من المصلين؟! وتنسون هدي الرسول لكم، (كم من مصل لم يزد

بصلاته من الله إلا بعدا) ٩١. (الصلاة صلة بين العبد وربّه) ٩٢. وهدى الحق إليكم {أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى} ٩٣، {فويل للمصلين الذين هم عن [معنى] صلاتهم ساهون} ٩٤. إنكم تصلون صلاة خير منها البعد عنها، ويل للمصلين - المؤدين لحركات باسم الصلاة - الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون، ويمنعون الماعون. ينافقون الله والناس وأنفسهم، ويحولون بينهم وبين نور الله لقلوبهم وعقولهم وقوالبهم.

فهلا هدانا الله وإياكم في معيتنا، إلى أمر الدين، وإلى أمر اليقين، وإلى أمر الله قائما على كل نفس بما كسبت، وإلى أمر الرسول لكم بينكم، في كل وقت وحين، فنطلبه في أنفسنا، ونسعى إليه في كعبته وبيته لقلوبنا، برسول الله لنا معنا نور عقولنا، قدوة مرضية منا لآلنا، في صحبته مع من حقق لنفسه أمره وبصيرته من عترته بيننا.

اللهم يا من هو لنا ومعنا، اكشف حجاب الغفلة عنا.

اللهم يا من كان لنا برسول رحمته، ووجه حقيقته، ونصب حقه، وبيت ذكره، ونور حياته، وحياة نوره، وداني وجوده، للكل في موجوده، رسولا من أنفسنا، ورحمة للعالمين، رسولا من ضمائرنا، رسولا من عقولنا، رسولا من قلوبنا، رسولا من نفوسنا زكية، رسولا من هياكلنا بيوتا مرضية، وعوالم عليّة.. اللهم به فارحمنا.

اللهم به فقوم نفوسنا عندنا، وأحْ ظلامها، وأشعل مصباحها، وجدد لها وجودها، وابعثها بحقك لحقها، حقا لك، وأسماء لك، ووجوها لك، وبيوتا لذكرك، وعبادا لقائم أمرك.

اللهم إنا به آمناء، وله في قائمنا أسلمنا.. اللهم به فآمناء، وأئمتنا، وسلمنا، وإليك نخلصنا، وبك فتواجدنا، وبالحق فابعثنا، ولحقائقك في معراج تعاليك فاشهدنا، وحصن لا إله إلا الله، أدخلنا، وبها قننا، وبها لها أنطقنا وأشهدنا وشاهدنا، ونورها علما علمنا فأنشرنا، ومن العلم زدنا، وتحدث منا وتحدث إلينا وأسمعنا، واسمع لنا، فيمن يسمعنا، {أبصر به وأسمع} ٩٥.

اللهم على فطرة الحياة فافطرنا، وبصبغة الحق فأصبغنا.. وإلى الله فانسبنا، وفي مطلقك بوجودك فأطلقنا، ومن سجن القيود فاعتقنا، ومنزل صدق، في الأعلى أنزلنا، ومن الغل في صدورنا، من حاضرنّا فطهرنا، وخلصنا، واجعلنا منك وجوها لك ناضرة، لوجه لك، بيننا ناظرة، الله من ورائنا بإحاطته، والرب لنا في أنفسنا برحمته، والعبودية لقيامنا ومعانينا، من جوده ومنته.

اللهم ول برحمتك أمورنا خيارنا، ولا تولِ بعدلك أمورنا شرارنا، فلا تولِ علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، وولِ علينا، من تغفر له وتغفر به لنا.

اللهم ارعنا، حكاما ومحكومين، واغفر لنا، حكاما ومحكومين، وتولنا برحمتك وهدايتك حكاما ومحكومين، ووجهنا في الطريق القويم، حكاما ومحكومين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ تم إضافة علامات التشكيل في هذا الحديث وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٢ سورة الإسراء - ١٥
- ٣ سورة الملك - ٤
- ٤ سورة ق - ٢٢
- ٥ استلهاما من {ونحن أقرب إليه من جبل الوريد} سورة ق - ١٦
- ٦ استلهاما من {وهو معكم أينما كنتم} سورة الحديد - ٤
- ٧ سورة الرعد - ٣٣
- ٨ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعتهُ، ويحوطُه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٩ حديث شريف ذات صلة: "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله". أخرجه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) والطبراني في ((المعجم الأوسط))، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))
- ١٠ سورة النبأ - ٨
- ١١ سورة يس - ٨١
- ١٢ سورة طه - ٥٠
- ١٣ كلمة "فعلكم" مكتوبة في النسخة ال pdf "فعلبن" وهذا خطأ مطبعي. الصواب "فعلكم"
- ١٤ سورة القيامة - ٥-٦
- ١٥ سورة البقرة - ١١٥
- ١٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٧ سورة الزخرف - ٦١
- ١٨ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥). أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِبِي. (يو ١٤: ٦)
- ١٩ من حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو". أخرج الروياني في مسنده، وأبو نعيم عن حذيفة. كما أخرجه الطبراني في معجمه.

- ٢٠ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٢١ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٢٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومعناها في السياق.
- ٢٣ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ فَهَذَا وَلِيُّيُّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادٍ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٢٤ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي."
- ٢٥ استلهاما من حديث شريف، جاء بصيغ متعددة: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.
- ٢٦ سورة آل عمران - ٣٤
- ٢٧ استلهاما من الحديث الشريف: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ. أخرجه البخاري ومسلم
- ٢٨ سورة هود - ١١٢
- ٢٩ من حديث شريف ذات صلة عن أحد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآية: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} فقال صلى الله عليه وسلم: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام...". سنن الترمذي
- ٣٠ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيء، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.
- ٣١ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: " فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" أخرجه البخاري ومسلم.
- ٣٢ سورة فاطر- ١٠
- ٣٣ سورة النور - ٣٦ و ٣٧
- ٣٤ سورة الأنفال - ٣٣
- ٣٥ سورة سبأ - ٤٦
- ٣٦ سورة الزمر - ٢٩
- ٣٧ حديث شريف: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ." صحيح البخاري.
- ٣٨ سورة الجن - ٣
- ٣٩ سورة الرحمن - ١٩:٢٠
- ٤٠ سورة آل عمران - ٣١

- ٤١ عبارة للسيد رافع يمكن تأملها في السياق..
- ٤٢ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٣ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} (سورة النساء: ٦٤)
- ٤٤ سورة المائدة - ٣٥
- ٤٥ سورة الأنفال - ٣٣
- ٤٦ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٤٧ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٤٨ سورة الكوثر - ١
- ٤٩ سورة الكوثر - ٣
- ٥٠ إشارة للحديث الشريف في الصحيحين ذات صلة: وكان عمر رضي الله عنه يمشي مع النبي يوما فقال له: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ" صحيح البخاري.
- ٥١ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة متعددة: "إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و" حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.
- ٥٢ إشارة إلى حديث شريف: "لن يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ، قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ". رواه أحمد، ورواه البخاري ومسلم: "سددوا وقاربوا وابشروا فإنه لن يُدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ".
- ٥٣ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلتك كان لك نورا، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك".
- ٥٤ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٥٥ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.

٥٦ في معنى الحديث الشريف: "لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ رَبُّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا، حَتَّى يَسْأَلَهُ شَيْعَ نَعْلِهِ إِذْ أَنْقَطَعَ." أخرجه الترمذي والبخاري وأبو يعلى. ويقترب مما روي في الأثر أن موسى عليه الصلاة والسلام قال له ربه: يا موسى! سلني كل شيء، صغيره وجليله وعظيمه، قال: والله! يا ربي! إنه لترد عليّ الحاجة، وأستحي أن أسألك إياها لصغرها، فقال: لا، بل سلني كل شيء، حتى شراك نعلك، وملح عجينة، وعلف دابتك. وجاء بصيغة "فيما أوحى الله إلى موسى: يا موسى، سلني كل ما تحتاج إليه، حتى علف شاتك، وملح عجينة." بحار الأنوار من المكتبة الشيعية.

٥٧ حديث شريف: "لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطير: تغدوا خفافاً وتروح بطاناً." أخرجه أحمد، الترمذي، وابن ماجه.

٥٨ مقولة للفقيه والأديب السوري علي الطنطاوي. (١٩٠٩ - ١٩٩٩م)

٥٩ حديث شريف: "ما مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا تَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُسَرٍّ لِمَا خُلِقَ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}، إِلَى قَوْلِهِ {فَسَنِيْسِرُهُ لِّلْعَسْرَى} {الليل: ٥ - ١٠}. الراوي: الإمام علي بن أبي طالب. صحيح مسلم

٦٠ سورة الحديد - ٢٨

٦١ سورة الحجرات - ١٧

٦٢ سورة الحجرات - ١٧

٦٣ سورة آل عمران - ٦٤

٦٤ سورة يوسف - ٨٧

٦٥ سورة البقرة - ١٨٦

٦٦ سورة الأحقاف - ٩

٦٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه علم فن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٦٨ سورة الشعراء - ٢١٨، ٢١٩

٦٩ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فِيعْطِيكُمْ مَعْزِيَاً آخِرَ لَيْمُكُثْ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِثُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٤: ١٨).

٧٠ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٧١ من حديث شريف: "صَفَتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلَا يَكْفِيُ بِالسَّيِّئَةِ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ طَبِيبَةُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ، يَأْتِرُونَ عَلَى أَنْصَابِهِمْ، وَيُوضُّوْنَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَا جِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصْفُونَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يَصْفُونَ لِلْقِتَالِ، قُرْبَانُهُمُ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيَّ دَعَاؤُهُمْ، رُحْبَانُ اللَّيْلِ لِيُوثَ بِالنَّهَارِ." أخرجه الطبراني.

٧٢	سورة المنافقون - ٤
٧٣	سورة لقمان - ١٩
٧٤	سورة يوسف - ١٠٨
٧٥	سورة آل عمران - ١٦٧
٧٦	سورة الصف - ٣
٧٧	سورة الزمر - ١٨
٧٨	سورة الأنعام - ١٢٤
٧٩	سورة النساء - ٦٦
٨٠	حديث شريف: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" المحدث ابن باز. يُصنف بأنه حديث ضعيف، ولكنه يوافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلى.
٨١	مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلى.
٨٢	سورة العلق - ١
٨٣	سورة القلم - ٢
٨٤	سورة النجم - ٣٩
٨٥	سورة القلم - ١
٨٦	من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه". صحيح مسلم.
٨٧	سورة البقرة - ٢٨٢
٨٨	سورة الكهف - ٦٥
٨٩	في النسخة ال pdf المنشورة كلمة "فتعلّون" مكتوبة "فتعملون". وهو خطأ مطبعي. وقد تمت مراجعة الأصول الخطية للسيد رافع، والمطبوعة للسيد علي رافع.
٩٠	مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)
٩١	حديث شريف ذات صلة: "من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا". أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".
٩٢	عبارة يتفق على معناها كل المؤمنين بالله ورسوله، وتتوافق مع الآية الكريمة {ذكر اسم ربه فصلّى} سورة الأعلى - ١٥
٩٣	سورة العلق - ٩:١٢
٩٤	سورة الماعون - ٥, ٤

(٧)

وحدانية الله

في وحدانية العقول مشرقة

ووحدانية القلوب صادقة

ووحدانية النفوس متحققة

حديث الجمعة

٣ ذو الحجة ١٣٨٥ هـ - ٢٥ مارس ١٩٦٦ م

(اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا، أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا).^١

(السلام عليك أيها النبي...).

(السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

التحيات لله، والصلوات والطيبات لله، تحيا به كل أرض ينزل بها عباده، ويحل بعقول أهلها رشاده، لو شاء لهدى الناس جميعا، وإنه لهاديهم على ما هم إلى ما هداهم فيما قاموا به، ليصلوا إلى ما سيصيرون إليه، لا شريك له منهم، ولا شريك له منه، أمر يُدرك قيامه يوم يتخلص الناس من غفلتهم بالرجوع إليه، إيابا إلى كمال نشأتهم عين مراده لنهايتهم.

فما كانت كتب السماء أساطير، وما كانت أوراقا في أضابير^٢، ولكنها تصوير للواقع، وكشف للحياة. يقولون وفي دوام يقولون إن هي إلا أساطير الأولين، تتلى عليه أو تردد عنه، فيرددوها مرددوها من ظلاله، باسم المعرفة، وباسم البلاغ، وباسم التنزيل.

وما كان أهل الحق، لعين معناه، في سابق عليه أو لاحق به، ليسطروا أساطير باسم التنزيل، أو باسم المعرفة، ولكنه كان وكانوا ظاهر الحق مدركا لأهله.

فصر القديمة، حارسة الحكمة، وكثانة الله في أرضه، والربوة العالية بحقه، التي جعلها الله مأوى لكلماته، وأمانا لآياته، ومصدرا لبيناته، يوم تكلمت عن إله الشمس، ما كانت تتحدث بأساطير، ولكنها كانت ترى معالم الحق، وحقيقة الخلق، بما يسمو على الإدراك الفطير، فيسمى عند غير المدرك أنها أسطورة إلهية، أو أسطورة الإله.

فما كانت هذه بأساطير، ولا معاني خيالية من تصوير، ولكنها كانت الحقائق، نتكشف لأهلها، فلا يستطيعون التعبير عما تكشف إليهم، وظهر لهم، وقام بهم، إلا بلغة يدركها العقل، ويتقبلها الوعي، ويدفع إليها الأمل، ويحققها الإحساس فيحيط بها الإدراك، وتستقيم بها الغريزة، فتكلموا عن الآلهة، لمعاني وصفات الإنسان، وعن الألوهية الجامعة لهذه الصفات في الإنسان الكامل، إنسان الله وتمام كلمته بحدِيثهم عن إله الشمس.. عن إنسان المجموعة الشمسية.. عن إنسان الحق.. عن إنسان الوجود.

وهذا بعينه، ما أراد كتاب الله مع محمد، أن يقرهم عليه، ويدمغه بوصف الحقيقة لحقيقة عبده ورسوله بقوله {جعلنا الشمس عليه دليلا}٣.. {وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا}٤.

على من تكون الشمس دليلا؟

على إنسان الحقيقة.. على إنسان الله.. على من عرف الحقيقة، وانتسب إليها، موصوف الأذنى لقيوم الأعلى، قائما بعبده لمعنى الرب له، قائما بإنسانه، قائما بوجوده، من موجوده لانهايا مطلقا لا يحد، بوجوده لا تعد في واسع ساحته، في مطلق حقيقته.

فعبر عن هذا المعنى بإبرازه لعبده ورسوله، بقوله {والنجم إذا هوى}٥، فما كان النجم هوى رسولا من أنفسهم، إلا رسول الله.. عبد الله.. إنسان الله.. كلمة الله.. روح الله.

كان محمد بظاهر لباطن من أمره كلمة الله الذاتية، ذاتا من أنفسكم، على مثال من ذوات البشرية، وجها للذات الأقدس فالأقدس، باقية بكوثر منها على ما هي لكوثر القديم عليها، (ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات)٦، وكان كلمة الله الروحية، اقتحم العقبة، وفكت له الرقبة، أي أصبح طليق الفكر، وهو ما نسميه "إنسان طليق الفكر" غير سجين الذات. فقيمه٧ الكتاب بقوله "الطارق"، {والسما والطارق.. النجم الثاقب}٨، فما كان الطارق إلا رسول الله، وما كان النجم الثاقب إلا رسول الله، (ما ظهر الله بشيء مثل ظهوره بالإنسان)، فمن يكون بيننا الإنسان الذي حمل هذا المعنى وتم له؟ {وقل جاء الحق وزهق الباطل}٩، (والذي بعثني بالحق)١٠، {كافة للناس}١١، قدوة لهم، وغاية تطلب منهم.

إن رسول الله بأحده ذاتا، أُعطي الكوثر، يقوم ويتقلب في الساجدين، بما جعل له من نور الله يمشي به في الناس، يأخذ من قطع الليل من الناس، نافلة له، فيجعلها ليلا منطلقا، {والليل إذا يسر} ١٢ فإذا حررها وأطلقها فقبلته بالنور أنزل معه فجر قيامها، ونور قيومها، أشرقت الأرض به بنور ربها، أشرقت أراضي القلوب به بنور ربها.. أشرقت أراضي القلوب به بنور ربها... أشرقت أرض العقول به بحكمة إلهها.. أشرق به الوجود تواجدا به، بالحياة وجودا لوجود، وشاهدا لمشهود.

{والفجر، وليال عشر} ١٣.. فما كان الفجر والليالي العشر إلا رع، والتاسوع الإلهي المتحكم في الكون، على ما عرّفه التوحيد القديم، في ديانات مصر القديمة.. ليال عشر، تجمعها ليلة القدر، تشرق بفجر الإصباح، من قبضة نور الله للحياة للقلوب وللأشباح. (أخذ الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا فكانت، ومنها خلق أرواح الأنبياء، والشهداء والصدّيقين، وخلق الخلق) ١٤، وهو ناموس الفطرة للإنسان الكبير، أو الوجود الشمسي.

إن الذي كان قبل الوجود للوجود لمعنى ذاته، إنما هو الإنسان الموجد. والذي كان للإنسان، قبل وجوده لوجوده لمعناه ولمعنى ذاته، إنما هو الإنسان الوجود. {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا} ١٥. لو أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، لأتى على الله حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا.

فما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره في الإنسان، وما تغيرت صفات الله في صمدية عن معاني الظهور والتزييه، فمتى كان غير ظاهر، فطرأ عليه الظهور؟ ومتى كان غير معروف فطرات عليه المعرفة؟ ومتى عُرِف معرفة أحاط ١٦ بها العارفون به؟

فإذا كان الإنسان قد تواجد لقبله، ليتعارف إليه قبله في أحسن تقويم، يوم يسويه إلى معناه، فينتهي به إلى أحسن تقويم، فمتى كان هذا أمرا بعيدا عن الوجود، وبعيدا عن الحياة، والرسول المظهر على الدين كله يقول لنا لنعرف ونؤمن ونطلب ونعمل، (قبل آدم مائة ألف آدم) ١٧، وإلى ما شاء الله؟ فالقبل والبعد لآدم في الإنسان لله لا يغيب، ولا يدرك، ولا يمتنع عن تجديد نفسه بالتكاثر في كوثره.

إن معرفة الإنسان عن الله، أيسر بكثير، من معرفة الإنسان عن نفسه، وإن معرفة الإنسان عن الإنسان، أيسر بكثير من معرفته عن معناه، بقائم العنوان، فكيف يعرف البنيان بانيه؟ وكيف يعرف العنوان عانيه؟ (المؤمن مرآة المؤمن) ١٨، (والمرء على دين خليله) ١٩، قد يتيسر للإنسان العلم عن خليله، ويتعذر عليه العلم عن نفسه، ولذلك كانت المعرفة عن الخليل هي طريق المعرفة عن النفس، {وهو

معكم أين ما كنتم^{٢٠}، فاعرف الله تعرفك، واطلب الله تظهرك، مع رسوله إليك، وخليله لخلتك، ورفيقه لمرافقتك، لا تتكر عليه لقائم مجتمعتك، وعامله قائم جماعتك، تلقه بوجهه الدليل، ويده السبيل. إن المجهول عن الإنسان، إنما هو أمره، ولذلك طُلب إليه، أن يرى أمره في مؤاخيه، (فليُنظر أيكم من يخال)^{٢١}.

إن الإنسان لا يدري عن نفسه، إلا في مرآة تُظهره لعينه، وإن الإنسان لا يدري عما فيه، إلا عن طريق مرآة تكشفه بما فيه، وهنا كان (المؤمن مرآة المؤمن)^{٢٢}، الله من وراءهما بإحاطته، والله لهما بهما فيهما، بأحدثيته، قياما لمبانيهما بواحديته، ولقلوبهما باتحادهما على محبته بأحدثيته.

{وخلقناكم أزواجاً} ^{٢٣} أزواجاً حتى إلى قائم هياكلكم بمبانيكم لأبعاضها ولمعانيها لها، تزواجا بين القلب والقلب.. تزواجا بين القلب والرأس.. تزواجا بين النور والعقل، فالعقل قيام روحي، كانت الرأس له قياما ماديا، أنظر كيف يعبر جهاز الرأس عما يستوعبه العقل. إن الرأس إذا قيست بما يستوعب العقل من الكتب، ومن الأمور، ومن القضايا لتضاءلت في الميزان أمام هذه الكتب التي يحويها العقل، ويرتبها وينظمها، وعن طريق الرأس للناس يقدمها.

وإن القلب مع القلب، في نفس الوضع. إن القلب جوهره الروح متجسدة، والروح له ليست صنوبرة اللحم والشحم، إنما هي الطاقة الموجودة فيه، الشحنة الطاقية.. الشحنة النورانية.. الشحنة الحرارية.. الشحنة الكهربائية.. الشحنة الإلكترونية.. الشحنة الذرية، هي أساسه وجوهره.

لا يتحكم فيها العقل، ولا يتحكم فيها البناء، فهي تأتي حركتها الرتيبة الآلية لتحريك الدورة الدموية، دون إرادته، لا يستطيع أن يعطلها عن عملها ولا عن حركتها.

فإذا ساد القلب، عبر العقل عن سيادته، وهو ما يظهر من أرباب الأحوال.. وإذا سَوَد القلب العقل، عمل القلب على مراد العقل، وهو ما يقوم بأهل الحكمة {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا. إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين}^{٢٤}، يعني تكون من أهل الحكمة دون أرباب الأحوال.

إن البنيان الهيكل للكائن البشري، يحتوي هذا المركز الطاقى وهو القلب بقدراته الربانية، وإن الطاقة في هذا المركز الصنوبري الصغير، تضيف سلطانها، وتفرض عنوانها، على هذا الهيكل الكبير، ويوم تحيط به بعد الانتشار فيه، تستطيع أن تنطلق عنه مع رباطها به لبقاء الحياة له، أو أن تبقى به مع إدراكها لما تدرك في حال انطلاقها منه، وتستطيع أن تنطلق عنه وتبقى به في الآن الواحد، فإذا تحرر وعمل

القلب، تَفَهَّ عمل القلب، (ذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح)^{٢٥}. فإذا ما سَوَّدَ القلب بقدراته العقل سادت الحكمة وحكمت الرحمة واستوى الرحمن على عرشه.

إن الإنسان بتكوينه على ما هو، يوم يتكشف أمره له، فيسرده في لغة الناس، يقدم لهم قصة، أروع من الخيال، تبدو غيباً على المثال، وتتكشف بعيدة عن مدرك الأحوال مئوساً منها للمثال، (لو رأيتم ما أرى لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، ولما تمتعتم بالنساء على الفرش)^{٢٦}. ويقول الرجل من القوم (لو علم الملوك ما بأيدينا لحاربونا عليه بالسيوف)^{٢٧}، ويقول آخر (سبحاني ما أعظم شأنني)^{٢٨}.

إن الإنسان هو أسطورة الأساطير، وهو جماع الكتب والأضابير.. إن الإنسان، يجمع الوجود الكبير في وجوده الصغير، يوم يكشف له الغطاء عن أمره في موجود الله السرمدى، لا اسم ولا رسم له، إلا بالإنسان له، بالتححرر من مادي وجوده، والقيام بمعنوي حقيقته لأناه لموجده وموجوده.

أعطينا الفطرة، وأعطانا الله، ناموس الفطرة، وهدية الله، بعبد الله ورسوله لاقتدائنا إلى مآله وأحواله، فإذا أفدنا؟

إن قصة محمد في آباءه.. إن قصة محمد في أبنائه.. إن قصة محمد في عشيرته.. إن قصة محمد في بيته.. إن قصة محمد في صحبه.. إن قصة محمد في أمته.. إن قصة محمد في أمه وبشريته، إن قصة محمد في ذاته، أروع من الخيال.. إنها أساطير الأولين، وإنها علوم الآخرين، وما هي في الأولين بأساطير، وما هي في الآخرين بأقاويل، إنها الحق بالإنسان، وإنها الإنسان بالحق، إنها الحق إلى الإنسان، إنها الإنسان إلى الحق.

تقرأون إن شئتم في هذه الأيام، قصة قصيرة، أخرجها كاتب صغير، ليس له في مجتمعكم من الشأن الخطير، أسماها (الخروج من التابوت)، وحمل اسمه، اسم السيد المصطفى للسيد المحمود، وتكيفت وظيفته في الحياة طبيباً بشرياً، يقوم في كتاباته طبيباً روحياً، قد يكون أو لا يكون فيه شيء مما يروي، ولكنه عن موجود في الحياة بحق يروي.

فما كانت القصة وإن كانت في إبداع الخيال خالية من الحق، وهي واقع الحق، على ما هو الحق، ولكنه قدمها على ما وعى مما علم، مما قبل عقله ورضيت نفسه، من مطالعته عن الفلسفة، وعن الرسالة الروحية، وعن الفلسفة الهندية، وعن بعض أو جانب من الحكمة الصوفية، وهذا الذي سرد على سبيل الخيال، إنما هو واقع على سبيل المثال، يوم يقوم الإنسان في أمره وحقيقته.

إن الإسلام وهو دين الفطرة، ليس في حاجة لأن يقيمه وينصره من الخلق ناصر، ليس في حاجة لأن يقيمه من الناس في الناس مقيم، إنه قائم.. إنه الفطرة.. إنه نواميس الفطرة.. إنه الحق.. إنه نواميس الحق.

اتصف الإنسان في الفطرة، بموصوف الخلق، كما اتصف فيها بموصوف الخالق، وتنزه الحق في الفطرة، عن موصوف الخلق والخالق، غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، بالغ أمره، وإن تنزه عن الأمر، وجعل الإنسان فيه لمعنى أمره، سواء كان أمره فرطا، أم أمره مستقيما قويا، يفرط في أمره بحكمته، أو يحرص على أمره برحمته.

إن كتاب الله، إذا ذكر الله في مواضعه، فإن لفظ الله، له في كل موضع في الكتاب معناه، {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى} ٢٩، أما من أظهره على الدين كله وقال له {قل جاء الحق} ٣٠.. فيقول له {هل تعلم له سميا} ٣١.. {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ٣٢.

{ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض، ليقولن الله} ٣٣. {قال فإنا بال القرون الأولى [يا موسى] قال عليها عند ربي، في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى} ٣٤ {سنقرئك فلا تنسى، إلا ما شاء الله} ٣٥، وشاء الله أن ينسى الخلق معناه، إلى الخالق، (والذي بعثني بالحق ٣٦.. من محمد ٣٧).

فإذا عرفنا من كتاب الله؟ وماذا عرفنا عن رسول الله؟ وهل عرفنا أن كتاب الله ما جاء إلا ليعرفنا عن رسول الله؟ وهل عرفنا أن رسول الله ما جاء إلا ليعرفنا عن أنفسنا من الله؟ ما جاء رسول الله، ولا جاءت الرسل من قبله، لتعرف عن الله، كما يقدر الناس، ولكن جاءوا ليعرفوا الناس عن أنفسهم في الله. وفي معرفتهم عن أنفسهم يعرفون عن الله {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} ٣٨، ولا يعرفون عن أنفسهم إلا من أعماق أنفسهم.

إن الله عرفته أو لم تعرفه.. هو الله، أنت فيه وأنت له، أدركت أو لم تدرك، اخترت لنفسك أن تكون خطبا يوقد بك، أو اخترت أن تكون نورا يرى بك العمي، أو اخترت أن تكون نهرا يروى منك الظمأى، أو اخترت أن تكون بحرا يختر فيك الناس بمراكبهم كالأعلام. إنك وجود، وإنك بهيكلك التافه هذا في نظرك، أو المعبود منك، في أمرك، تمثل الوجود الكبير. إن الدورة الدموية فيك، تمثل سبح السيارات في الأفلاك، {وكل في فلك يسبحون} ٣٩. إن استقرار الرأس بين كتفيك، تمثل استواء الرحمن على عرشه.. إن القلب في مركزه من هيكلك، يمثل غرفة القبلة للصلاة، يطوف حولها الناس، من الأبيض والأحمر بكرات دمك، إليها تنتهي سليمة أو محطمة، ومنها تخرج، سليمة أو محطمة، فالسليم

يذهب لأداء وظيفته، والمعيب يذهب إلى (منهج) .. (من ن ه ج) إصلاحه من الكبد {الحطمة وما أدراك ما الحطمة} ٤٠ بجهم (ج ه ن م) وجوده، لإصلاح موجوده {خلقنا الإنسان في كبد} ٤١.

إنك تعبر عن الوجود الكبير، بموجودك الصغير، من حيث بنيانك وهيكلك، كما أنك تعبر عن الحق الكبير، بالحق الصغير، في معنك لمخبرك.

إن روابط مخبرك، مع معلبك بذاتك، على ما هي كائنة، هي أمر يكشف عما هو الوجود بعينه، في كبره للأكبر، وفي مبانيه في علاقته ببانيه.

فإذا قال لك عبد الله ورسوله، وحقه وخبره وأثره، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان .. وما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان، وما أكرم الله شيئاً بمثل ما كرم به الإنسان، فما قال ذلك لك أسطورة ولا أرجوزة، ولا ملهاة، ولكنه قال لك بما عرف، وقد عرف الدين كله، وقد أظهره الأعلى على الدين كله، فقام وجه الأعلى ويده وقدمه، وعينه وسمعه {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله} ٤٢.

ولو لم تجادل ذلك ما سمعها الأعلى لك، وقد أبصر الله، من تقوم وتقلب فيه بالسجود له، ولو لم تقم به ما أبصره، وما نظر إليه، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يكلمهم، وما هو إلا الأعلى لك، أما المطلق فأمره شيء آخر وشأنه شأن آخر.

إنهم عصوا الله، يوم عصوا رسوله، وخاصموه، يوم ازوروا عن يده برسوله مبسوطه لهم، وظاهروه يوم جانبوا وجهه برسوله، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} ٤٣. وما كان وجهه لوجههم له إلا رسوله إليهم.

إن الدين كله .. وإن العلم كله .. وإن الطريق كله .. وإن الاستقامة كلها .. وإن الخلق العظيم، لمن يريد أن يتخلق بخلق الله، إنما ذلك كله عند رسول الله. فكيف تقبل عقولنا أو تقبل عقائدنا أن الله قد غيب ذلك كله ولم يجدده فينا كلها تجددنا، ثم يضعنا موضع السؤال، وينظر إلينا معاتباً، عانياً، لأننا قد خالفنا المثال؟

أين هو المثال .. إن لم يكن قائماً دانياً؟ (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ٤٤. (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ٤٥. (لا يزال هذا العلم يحمله عدول، من هذه الأمة طبقة بعد طبقة، إلى أن تقوم الساعة) ٤٦. (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) ٤٧. (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) ٤٨. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها) ٤٩.

وما الساعة إلا يوم تنشق الأرض عني مرة أخرى، على ما انشقت عني في قديم، (أنا كائن قبل آدم) ٥٠. (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ٥١، وأنا كائن بعد آدم، (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم) ٥٢، يوم تنشق الأرض عني، وتشرق الأرض بنور ربها بي، تلد الأمة ربها {أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} ٥٣. وما كان ربها إلا معاني بالمقام المحمود به أبعث بأبنائي وكلمات الله لي، فما عرفني غير ربي.. لست على هيئتكم، لست كأحدكم، لست على صورتكم {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا} ٥٤ في يوم أو عصر، لا بيع فيه ولا خلال. يومئذ يخرجون من أجداث ذواتهم إلى ربهم ينسلون، كأنهم إلى نصب يوفضون، خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة، إنه سلطان النفس، على النفس يوم يداول الله الأيام بين الناس.

كذبه الناس وخاصموه، ثم نصره عليهم فنافقوه، فتآلف قلوبهم فما ألفوه، فقال له الأعلى مواسيا، لا تحزن، ولا تيأس، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، في {يوم لا بيع فيه ولا خلة} ٥٥ إنه يوم من أيام الفصل فيقول الرسول، لولا آخرتهم إلى أجل، فيجيبون الداعي، إني لا أحرص على أمر نفسي، ولكني أحرص على أمر أنفسهم.

فيقول له الأعلى {وإنك لعلی خلق عظیم} ٥٦. {ولسوف يعطيك ربك فترضى} ٥٧، فيحمل لهم بشرى الإنظار، هذا أمني.. هذا رجائي.. هذا ظني بربي.. (لا أرضى وأحد من أمتي في النار) ٥٨، إذن {واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون} ٥٩.

{وقل جاء الحق وزهق الباطل} ٦٠. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ٦١، لا تعجل، ولا تدعو إلى العجلة واصبر، وتواصى بالصبر، لعل الله يجعل لك من الأمر مخرجا، في أمر حرصك ورحمتك بهم، يوم يجعل لهم مخرجا من أمرهم، ويؤدبهم ليحرصوا على أمرهم من الله، طبقا بعد طبق ثلثو فيهم كتابك على مكث بينهم بكوثرك، محفوظا لهم بأئمتهم، تاليا لكتابك بلغاتهم نحن له حافظون، ونوره بينهم ناشرون.

{ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة} ٦٢. {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ٦٣، فستمكث في الناس، وسيمكث كتابك في الناس، إنا أنزلناك ذكرا، وجعلنا من ذكرك لنا كتابا، وحفظناك ذكرا وكتابا، بدوام عترتك، وبدوام حضرتك لمعاني كتابك، تقوم وتثقل في الساجدين، منظورا منا، مسموعا لنا، مجابا عندنا، لا تخفى على مؤمن بنا.

فيقول الرسول، (تُعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وان وجدت شرا استغفرت لكم)^{٦٤}.. (أنا حي في قبري)^{٦٥}، إن أدركت ذلك عقولكم.. وأنا قائم بجوار الرفيق الأعلى، إن استساغت ذلك عقائدكم.. وأنا معكم في دوام حريص عليكم، بنور الله معي ولي أمشي به في الناس، إن قبلت ذلك نفوسكم، واستقامت عليه أموركم.. أنا لكم الخلاص من موقوتكم لدائمكم.

فالخير لكم ما بقيتم معي على ما أنتم اليوم معي، لم تخرف طريقكم، ما رأيتموني في بيتي وأهل بيتي وعترتي، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)^{٦٦} نعم هم أحياء في قبورهم، ولكنهم في حياة قبورهم لا يعملون بينكم.. نعم هم إلى جوارى مع الأعلى، ولكنهم في جوارهم معي مع الأعلى، لا يبسطون أيديهم إليكم. كيف أفعل أو يفعلون وأنا وإياهم في دوام بجديد لنا بينكم؟

ولكنهم في دوام بكوثري بهم، هم بينكم بجديد لي، وجديد لهم، نقوم ونتقلب في الساجدين منكم، والصالحين من بينكم لخيركم، ورحمة من الله للعالمين، بنا تتزايد بتواجد بكسبكم للحياة بنا نحن أحواضها، فاشهدونا فيهم، واعرّفونا معهم، لتقومونا في أنفسكم قائم الحق، وقيومه بكم.

واعلموا أن الناموس والقانون، إنما يدعو كل أناس بإمامهم. واعلموا أن الحقيقة والتحقيق، إنما هي في مرآة المؤمن مرآة للمؤمن، واعلموا أن الطريق والسلوك والاستقامة، إنما هي في المؤمن يقوم على دين خليله، يعرف فيه الإيمان والاستقامة. إن الله يعظكم بواحدة، {أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا}^{٦٧}.

إن الوجدانية إنما هي في اتحاد قلوبكم. إن الألفة مع الله، إنما هي في تآلفكم، به فيه توصيا على طاعته، وعلى محبته بالإيثار والتحاب بينكم. إن التوحيد إنما هو في اتحاد نفس بنفس.. باتحاد قلب بقلب.. في اتحاد عقل بعقل. إن الوجدانية إنما هي وجدانية العقول مشرقة، ووجدانية القلوب صادقة، ووجدانية النفوس متحققة، ووجدانية القوالب قالبا واحدا، {إنما المؤمنون اخوة}^{٦٨}.. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)^{٦٩}.. (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر)^{٧٠}.

هذا هو الدين إن أردتم أن يكون لكم دين.. وهذا هو اليقين، إذا أردتم أن تسلكوا سبيلا إلى اليقين.. وهذا هو الإيمان، إذا أردتم أن تتخذوا لكم مع الرسول سبيلا ومنه دليلا.

فما يكون حالنا مع هذه الحقائق؟! أنتم أدرى به وأعلم، وليس معييا أن تعيبيوا على أنفسكم، ولكن المعيب أن تعيبيوا على الله.. ليس معييا أن تعرفوا جهلكم بأنفسكم، ولكن المعيب أن تتجاهلوا الله في أمركم.

(أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^{٧١}، وإنك إن لم تكن بدخول حصن لا إله إلا الله، تراه يوم تتعكس إلى نفسك، ويكشف عنك غطاؤك فلا أقل من أن تعلم أنه لا إله إلا الله، وتجاهد أن تقوم محمدا رسول الله، ظلا لمعناه وآدما وكوثرنا لمبناه.

اللهم يا من جعلت منا فيك العبد وربّه، والرّبّ ورسوله، على ما شهدنا في عبدك ورسولك، فقمناه عبدك ورسولك بمحبتنا له، فأحبنا بك، فكان روح قلوبنا، ونور عقولنا، وحياة قلوبنا، وسفن مبانينا، وحقائق معانينا، فشهدنا به أنه لا إله إلا الله، يوم شهدنا محمدا رسول الله، وشهدنا به لا إله إلا الله، يوم شهدنا بك محمدا رسول الله.

فأسلمتنا شهادة لشهادة، وقيادة لقيادة، فعرفنا الله قريبا وليس بعيدا، وعرفنا الله بعيدا وليس قريبا، عرفناه هو المقارب بحقائقه، وعرفنا أنجز من أنا له نقارب، فسألنا الرسول عنه، فبشرنا الرسول به، وحققنا الرسول بجمعنا عليه، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ^{٧٢}.

فعرفنا الرسول وربّه لنا بيننا ومعنا في دوام، وأن الله من جانبه هو بهما معنا نحن فيه لا نحيط به وهو لنا في سلام، أقرب إلينا من حبل الوريد.. قائما على كل نفس بما كسبت، من ورائنا بإحاطته. فصدقنا البلاغ، فكنا من الصديقين، وأجبنا الداعي، فكنا من الملبين، فتكشف لنا الحق، فكنا من الراشدين.

فآمنا بالله لنا ربا للعالمين.. حقا ورسولا، عنا لا يغيب. هو شمس أراضيه لقلوبنا، فعرف الناس شمسهم تغيب وعرفنا شمس قلوبنا عنا لا تغيب، رأينا الشمس في ليلنا، فانقلب ليلنا نهارا، وصار مساونا صباحا، فعشنا في فجر دائم وسلام قريب قائم. هذه هي رسالتكم.

هذه هي رسالة السماء إليكم، ورسالة السماء منكم، أمة وسطا، وخير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف لكم، وتنهون عن المنكر عندكم، وتؤمنون بالله لقيامكم، ظلال قيامه، وعناوين سلامه، ومصابيح أعلامه، وكتب كلامه، وبيان حكمته، وعمد شرعته، وأحواض ماء الحياة لأمته، وأمان وسلام حضرته.

هذه هي رسالتكم، إن أردتم أن يكون لكم في الله بالله إلى الله رسالة.. إنها من الله إلى الله، في قائم الله لمعانيكم، تشهدونه حاضرا لمبانيتكم، ظلال حقه، وصحابة رسوله، وأولياء توليه، به تتولون، من تتولون،

فيتولى بكم من ثلوتون، رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، وحقيقة مدانية، وحقا مقاربا، وسبيلا مستقيما قويا.

{أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٧٣}، لا تتحدثوا بما لم يتكشف لكم، ولا تبخلوا عن الناس بما كشف لكم، ولا تظنوا أنكم بلغت الغاية، أو حققتم النهاية، فما دتم في الله، فأنتم في الطريق، وطريق الله جبل له أول وليس له آخر، (السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له) ^{٧٤}.

إنكم بتوحيدكم لله لجمعكم نقاط الحقيقة، في دائرة اللانهاية.. إنكم بهذه المعرفة والاستقامة عليها، تحيون، وبالحياء تسعدون، وبالسعادة رحمة الله عند الناس تعنونون.. وبالصبر على الناس، بما هم عليه، طلبا لهم، ليكونوا على ما أنتم عليه، تحشرون مع النبيين والشهداء والصديقين، ورسالة الرسول إليكم تجددون رفاقا للنبيين (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل) ^{٧٥}.

إن النبوة بعد محمد، وهو الحق من الله، أصبحت حقا لمصاحبيه، وفيضا على الناس من معانيه، (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل) ^{٧٦}، فإذا قيل لنا هو خاتم النبيين، فليس معنى هذا أن النبوة قد انقطعت، وأن المعلمين لم يصبح لهم وجود، وانتهت الحاجة إليهم، ولكنها بظهوره بالحق نزلت عن مستوى الإكبار، بظاهر الحق بعبد الله جيئة الحق، وسفور الحق، ووجه الحق، اسم الله للخلق، لمعنون الحق، قائما لا يغيب، قديما لم يتقدم، وجديدا لم يجد، أبدا يتواجد بلا أبد، وأزلا ظهر بلا أزل.

فكان محمد هو العروة الوثقى، بين أزلية الحق بالإنسان رشيدا، وأبدية الإنسان بالخلق عنيدا.. كان العروة الوثقى التي يجتمع فيها البحران، بحر الحقائق بالإنسان في قديم، وبحر الخلائق بالإنسان في قائم وقادم. يجتمع فيه البحران، هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج.

اجتمع فيه البحران، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، عوالم النور وعوالم الجان، تتجمع في قائم الإنسان البشري على الأرض، من عالم الإنسان العلوي، لمجد الإنسان الحقي بظهور العنوان، على أرض القيام، جعلت محل خلافة القديم في أحسن تقويم، ليظهر بها ومنها أحسن تقويم، فيتعارف أحسن تقويم في قادم، لأحسن تقويم في قديم، فكان محمد عليه السلام والصلوات الأمر الوسط، والأمة الوسط، بين الآزال والآباد، وما قام فيهما إلا بهما، وما عنون عنهما إلا معناه لهما، بمعناهما له، إن الله وملائكته، لإنسانية القدم، يصلون على النبي لإنسان القيام، يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا لإنسانية الأبد، صلوا عليه وسلموا تسليما.

ففيه يجتمع قديم الإنسان بالحق، وقادم الإنسان بالحق، في قائم الإنسان لموصوف الخلق، رحمة للعالمين، وطريقا للضالين، وإنذارا للغاوين، ويدا رادعة للملتوين، ويد قدرة لمحو الظلم والظالمين.

فهل نحن مع رسول الله على يقين؟! هل تهيأنا لنكون معه على دين؟! هذا أمرنا في جمعنا، لجماعتنا في هذا الزمان، لا نقول أنا منفردين به، ولكن نعرفنا لهذا العنوان، ونعرف لهذا العنوان من قام فيه من عالمنا، ومن قام فيه من قبلنا، ولا ننكر على أن يقوم فيه من يقوم من بعدنا، ونتقبل أن يقوم فيه في الأرض في مشارقها ومغاربها غيرنا برحمة الله، برسول الله، بقائم رسول الله، يقوم ويتقلب في الساجدين، في كل أمة، من أي دين، وفي أي ملة، نتابع كتابا وعنوانا ومعلما بيقين.. إنه الجماع.. إنه الكل.. إنه المفردات.. إنه الحقائق.. إنه الحياة.. إنه رسول الله وكفى.. إنه الحق الذي اصطفى.. إنه الخلق الذي وفي.. إنه عبد الله ورسوله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.
- ٢ جمع ضبارة: مجموعة من الملفات لحفظ الوثائق والمستندات. حزمة من الأوراق. حزمة من السهام. جماعة الناس.
- ٣ سورة الفرقان - ٤٥
- ٤ سورة الأحزاب - ٤٦
- ٥ سورة النجم - ١
- ٦ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناد عننة حتى إلى الذات.
- ٧ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٨ سورة الطارق - ٣ و ١
- ٩ سورة الإسراء - ٨١
- ١٠ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم.
- ١١ سورة سبأ - ٢٨
- ١٢ سورة الفجر - ٤
- ١٣ سورة الفجر - ٢: ١
- ١٤ حديث قدسي متداول في الكتب الصوفية: "لما أردت أن أخلق الخلق قبضت قبضة من نوري، فقلت لها: كوني محمداً، ثم خلقت من نور محمد كل الأشياء." ولكن يوصف في معظم كتب الحديث بأنه موضوع. الحديث له سند في موسوعة الإمام علي بالمكتبة الشيعية بصياغات متعددة منها، من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط.
- ١٥ سورة الانسان - ١

- ١٦ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ١٧ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم".
- ١٨ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ١٩ حديث شريف. (المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢٠ سورة الحديد - ٤
- ٢١ نفس الحديث الشريف في الملاحظة قبل السابقة.
- ٢٢ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٢٣ سورة النبأ - ٨
- ٢٤ سورة القصص - ١٠
- ٢٥ مقولة صوفية توضح الذكر بالقلب له قوة وأثر لا يستهان به.
- ٢٦ من حديث شريف ذات صلة: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني كنت شجرة تعصد". أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.
- ٢٧ مقولة لإبراهيم بن أدهم الزاهد المتصوف. (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف)
- ٢٨ مقولة لأبي يزيد البسطامي.
- ٢٩ سورة الإسراء - ١١٠
- ٣٠ سورة سبأ - ٤٩
- ٣١ سورة مريم - ٦٥
- ٣٢ سورة الأنعام - ٩١
- ٣٣ سورة لقمان - ٢٥
- ٣٤ سورة طه - ٥١، ٥٢
- ٣٥ سورة الأعلى - ٦-٧
- ٣٦ قسم يبدأ به رسول الله حديثه.
- ٣٧ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

- ٣٨ سورة البقرة - ٢٥٥
- ٣٩ سورة يس - ٤٠
- ٤٠ سورة الهمزة - ٥-٤
- ٤١ سورة البلد - ٤
- ٤٢ سورة المجادلة - ١
- ٤٣ سورة الكهف - ٢٨
- ٤٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٤٥ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبرة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.
- ٤٦ حديث شريف: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين." المحدث الإمام أحمد، أخرجه العقيلي وأبو نعيم والبيهقي باختلاف يسير.
- ٤٧ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ٤٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.
- ٤٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٥٠ إشارة لحديث شريف ذات صلة: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب، والحديث الشريف "إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته..". أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.

- ٥١ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البخاري في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.
- ٥٢ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها من السياق.
- ٥٣ سورة النمل - ٨٢
- ٥٤ سورة طه - ١٠٨
- ٥٥ سورة البقرة - ٢٥٤
- ٥٦ سورة القلم - ٤
- ٥٧ سورة الضحى - ٥
- ٥٨ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."
- ٥٩ سورة النحل - ١٢٧
- ٦٠ سورة الإسراء - ٨١
- ٦١ سورة يوسف - ١٠٨
- ٦٢ سورة النحل - ١٢٥
- ٦٣ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٦٤ حديث شريف: "تعرض علي أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ٦٥ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون." أخرجه أبو يعلى والبزار.
- ٦٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ٦٧ سورة سبأ - ٤٦
- ٦٨ سورة الحجرات - ١٠
- ٦٩ حديث شريف: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ." صحيح البخاري.
- ٧٠ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.

- ٧١ حديث شريف مجمع على صحته، جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ." صحيح البخاري، ومسلم.
- ٧٢ سورة البقرة - ١٨٦
- ٧٣ سورة يوسف - ١٠٨
- ٧٤ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.
- ٧٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٧٦ نفس الحديث في الملاحظة السابقة.

(٨)

آدم كلمة الله في ابن آدم حق كامن وكلمة الله بابن آدم، في آدم حق كامن كلمتان لله هما طرفا الزمان في دورة الحياة بالإنسان

حديث الجمعة

٢١ رجب ١٣٨٦ هـ - ٤ نوفمبر ١٩٦٦ م

براءة من الله ورسوله، يبرأ بها، من بريء من نفسه، يوم يبرأ منها لأناه، لأمانة حقه، في قائم أمره، في متابعة من جاءنا، صبغة، لإنسان صبغته، وإنسانا، لصبغته إنسانه.

فكان عليه عنوانا، وله علماء، لمن طلب أن يعنونه، وأن يكون له علماء، عنده به معلوما، حقا قائما، وقياما دائما، عتيقا من موقوته، كاسبا لدائمه، بحبة معبوده، لقائمه بموجوده، في متابعة من كان صبغته، وجاءنا فطرته.

قدّم لنا نفسه، كتاب وجوده، وفطرة موجوده، لظهور فطرته، وقرب صابغه، رسولا من أنفسكم، أول العابدين، وظاهر المعبودين، أحدا من رابين، وواحدا من آلهين، لا حصر للرايين، في رب العالمين، ولا عدّ للآلهين، في مطلق الله للعارفين.

علم لا إله إلا الله، للعابدين، للمتقين، للمفتقرين، للمجاهدين، صخرة الحياة للآوين، وبيت النجاة للعاكفين، ونصب الطواف للحائرين، وقبلّة الصلاة للمتصلين، علم لا إله إلا الله للرافعين، وقائد الركب للمجندين، للمحمودين، وللمحمدين، وللحامدين، وللأحمدين.

عبدا، وربا، وآلها، وإلهها، بين أقداس الله، إلى لانهائيته، عجز العقل عن تقديره، وعجزت الحقائق عن الإحاطة به، وافتقرت الخلائق لطلبه، وقام الوجود في رعايته، وبقيت الأكوان، ممسكة لها يده، كان الإنسان فيه، بقديمه، غيبه وشهوده، وكان الإنسان فيه، في قائمه حقه ووجوده، وكان الإنسان به، في قادمه، غايته ومنشوده، بلا إله إلا الله والله أكبر..

كان محمد الله، لبشرية الله، آدم وجود، وحقّ شهود، وإنسان رحمة. تحدثت الديانات ومؤسّسوها، وتحدثت البشرية ومتواجدها، في قديمها عن آدم، وفي قائمها عن آدم، وستبقى متحدثة في قادمها عن آدم، صوّر لها آدم، وتصوّرت هي آدم، ويصوّر لها في حاضرها آدم، وتُصوّر هي آدم، وسيُصوّر لها في قائم، وستصوّره في قادم. فمن يكون آدم؟ وكيف يعرف آدم؟

يثور الجدل، ويدور الحوار، عن آدم، في هذه الأيام، لا بحثاً عن حقيقة، ولا تأملاً في خليقة، ولكن أحد شركات السينما، مزعج إخراج فيلم عن آدم، فهو يهين الجو، للدعاية لهذا الفيلم عن آدم، لا تعريفاً بآدم ولا طلباً لمعرفة عن آدم.

ولكن ما هي مصادر هذا الفيلم، التي يدور حولها إخراجها؟ إن المشتغلين بإخراج هذا الفيلم، لا يرون مصدراً لهم، إلا العهد القديم من التوراة، في رسالة بني إسرائيل، ولو أنهم أنصفوا أنفسهم، لأدخلوا في اعتبارهم، الفيدا الهندي، الكتاب الهندي، لعقائد الهند، وهو من توراتهم وعهدهم القديم، أقدم وأقدم، وإن أنصفنا القول، فهو أقوم وأقوم.

ولو أنصفوا أنفسهم، وتابعوا سنة الحياة في التطور إلى الكمال والأكل لكان من الواجب عليهم، أن يتخذوا من كتاب الفطرة لمحمد، وكتاب رسالته بالفطرة عن الفطرة، مصدر وعيهم، لإخراج فيلمهم فهو الأكل والأوضح والأحدث والأقوم.

ولكنه التعصب، ولكنه الجهل.. فلا إلى الأقدم يرجعون، ولا بالأحدث ينتفعون، وما جاء ما جاء، في كتاب بني إسرائيل، عهداً جديداً أو في العهد القديم، إلا ما كان يصلح لعقولهم، وتطبيقه نفوسهم، في وقت هذا التعليم وهذا التبليغ.

وإني إذا أشرت إلى الفيدا، أو إلى القرآن، قبلاً وبعداً، لما عند بني إسرائيل، فإنما أشير إلى ما فيهما من الحقائق، لا إلى ما حُرِّفَ إليه الحقائق، عند أمم تابعت هذه الكتب، فيداً أو قرآناً، لفظاً وحرفاً، ولم تدركها جوهرها وحقاً ومعنى، لواقع الحياة، انحرافاً واستقامةً.

ولو أننا عرفنا الحقائق فتلهسناها، لوجدنا ما جاء في كتاب أو صحائف بني إسرائيل، لا يخرج عن معنى ما جاء بهذه الكتب. فما تكلمت السماء عن الحقائق، عند الخلائق إلى الخلائق، إلا بالمتشابه من القول بالأمثلة تضرب أو بالحكمة جوهرها، لمُصوّرٍ من قصة.

شَبَّهت ما هو مجهول على النفس، بمثلٍ مما هو معلوم لها، لإيقاظ العقل إلى ما يستطيع إدراكه، ناموساً من نواميس الفطرة، وقانوناً من قوانين الهدي. ولن ندرك الحقائق، في حديث الإنسان من سمائه، إلى

وليدته على أرضه، إلا إذا عرفنا أن هذا الحديث، إنما هو من وحي الآباء، بحقائقهم، حديثاً دائماً متصلاً إلى الأبناء، في خلائقهم، لا ينقطع أبداً، ولا يتوقف أبداً.

وإن حديث الغيب إلى الشهادة، تعريف عن وحدانية الغيب والشهادة، وقائم الشهادة بالغيب، وظهور الغيب بالشهادة، ما كان إلا علماً للإنسان عن نفسه، لقائم قائمه، لكشف معلومه، بإسلامه لموجوده، في خروجه عن جهله، مزحزحا عن جاهليته، قائماً لقيامه بعلمه، في إسلامه لربه، موجوداً في نفسه، مذكوراً منه لحسه، مبيناً به عنه، بذكره متواصياً فيه لعينه، مع أُخُوَّتِهِ لإيمانه، طلباً لوحداية حقه من شتاته، بجمع قلوب لواسع قلبه، بإنسان رسالته، وحق عبوديته، لظاهر حقه، ووجه ذاته، من باطن سعته بذواته وحقائقه.

إن ما تَكشَّف للناس، من علم عن الطبيعة، وعن الوجود، وعن نواميس التواجد والتطور، وعن شرائع الكائنات، وعن نواميس الحياة للأشياء في الثلاثة قرون الأخيرة لهذا الزمان وخصوصاً الأخير منها، ما كان إلا نفاذاً لما وعد كتاب الإسلام بقوله {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق}¹. وقد استكمل البدء المحمدي الألف من السنين، وسار شوطاً في الثانية الجديد على رأس القرون.

إن إدراك ذلك، إنما هو إدراك عن آدم، وفهم في آدم، وقيام بآدم. إن كتاب الفطرة، على ما فطرها فطرها، إن كتاب الصبغة، على ما صُبِغت من صابغها، لم يفرط الله فيه من شيء. كشف فيه عن سر الإنسان، عن سر الإنسان، جلياباً، وعن سر الإنسان لابس الجلياب.

فأي آدم يعني من يعني؟ هل يعني الجلياب أم يعني الرجل الذي لبس الجلياب؟ إن القرآن، وكل حديث للسماء جاء من قبله، تهيئة لاستقباله وكل حديث للسماء جاء من بعده، بيانا لما فيه، تحدث عن الجلياب، كما تحدث عن رجل الجلياب.

إن الجلياب شيء آخر غير من يلبسه، وإن من يلبس الجلياب كائن آخر غير لباسه. إن الآدم عرف للآدم في الجلياب، وإن الإنسان ظهر للإنسان بالجلياب.

وهذا ناموس الحق في الوجود، بذلك ما عرفنا الحق إلا من وراء حجاب، وما عُرِفَ الحق للمحجوب، بحجاب الجلياب، إلا يوم انعكس إلى نفسه، إلى داخل الجلياب، متجاهلاً الجلياب، أو خالعا الجلياب، أو معدماً الجلياب، أو متحرراً من الجلياب، ما كذبه فؤاده ما رأى، فكيف نماري من رأى على ما رأى.. ونحن لم نر!!

هل تابعناه، فلم نر؟ هل صدقناه، فلم نر إننا له في أنفسنا نرى، وبه في أنفسنا نرى، نرى الحق من الله، ونرى الحق من الله؟

إن آدم الجلباب نفخ فيه صانعه من روحه، ففلاؤه من روحه وهو من حوله المحيط، فاتحد المحيط بالمحيط، وتكشّف المحيط للمحيط، وقد نفخ في الصور، فوضعت الأوزار، وسقطت الأسوار، يوم تلاقى ما فيه من روح الله، مع ما حوله من روح الله تلاقى الجزء منه مع الكل له، تلاقى المركز للدائرة، مع محيط الدائرة، سقطت الحواجز، حول قبضة النور ومركزها بالذات لها، فتماثل الأدنى من الإنسان مع الأعلى بالإنسان، في قائم ذاته بذاته وصفاته، في مطلق الله، بالأعلى لهما، من الإنسان، الذي يقول مخاطبا محتويات الدائرة من مركزها، {فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} ٢٠.

إن آدم الجلباب، ما كان إلا وعاء، لما فيه من الروح، وعلمًا على ما حوله من الروح. إن آدم هو أنت، إن آدم هو كل من يدب على الأرض آدميا، إن آدم الإنسان هو الروح، يظهر يوم تقوم الروح في وعائها من الأرض، وهو ما نشهده في هذا العصر برسالة الروح في اتصالها بنا، إذا أخذنا هذا الاتصال مأخذ الجد، إن الرجل الآدم مرتبة في التطور تبلغها الكائنات البشرية، منها يبدأ التواجد الإرادي والتطور الإرادي للكائن، وعندها يبدأ الاصطفاء من الأعلى لنفسه.

إن أطوار الجلباب، ليست أطوارا لإنسانه، وليست علما على عنوانه، ولكنها فطرة الجلباب، ليتواجد الجلباب، لصانعه، وما كان صانعه إلا روح آدم.

وما ظهرت روح آدم، إلا في جلبابها من تراب الأرض، وإن جلباب آدم من تراب الأرض، في ناموس الله، لا جديد فيه، ولا غيبة لقايم به، قائم دائم، فليسيروا في الأرض فينظروا كيف خلقنا الخلق.. فليسيروا في الأرض لينظروا كيف بدأنا الخلق.. فليسيروا في الأرض وليتأملوا ما كانت عاقبة الذين من قبلهم.. فليخرجوا في السماء لينظروا آيات الله، تظهر لهم، ويواصلون مشاهدة آيات الله، على ما شهدوها، في بدء وجودهم.

فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، وما زال يخلق من ماء دافق، وسيبقى يخلق من ماء دافق، {يوم تلى السرائر، فما له من قوة ولا ناصر} ٣، ويوم يتأملونه في الرجوع بعلم الساعة يعرفونه على ما عرفوه وجهلوه، كما بدأنا أول خلق نعيده، على ما تشهدون، إنا كنا فاعلين، وعلى ما فعلنا، بكم نفعل.

فنحن لكم شاهدون، وفي غد لكم مُشْهِدُونَ يوم تعرفون أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن ما جاءكم من العلم، إنما هو قليل مما ينتظركم من العلم، فلا تطغوا بالمعلوم، وواصلوا الافتقار طلباً للمفقود لشهودكم وواجب الوجود لوجودكم.

يا أيها الناس، أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، سبح الذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، لو أن هؤلاء الناس استقام وعيهم، واستقام علمهم واستقام فعلهم، فاستقام أمرهم، لأشهدونا، وعلمونا، في إخراجهم وتأليفهم، بعرضهم لرواياتهم وفهمهم، كيف تواجد الحيوان من النبات، وكيف تطور الحيوان إلى قمة البشرية بشراً، وكيف نُفخ من روح الله، في وعاء الإنسان جلباباً، ليكون حقاً، واسماً لله، وكلمة لله وثمره من ثمار الوجود.

ولأشهدونا جوهر الوجود شجرة طيبة، دائمة ثابتة، أصلها لسدرتها، وفرعها لسماواتها، لقائم حضرتها، في وحدانية وجودها، لأحد إنسانها علم حقها، يوم يكشف لهم فيكشفون نشأة الوجود من الإنسان على عين نشأة الإنسان من الوجود.

بهذا جاء القرآن، ولو أنهم فعلوا لأتوا بالبيان، ولألهمهم المبين، ولأوحى إليهم من كان وحياً للعالمين، فما كان إلا وحياً يوحى، ما كان إلا أمر ربه للروح، في قائم أمره لحضرته لربه بعوالم الروح روح قدسه.

يلقي الروح منه على من يشاء من عباده، فيقوم النور، ويوهب النور، ويتولد النور من ذات إيجاده لعين وجوده بمن ألقى عليه الروح في إهابه، فقام بباطنه الروح لجلبابه.

إنسان الله، حق الله، اسم الله، كلمة الله، رحمة الله للعالمين، لكل طالب له به يتواجد، وفي كل موجود به يتزايد. يتعدد رحمة للعالمين، ويتوحد في عديده، لأحدية وجوده، علماً على أحد موجدته.

أحواض الحياة.. مصابيح الطريق.. ماء الورد.. وجه الشهود.. طلعة الموجد.. اسم المطلق.. مسيح اللانهائي.. إنسان المعروف.. صفات الموصوف.. خلق الخالق.. بخلقه يتخلق، كل من بخلقه يتخلق.. ياقوتة أحدية ذاته، وعين مظهر صفاته...

علم لا إله إلا الله.. قريب الله أكبر.. نصرة الضعيف.. كرامة الشريف.. نزاهة الأمين.. كتاب العليم.. فعل الحكيم.. حكمة المبدئ.. علم المكبر، لمن قال لا إله إلا الله، والله أكبر.

ماذا انتفعنا بإنسان الله؟ له نخاصم منسوبين إليه، ومعه نتخاصم، برؤيته بجهلنا في المخاصم، موصوف متابعه. لو أن أهل القرآن، طلبوا رسول الله، في كتابه، وجادلوا أهل الكتاب عين كتابه، لأدركوا ودركوا الحق من الله فأخرجت قصة آدم للناس، في قصة حياته.

فما كان الرسول بينهم بأديمه إلا آدم وجوداً لآدم، لشهود كل من شرف ابن لآدم، وكرم ليكون ابناً لآدم، فتهياً ليتواجد، ظاهراً وجديداً لآدم، بعين قديم لآدم، في قديمه، باطن جديده، انطبعا على المحمد باقتدائه، لتحقيق حقه وخلقه وجزائه.

إن آدم وابن آدم، آدمان في مطلق الله، إنسانان في موجود الله، حقان في حقيقة الله، طوى كل آدم، بين أحشائه، ابناً لآدم، وأحاط بكل ابن لآدم، محيط به، لقائم به، لعين أبيه آدم، يشهده في مرآته بقلبه، منه يتواجد، يوم أنه معه لوجوده يتبادل، فبآدمه لأديمه يتزايد، وبه آدمه لظهور منه يتواجد.

فكل آدم ابن لآدم، وكل ابن لآدم هو وجود لآدم، وأصل لآدم، فكل ابن لآدم، أصل لجديد لآدم، وكل آدم أصل لوليد لآدم، لآدم قبله، من خلاله يتواجد، وكل ابن لآدم أصل لآدم قبله لبعده، من خلاله يتواجد. هلا أبرزوا لنا قصة آدم على ما هي دورة الزمان، ودورة الحياة، ودورة الإنسان، فانتشر بيننا لنا العلم الصحيح عن آدم.

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، من غشاء حواه لمعاني جلبابه، وما خلقه وما كان خلقاً، لما أوجد فيه من روحه، ولما جعله وأظهره روحاً منه. فروح الله لا تتعت بوصف خلق وهي قائم وقيوم الحق.

إن ما كان فيه من الروح هو الحق، وإن ما قام بالحق من الماعون هو الخلق {وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد}° وهنا تساوى آدم وابن آدم في الأعلى لهما بالإنسان في أي صورة ما شاء ركه الناموس المطلق.

آدم خلق من تراب في سلالة من طين، ثم قيل له كن فكان، فتواجد بنفسه، لأمره العنوان، ثم نفخ الأعلى فيه من روحه فكان للأعلى العلم والإنسان.

وعيسى، هو عند الله مثله كمثل آدم تماماً، خلقه من تراب من سلالة من طين، ثم من سلالة من ماء مهين، سلالة من آدم، وقال له كن، ففي قديم له كان، وفي قادم له ما زال يتكون، حتى يكون وهو في دوام يتكون على ما كان، ويوم يكون، يتوفاه الله إلى معنى الإنسان للرحمن {إني متوفيك، ورافعك إلي}°.

إن عيسى الذي عرفنا لم يتوف بعد، كلم الناس في المهد طفلاً ويكلمهم علم الساعة كهلاً، مستكملاً حكمته، مستكملاً رشاده، مستكملاً علمه، مستكملاً إنجيله وكتابه، مستكملاً حقه وإهابه، مستكملاً ماعونه وجلبابه، لمعنى آدم، وبيت آدم.. بحوائه، وما حوت، من أبنائه.

إن عيسى لم يظهر لنا بعد، بعبائه، لمعنى، كلمة الله. إن الذي ظهر بها وهي له فيه ومنه إنما هو من ظهر رسولاً لله من بعده وهو من خلاله، بها يظهر هي له، ليكون من ظهر بها من قبله، عين من يظهر بها من بعده، لمشاهد الحق لقيوم غيبه، على قائمه لظاهره، إنساناً لإنسان ورفيقاً لرفيق، فيمن لا رفيق له، ولا مثيل له، ولا مكافئ في المطلق اللانهائي المحيط بمقيداته.

إن محمداً، كان بين قديم مسيحه قيوماً، وقادم مسيحه قائماً مسيحاً لمسيح لله قائماً هو به له ممسوحاً فيمن مسح مسيحه، من قبله، وبمن قام ويقوم مسيحه من بعده. بذلك كان مسيحاً وأمرأ وسطاً، فكان بمعرفته عن نفسه وبعده وقبله خير الأمور.

فما عرف محمد لمعاني ربه، إلا مشهود مسيح مسح فيه لمسيح قبله، وما عرف لمحموده بحقه، إلا مسيحه لمسيح بعده، في محيط الله لأمره، في قائم الله لمعروفه، في لانهائية لتقديره وإدراكه، ومعرفته. بذلك شرف محمد، وشرفت رسالته، وشرف كتابه، وشرف دينه، وشرفت سنته، وشرفت عترته وشرفت كائنات بيته، وموجودات صحبه، وأشياء متابعته، في واحد وجوده، لأحد موجوده، علماً على موجوده، لمعاني ربه، في الله ذي المعارج.

هل أدركنا رسول الله؟ هل أدركنا أن الدين إنما هو في مدارستنا، وتواصينا بالحق، وتواصينا بالصبر، حول رسول الله، طلباً وفهماً وعلماً وإدراكاً ومنشوداً، واعتقاداً وموجوداً، في شعار الإسلام، بلا إله إلا الله والله أكبر؟

قامت معارف الإسلام بمحمد رسول الله، وبمحمد حق الله، وبمحمد إنسان الله، وبمحمد وجود الله لموجود عبده، موجداً لكل ما أوجد، علم موجوده، بموجوده. بهذا قام دين الإسلام، وقام دين الفطرة لمن أراد أن يبقى بالإسلام حريصاً على ما تواجد به من الفطرة، في قائمها، ولا يخرج من دين الإسلام هو في قائمها.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من بموصوف الخلق بالحق أوجدتنا، اللهم بالحق فأبقنا، وعن الحق فأعلمنا، وعن حقك بنا فاكشف عنا أغطينا.

اللهم وانفخ من روحك في أسوار ذواتنا، وضاعف لنا من نور الوجود بك، ومن روح الحياة لك.

اللهم اجعلنا عبادا لك، وأربابا لنا، أربابا لما صنعنا بنا، على ما صُنِعْنَا من صانعنا، أنت الأعلى له صنعت، وبه سويت، وله ولنا بقدرتك قَدَّرْتَ فأوجدت، وحققت، فأحييت، وهديت فأبدعت، وخلقت فحققت، لا إله إلا أنت، ولا موجود بحق سواك.

اللهم بمن حققت فحققنا، وبمن رحمت وجعلته منك رحمة به رُحِمْنَا، على ما رحمت قدوة لنا، اللهم به في معراجنا فارحمنا وقدوة به فاقبلنا، وبه فأوثق وصلتنا، موصولين بك بوصلتنا به، في قيامنا بلا إله إلا الله، وشهودنا لله أكبر، في شهوده قيوم قيامنا، وشرف قائمنا.

اللهم به فادفع عنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام على أرضنا.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.

اللهم به فأصلح أمرنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، جاهلين ومسلمين، غافلين ويقظين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|--|
| ١ | سورة فصلت - ٥٣ |
| ٢ | سورة الحجر - ٢٩ |
| ٣ | سورة الطارق - ٩، ١٠ |
| ٤ | تم تصويب هذه الكلمة وفقا لمراجعة النسخة الخطية المراجعة من السيد رافع. |
| ٥ | سورة البلد - ٢، ٣ |
| ٦ | سورة آل عمران - ٥٥ |

(٩)

أشده الأعلى خلق نفسه فأسراه به منه فيه، ليعلمه ويراه وعرج به منه إليه، من أدناه إلى أعلاه

حديث الجمعة

٢٨ رجب ١٣٨٦ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٦٦ م

بسم الله.. وبحق الله.. وبرسول الله.. وبعبد الله.. إلا ما هديتنا السبيل، وجمعتنا على الدليل، وأرشدتنا للباب. وهياتنا للقاء، وأعددتنا لحقي الولاء، وأدخلتنا في أهل الهدية، وأوفرت لنا منك به العطية. سبحان الله، وهل تواجد في الوجود إلا إياه! سبحان الله، وهل عرفنا في معارفنا سواه! سبحان الله، حين نرضاه.. وسبحان الله حين نلقاه.. وسبحان الله، منفردا في قربه انفراده في علاه.

جعل من الإنسان له عبدا وحقا ولوجوده به علما وعلما، وجعل من الإنسان، لشهوده له ربا، ولأعلى له اسما وعبدا ولقيومه على قائمه معنى، فسرى به في نفسه، وفي نفسه بالأعلى أسراه، لإدراكه لمعناه.

رفع مقامه، وأعلى شأنه، وأوسع عنوانه، فعرج به من أدناه إلى أعلاه، بعقله وإدراكه، في واسع مبناه، في أي صورة ما شاء أبداه، رفعه طبقا فوق طبق وأعلاه وجعله معراجا في معراج، فكلها عرج أغلق من خلفه الرتاج، سلما بعد سلم ومقاما بعد مقام، ليرتقي في معارفه ومعامله بأعلام وأعلام لأعلام.

يتناول كتبه بيمينه كتابا بعد كتاب، يوم يتجاوز في مرتقاه، حجابا بعد حجاب، ذكر في الكتاب، ما كان له من حجاب، ونطق من الحجاب بألواح وكتاب، فذكر في الكتاب نوحا، وذكر في الكتاب إبراهيم وآل إبراهيم، وذكر في الكتاب عمران وآل عمران، وذكر في الكتاب موسى وعيسى، وذكر في الكتاب آدم ابنا لمريم وآدم ابنا لفاطمة وآدم علما للساعة وعلما لها.

وَعَرَّفَ في الحجاب إسماعيل، كان له خليلا، وكان له عنده إلى نفسه دليلا أَشْهَدَ العليّ معناه فيه، لوصف الحق الدينيّ، وَلَعَلَّ الأعلی بقاءم العليّ يوم سوى الأعلی لأعلاه بين العليّ والدينيّ لمعناه.

فَسَبَّحَ اسم ربه العظيم، عليّا، لاقاه، شاهده يوم تولاه، وشَهِدَ الأعلی، يوم آواه وتبناه، وبالعليّ ساواه، ومسيحا دعاه، نفسا متوفاه، وشجرة طيبة لمعناه، أصلها ثابت وفرعها في السماء لسدرته في منتهاه.

تجول في شجرته منها بها لها موجود ثمار، ساريا في دوره من دار إلى دار من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، من البيت الحرام إلى البيت المرفوع، من البيت يذكر فيه اسم الله، وَضَعَ إلى البيت يذكر فيه اسم الله، رُفِعَ فكان ما بينهما مسراه، ومجال نشاطه، وإعلامه وهديه وهُداه.

{وما خلقنا السماوات والأرض، وما بينهما إلا بالحق} ^٢، زويت له الأرض دارا، وزويت له السماء مزارا، وزويت له السماوات والأرض مجالا، واستوى إلى البيت المرفوع مآلا، منه جاء حقا ومسيحا وكلمة وروحا وكَمالا، فظهر بيننا بمبناه آدماء، وللإنسان لأعلاه مثالا وحالا.

عَرَّفَ أن إنسان الله للأرض، من زويت له الأرض وكان أمرها، وأن إنسان الله للسماء، من زويت له السماء وكان أمرها، وأن إنسان الله لله، من زويت له السماء والأرض، أمرا لأمرها وحقا لحقائقها، وشهيدا على شهدائها.

خوِطَبَ من الأعلی، وهو في قيامه العليّ، وَعَلَّمَ البعيد والدينيّ، لموصوف السماوات والأرض، يوم قال الأعلی للسماوات والأرض قائم نفسه لمبناه ومعناه هو قائم عقلها وقيام إرادتها وطاقتها روحها {أَتَيْنَا طوعا أو كرها} ^٣ فقالتا، عقلا ونفسا وروحا، أتيننا طائعين، أتيننا ساجدين، أتيننا مؤمنين، أتيننا مدركين، أتيننا مُعلِّين، أتيننا إليك عارفين، يا أحدا في وجوده، يا واحدا عند شهوده.

إن الذي أظهره ربه على الدين كله، كان له منه ذلك كله، فكان إنسان الأرض، زويت له، وملك زمامها، غرفة في بيته، أو دارا في مدينته، أو مدينة في ملكه، فجعلها، بموجوده بها طهورا، وجعلها، بأعلامه لأهلها مسجدا، وجعلها، بسرياته في بلدانها، وفي كل والد وما وَلِدَ فيها، حقا مشهودا، وأمرها لله معروفا موجودا، رحمة للعالمين.

كان إنسان الأرض وإنسان السماء، وإنسان السماء والأرض، في معراجها طلبا للمطلق، طلبا للحقيقة، طلبا للواسع العليم، طلبا للخالق الكريم، طلبا للعزيز العليم، طلبا للمتجلي الحكيم، طلبا لواجب الوجود لوجوده، أدركه بموجوده، ولم يدركه في مطلقه.

عرفه مطلقاً فنزّهه عن طلب معرفته في مطلقه وطلبه في الأعلى، طلباً لا يتناهى، فكلمها صار إلى أعلى، سيرا إلى مطلوب به شرف، طلب أعلى، وسار إليه بقائه بمن عرف، بحوه عنه فيمن معه تلاقي وعنده عُرف، فكان فضل الله عليه عظيماً، يعجز عنه كل وصف.

قام إنسان الأرض، في إنسان السماء، فأسرى به في نفسه، محيطاً بالأرض، من أقصاها إلى أقصاها، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، فكان محور الأرض ودائرتها، ونقطة التلاقي، ونقطة التقاطع للقائم والقاعد والراكم والساجد.. كان حجر الزوايا متعددة، كما كان حجر الزوايا متلاقية متحدة، تواجدت من حوله الزوايا متعددة، وخرجت منه الآحاد منطلقة، فكان مركز الدائرة متسعة، ومحيط الدائرة مجمعة.

أشبهه الأعلى قائم الحياة، لأنه الحي.. أظهره على الدين كله، لأنه به الظاهر.. وأخفاه عن العيون، لأنه الكنز الثمين.. غيبه على الناس، لأنه الباطن إلى الغيب.

عرج به فيه، بإنسانه للأرض، في إنسانه للسماء، فلقي في كل سماء أمرها، وكشف سرها، ورفع سترها، فأظهر سمتها، سماء بعد سماء.

فإذا هو له عنده إنسان الأرض والسماء، لموصوف الأعلى عنده لمعناه، ولقائم حقه لمبناه، فتقدم مكبراً، وقام بين يديه بصغيره وكبيره، وقد عرفه الأكبر لكبيره، والأصغر لصغيره، فسجد لحقه بين يديه، بنفسه في صغيرها، لنفسه لكبيرها قياماً بالحق لعين ما يشهد، (إذا كنت في حضرته علمني كلاماً أخاطبه به)٤.

فيقول له عقله وضميره، وإنسان السماء له، وإنسان الوحي إليه، يخاطبه لوصف إنسان الأرض فيه، علماً لأعلام إنسان السماوات والأرض لهما، (منك وإليك يا رسول الله)٥.

بذلك اجتمع إنسان الأرض، على إنسان السماء فاجتمعاً معاً على إنسان السماوات والأرض، إنساناً واحداً، علماً، ولأعلى، ولأعلى، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات.

هذه هي أقانيم الإسلام، هذه هي أقانيم الفطرة، إنسان الأرض وإنسان السماء، وإنسان اجتماعهما فيه، إنما هم إنسان واحد لرفيق أعلى في أي صورة ما شاء ركه.

يحتفل الناس في مثل هذا اليوم من كل عام، أو في مثل هذه الأيام بما يسمونه معجزة أو آية الإسراء والمعراج وهم لا يدركون شيئاً عن إسراء، لأنهم ما سَرُوا في داخل أو في خارج أنفسهم قيد خطوات أو قيد أنملة، ولا يدرون شيئاً عن المعراج، لأنهم ما عرجوا بعيداً عن ذواتهم، أو اتجأوا لقلوبهم.. سنتيمترات.

إنهم في مادي وجودهم قابعين، عن ذكر الله فيهم بعيدين، ولذكر الله لهم مجافين، وعن الحق، رحمة مهداة، مع الرسول الرحيم غافلين، مع الرب الكريم جاحدين، مع الأب القويم كنودين، مع الصديق الحكيم مخاصمين، مع الذكر الجديد للقديم مباعدين.

هو الذكر القديم بكسبه لهم، يصيرون هم الذكر الجديد له منه، للذكر القائم ذكرا محدثا لقديمه به هو لهم قديمهم، يوم هم له محل ذكره بما يحدث فيهم، ولكنهم هم في أمرهم به مفرطين.

هو ذكر محدث لله به نقوم يوم نعرفه لنا ذكر الله واسم الله ووجه الله، وحق الله، وسعي الله، وهدي الله، وكتاب الله، وسبيل الله وموائد الله، وأحواض الحياة من الله، فهل عرفناه أم قلوناه؟ وهل ذكرناه أم جحدناه؟

لقد كنا من قبله المنظرين، به ذهب عنا الإبلاس يوم عرفناه، وغيّرنا ما في أنفسنا إلى معناه فصرنا ذرية طيبة بعضها من بعض تابعناه، فنحن من آبائنا لعينه أبناء رسول الله.

إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فهل أدركناه، وبخاصة أنفسنا جاهدناه، بتغيير ما بنا، إلى ما نعلم عن الحق لنا يرسل الله؟ فإلى ما نحب، وإلى ما نرتضي لأنفسنا من الله استبدلناه؟ استبدلناه مبايعين إلى نور الله، مع رسول الله مبادلين فقمنا رسول الله، معيتنا من الله، يوم نُكْرَم، ومعيتنا من الله يوم نُزَحَم، وقائمنا من الله، يوم به نحيا، وعن أنفسنا نفنى، ومنه نُصْطَفَى لنبقى وجه الله؟

{فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم}٦. هل قتلناها؟ هل سمعنا أحسن القول فاتبعناه؟ نعم إنه لم يكتب علينا هذا، في كرتنا هذه، ولكنه كتبه علينا في كراتنا تلاحق، من وعي إلى وعي ومن معرفة إلى معرفة، نرتقي سلم الحياة، سلماً بعد سلماً، على ما قام بيننا عبد الله ورسول الله وفعل بنا لخيارنا، فعل الأعلى به لعياننا، ليكون بما فعل الأعلى له وبه قدوة لنا.

أُسْلِمَ للأعلى له، فهل أسلمنا له إسلاماً لمن أسلم هو له؟ هل أسلمنا لرسول الله بيتاً وعترته وكوثره؟ هل رضينا الإسلام لرسول الله وظلاله بيننا، أم أننا وثنا رأيناه، وتراباً في التراب قبرناه، فما نورا قدرناه؟ وما كان النور لله لنا وللسموات والأرض إلا إياه.

فكيف يفنى النور لله بمعناه، وقد جعله له، يمشي به في الناس، ولم يرفعه من بعده، باقياً لأمته؟ هل يبقى الناس، والذي يمشي بهم من نور الله يفنى! أم يبقى الناس، به باقياً؟ هو لله وجه، وعليه علم، وله اسم كل من عليها منها فان، ويبقى من كان بنور الله برسوله، وجهها لربه للعيان.

الإنسان المحقق لإنسانته لوصف أمر الله به هو لفظ.. الله، هو كلمة.. الله، هو ال لا هو.. هو ظهور الهو، هو ظاهر الغيب، وهو غيب الظاهر، هو جلباب الحق، وجوداً من وجود، ووجوداً يتفتق عنه

وجود وكل وجوده كلما تواجد هو الوجود الوسط، هو في مطلق الله، الأمر الوسط، هو الحق الوسط، هو العروة الوثقى بين الأزل والأبد الإنساني.

{تحدث أخبارها}⁷، {بأن ربك أوحى لها}⁸. إنها لها إنسانها، إنها حق الأعلى لها هي فيه، في السماء تطلبه فيدانيها وتدانيه، يوحى لها، لتعلم عنها ولتعلم فيه، فتعمل مع من أوحى لها، في إعلامه، عنه، بما يوحى لها عنها.

ما كان لبشر أن يكلمه مطلق الله، وهو في موصوف البشر بالتيقيد، وهو في قائم البشرية بالجسد، إلا وحيا، أو من وراء حجاب، من نفس كلية، أو عقل كلي، أو من وراء حجاب من الأرض، أو من وراء حجاب من السماء، سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أن ما يشاهدون من مظاهر الحياة إنما هو الحق، {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا}⁹، وإذ أخذ موسى سبعين رجلا لميقات ربه.. فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

إن الآية التي أبرزتها الطبيعة، في وقتكم هذا، من أيامكم هذه، من أسبوعكم هذا وما زالت توالي إبرازها، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في الآن الواحد وفي صورة تكاد تكون واحدة، وإن تفاوتت آثارها في الأمكنة المختلفة من الفيضانات المدمرة، والعواصف المغناطيسية المخربة، والأمطار الجارفة، والمتحجرة، والجبال المسيرة، والمنشآت المدمرة، إنما هي حديث وفعل من الأرض ككائن حي بذاته، وإنما هي حديث وفعل من السماء الموحية، إنها حديث من السماء لعقل الإنسان، إلى أهل الأرض، لنفس الإنسان، وهي حديث من الأعلى أيضا برد أعمال الناس إليهم، ليشهدهم أعمالهم، ومرددها إليهم، وبها، كيف هم، في حياتهم هذه، كيف هم يقومون، وكيف هم يتصرفون، إنها أعمالهم ترد إليهم وحيا إلى الأرض. إنها أحوال البشر في قديم وقائم متصل لتصرفهم، مع أنفسهم، وفي بعضهم البعض نمت منطلقة طاقة منبعثة إلى سدرة منتهاه، ثم ارتدت منعكسة إلى مصدرها إلى ربها إلى خالقها إلى الأرض، وهو ما تجنيه الأرض من عملها، وظلام نفسها من سريع الحساب، على ما هو الناموس بكلمات الله لها منها انطلاقا، وإليها ارتدادا، برسالات آياته بين ظهرانيها انبعثا بقديم كالاتها.

انظر كيف تأتي الطبيعة في هذه الأيام ودائما من مفارقات ملفتة.. فيضان مدمر في مكان، وقط شامل في آخر، في الوقت الواحد. هكذا يفعل الإنسان، يأكل ويأكل ويأكل حتى يتخمد فيفسد، وآخر بجواره يجوع فيجوع فيجوع، لأنه لا يجد الطعام، حتى يسقط ويتلف، هذا يجمع المال ويجمع المال ويجمع المال، حتى يطغيه المال فيفسده المال، وهذا يقوم في الفاقة وتتعاقب عليه الفاقة حتى تضيعه الفاقة.

(إن من عبادي من لو أغنيته، لفسد حاله، وإن من عبادي من لو أفقرته لفسد حاله) ^{١٠}. إن الله يعالج حال الإنسان بالفرج، وبالتقدير عليه في رزقه، يقتدر عليه حتى يجار، ويعطيه حتى يبدل، فإن جأر أغناه، وإن بذل حماه، وواصله في غناه، يعطي من يشاء بنينا، ويرزق من يشاء البنات، ويجمع لمن يشاء البنات والبنين، ولكن الغنى والفقر أمران لا يعيبان الإنسان ولا يشرفانه، إنما الذي يشرفه كسب معناه، والذي يعيبه فقد معناه لإنسانه، ولو تلاقى الناس على كسب معنى الإنسان لهم ما كان للفقر محلا بينهم، وما كان الغنى عند الغنى إلا محفظة الفقير من بينهم.

لقد صادف فعل الطبيعة للإيقاظ في القاهرة، ليلة المعراج، ليلة الاحتفال بالمولد التقليدي، لمن يذكرونها ولا يعرفونها، زينب بنت البتول، وحفيدة الرسول، يرونها على ما رأوا إياها وأما وجدّها وسائر أهلها ترابا تحت التراب يذكرون، ومقابر من مقابر تمشي على الأرض يزارون، قبورا تزور القبور، وعندما يذكر موجودا بالعدم، فلا نورا عرفوهم، ولا روحا طلبوهم، ولا قياما لهم في أنفسهم سجدوهم، فله عبادا قدّروهم، وحققوهم، وشرفوهم.

فلتكن في قبرها حية، كما قال جدّها مخاطبا الناس على قدر عقولهم (أنا حي في قبري) ^{١١}. هل نادوها ولم تجبهم؟ هل صدّقوا ولم تسمعهم وتسمعهم؟ هل صفوا ولم تبصرهم؟

نعم هي في قبر، لأنهم يرفضونها بينهم أو فيهم أو بين ظهرائهم، نور الله لها ولأبويها ولجديها وأصولهم وفروعهم إنسانية الله لهم، ولكنهم قبروها وقبروهم، وما كانت مقابرهم في الحقيقة، إلا قلوبهم (قلوبهم منقبرة) ^{١٢}. هل في قلوبهم ذكروهم، ولم يبعثوهم؟ هل أحبوهم، فلم تكشف عنهم أغطيهم ليشهدوهم؟ إنها نور جدها وأبائها، إنها حق إلهها وروح بنينا، إنها النفس العذراء، إنها الشجرة الزهراء، إنها روح القدس للأبناء، إذا عرف الناس ما معنى روح القدس فطلبوا لأرواحهم روح القدس نورا على نور.

إذا صدّقوا الرسول يقول لهم (أنا روح القدس) ^{١٣}، هل يموت روح القدس؟ وهل يتعطل روح القدس؟ لو أنهم صدّقوا الله، أنه وحي يوحى، لاستقبلوه وحياء، ولو أنهم جاهدوا أنفسهم، لهدّوه سبيلا، ولو أنهم آمنوه كوثرًا للاقوه دليلا، ولو لاقوه دليلا لاجتمعوه ذاتا ومؤنسا وخليلا.

إنه سبيله، إنه دليله، إذا سألك عبادي عني فإني قريب أقرب من جبل الوريد أجيب دعوة الداعي إذا دعان.. وكيف نسأل شيئا أو أمرا أو مسئولا، غير موجود؟ كيف نسأل معدوما نحن نغفله قائما معلوما؟ وكيف يطلب الله إلينا مستحيلا وقد جعل من السؤال عنه ممن يعرفه خيرا ورسولا، أمرا وتكليفا، وميثاقا غليظا، وحملنا ثقيلًا؟

سبحان الله، تردد ألسنتنا اسم الله، لا نعرفه إلا لفظاً وحروفاً، ولا نرانا له لفظاً، ولا نرى في قيامنا به حروفاً، لا نترتل بأنفسنا قرآنًا، ولا نتجمع بقلوبنا بنيانًا، لنكون كتابًا وعنوانًا، ولا تتلاقى عقولنا لنكون رسالة ووجودًا وحققًا مشهودًا، ومع ذلك فنحن المسلمون!!

فُتْنَا في قديم، وما زلنا مفتونين في قائم، إذ ارتددنا عن الإسلام مع علمه، وقد كنا من قبله مبلسين، فجاءنا به أمر الله، ليخلصنا من إبلاسناء، بتغيير ما بأنفسنا فوقفنا أمام الباب، لحظة من الزمان مترددين، وبين الدنيا والآخرة مبهوتين حائرين، ما لبثنا بعدها أن رجعنا إلى جاهليتنا من الجاهلين، فإذا نرانا بين المرتابين وتحت لواء الطاغين، وقد ارتبنا في الله ورسوله لأمرنا ولوجودنا قائمين وبنا فاعلين.

هل هو أقرب إلينا من جبل الوريد حقيقة؟ لا.. لا نصدق، ولا نسأل خبيرًا، ولا نتواصى بحق، فهذا من بلاغة الكتاب، إنه تشبيه للعقول عن علمه! هذا واضح!! يا أيها الناس أنتم وجوه الله، الله من ورائكم بإحاطته. أنتم قدم الله على أرضه، أنتم مطايا الله، القائم على كل نفس بما كسبت، لمعراجها فيه، أسرى عليه به في أرضه، فهل تابعناه، فأُسْرِيَ بنا، وعرج به الأعلى إلى عليّ نفسه؟ فهل تابعناه حتى نَعْرَج ويُعْرَج بنا؟ لا.. هذا لا يكون لنا! هذا للنبين، وخص به نبينا، هو آخر النبیین، هو ختام النبیین، هو خاتم النبیین، هو آخر المرسلين!!

سبحان الله، أليس هو أول العابدين! ألم تُبَلِّغُوا أنه نور الله يقوم ويتقلب في الساجدين؟ ألم يقل لكم عترتي صنو كتابي؟ ألم يقل لكم علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل؟ لقد قام الإنباء من قبله، وتحقق اللقاء من بعده (رأيت ربي بعيني رأسي)^{١٤}، وكلكم يصلح لأن يرى ربه بعيني رأسه في متابعته، وكلكم، يرى ولكنه لا يرى، يرى ربه بعيني رأسه، {فأينما تولوا فثم وجه الله}^{١٥}.

ويقول الإمام عليّ، فني فنائي بفنائي، في معراج فنائي وفي حال قياسي في فنائي، وانعكاس الزمانية والمكانية، في لمحاتي بحياتي من روحاتي، أراه أنت يا من يحمله وهو فيه، ويا من يسأل عنه وهو في دوام يرأيه وفي نفسه لا يرتضيه وفي عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، لمعاني مدانيه لا يعرفه ولا يلاقيه.

ولكن الناس، بكنودهم، وبظلمهم لأنفسهم، ما ظلموه، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، للحق فيهم وبينهم ومن أنفسهم يبحدون، ومعهم وفيهم يكفرون، وعليه ينكرون.

فإذا أذلهم طغاتهم، إذا هم لطغاتهم يسجدون، وعند قوائم العرش، في الأرض يترغون، وللجالس على الكرسي لا ينظرون ولا يشهدون، ولا من هو يتساءلون خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة، لها يستطيعون، أهو الشيطان أم هو الرحمن لا يفكرون.

من ذلك الذي أنفسهم له يُعبدون؟ لا يتساءلون، ولكنهم قدسوا لأنفسهم وعقولهم يصفون، وربما يخشون، وإلها عنه يتحدثون، لعاب ألسنتهم يسيل وهم عنه يتذاكرون، هم المعجبون، هو مانح الحياة، والواقي من المنون، المحي المميت بما منه يرزقون. مانح الخير ومجريه، أصبحوا هم في حضرته، ملائكة له يعرفون، ولإعلاء كلمته وذكره يعملون.

تعالى الله عما يصفون، وسبحان الله عما يشركون، ورسول الله بريء مما يفعلون ومما يقولون، وكتاب الله بعيد، عما يرددون، وسنة رسول الله، كريمة، عما يصفون، وبها يتحدثون.

هذا ما أصبح عليه حال المسلمين في بقاع الأرض على ما يشهده العاقلون، المتبصرون. أما آن لنا أن نستيقظ من غفلتنا وأن نتصب من كبوتنا، وأن نقوم من نومتنا، وأن نبعث بحقيقتنا (خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ١٦؟

إن ما وقع بالأمس، وقد صادف ليلة الاحتفال بالمعراج، وليلة الاحتفال بمولد زينب رضي الله عنها، كان آية من الله وحديثا له معناه وله مغزاه.

هي لنا الأم، وهي منا البنت وهي فينا الروح والنفس وهي من رسول الله الحقيقة، وهي من الله الحق والطريقة، وهي من الوجود الإشراق، وهي في الإنسان الانطلاق، بها يتم الإخلاص، وبها يكون العتق والخلاص.

هي نور الله الممتد، وكوثر رسول الله المتواجد بالبنت والأم والابن والجد، هي بيننا في دوام وفي قائم من إنسان، فهل طلبناها في العنوان، أم أننا لا نعرفها إلا في القبر، ولا نُدرِكها في قائم الذكر؟ (إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله) ١٧، "إنها عترة رسول الله"، إنها من أنوار الله.

لقد أظهرت الأرض غضبتها، وقذفت بقذيفتها، فأفسدت المولد، على من يحتفل فيه لأنهم يأتون عملا لا ترتضيه، فهم غير جادين فيما هم فيه، من وعي وما يقتضيه.

تحدث أخبارها، ربك أوحى لها؟ أَوْحِيَّ بعد رسول الله؟! نعم إن الذي يوحى إلى الأرض، لا ينقطع وحيه عن إنسانها، ولا عن أبنائها منها، فما انقطع الوحي أبدا، {يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده} ١٨، {إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ١٩. إنه فرض كفاية في الجماعة يقوم في البعض، ولا يدخل في التكليف للفرد، لم ينقطع الوحي من قبل رسول الله أبدا على ما نعرف ونذكر، فهل جاء رسول الله نكبة على الأرض وأهلها، به ينقطع الوحي عن إنسانها، وعن أبنائها؟! أم أنه جاء رحمة للعالمين، به أصبح الوحي معروفا إنسانا موصوفا وقياما مكشوفًا؟!

{إن هو إلا وحي يوحى} ٢٠. إن أنكرناه بكوثره، ووجدناه بكتابه حيا في عترته لمخبره، فلا أقل من أن نعرفه وحيا، ونذكره لمعنى الوحي وصفاء، فما كان الوحي إليه، إلا إنسان أخوته، وما هو وحي إلينا، إلا بإنسان أبوته، لأبوتنا، في بنوتنا وأخوته في بنوتنا لأبوتنا وأخوتنا معه، أبناء له وأبناء للانهائي أبوته أو في خلتنا لمن خال، من الأعلى قياما فيه وظلالا له الكل فيه لا شريك له.

بذلك يُقدّر الله حق قدره في إطلاقه وفي لانهايته، وفي تعبيره عن نفسه بمقيده من الوجود والكون، وبذلك يعرف الإنسان قدره في الله بأمره من الإطلاق ومن التقييد حق معرفته فلا يفرط في أمره ولا يطغى بنفسه، ولا ينفرد بعقله ولا يزور^{٢١} بوعيه.

هذا ما كشفت عنه آية الإسراء والمعراج، آية من الأعلى، إليه هو، لا لنا، أشهده بها خلق نفسه، وأشهده بها خلق السماوات والأرض، ليربط على قلبه، ويضعف في وعيه، ويرتقي به في إيمانه ومعرفته وعلمه.

لنا بحكم التشريع والتبليغ، من الله، في متابعته، ما له، فهو آية الله الكبرى كافة للناس، فلو كنا في متابعته المسلمين حقا، لكان لنا ما كان له، أو كان لنا على الأقل قسطا من الإسراء، وقسطا من المعراج، يتناسب مع أهليتنا لذلك، وكان هذا قسطنا من الدين، وقسطنا من اليقين، وقسطنا من الرسول، وقسطنا من الله، ولكنا لا نقبل ذلك لفقهنا، وينكر من نسميهم فقهاءنا، على من تم له شيء من ذلك بيننا فذكره وعرفه.

وها هي رسالة الروح تقوم، لتذكرنا بذلك علنا وعامة في جماعات منا ولتمكننا من ذلك، ولتقيم الدليل عليه، لنا في أنفسنا، بما تهيئ لنا من أسباب كسبه، من قيام روحي.

وها هي، على ما أرى مع من يرى وعلى ما يرى معي من يرى، تنتقل للخطوة التالية، فتجعل من الأرض بجماعها، غرفة ودارا للاتصال بالأرواح التي هي الحقيقة في دوام حاضرة لمن يطلبها لنفسه في الدنيا أو في الآخرة، بذلك أصبحت الأرض دارا في آخرتها من أولها للاتصال بالأرواح المرشدة، والمذكورة في حالة عامة سافرة، على ما أنبأت الأديان ووعد وأوعد الرحمن.

ها هي الأحداث أرتنا وسترينا من آياته في الأفاق وفي أنفسنا ما يبين لنا به الحق فينا على ما سبق أن أنبئنا، وعلى ما نتلقى في دوام من إنباء إلينا، وعلى ما كُشف لنا مما هو قائم فينا أو بيننا، وعلى ما قام النبأ لكشفه موصوف الدائم، وتعريفا بما هو قائم، أو بما هو لأنفسنا فيها يوما سيقوم، أو سوف يقوم، من شعائر الطبيعة، من شعائر الفطرة، من مناسك الصبغة، في قائمها بالوجود.

{ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} ٢٢، وهو في دوام جامعهم، وهو على ذلك قدير، فلن تحدث فيه القدرة على جمعهم، فقدرته أزلية، وأفعاله سرمدية، وموجوداته أبدية، ولكن هذا يحدث لوعينا، ونصفه حادثا يوم كَشَفِه لنا، يوم يكشف الغطاء بنا لنا عنا، بما فينا، من الحق، لا مُحَدَّثًا، ولكنه قائما، مُقاما بقيوم، في قيام دوامنا، فقائمنا، مع قيومنا، في دائمنا، هي أقانيم الإسلام، هي ثالث الفطرة، لأحدية الحق لنا في مطلق الحق له.

إن فقهاءنا ينفرون من كلمة ثالث أو ثلث، بعماهم، بجهلهم، بطغيان أنفسهم، بظلام أنفسهم، بمغلق عقولهم، بميت قلوبهم. مَنْ أنت ومن الله؟ ألسما أقنومين؟ أنت تقول: أنا خلقه، وهو خالقي، وتصفه فتقول: هو ربي، وراعي، ومبدعي، وتقول إنك يوما تؤول إليه، تعود إليه، إنا لله وإنا إليه راجعون، فليكن ما تقول، فيوم أنك إليه.. هل تشهد في اثنيية؟ أم تقوم معه في عينية؟ أم لا يكون في حضرته إلا قائم الوجدانية؟

يقول لك رسول الله، لمعاني اقتدائك، إذا كنت في حضرته، فقدت وجودي، فقدت إدراكي، فقدت إرادتي، فهو مني إليه المتحدث، فيصف هذا بقوله، (يعلمني كلاما أخاطبه به) ٢٣.

على أي صورة يعلمه كلاما يخاطبه به؟ هل يقول له قل لي التحيات لله، فيردد وراءه (التحيات لله)؟ أم أنه ينطلق بحديث لا يشعر أنه مصدره؟ وهو ما يشهده كل إنسان، يوم يكون محلا لاستقبال الإلهام. وأنتم هنا كلكم يعرف الإفاضة والإلهام وكلكم يشهده، وكلكم يقومه، تتحدثون ملهمين، وتُدْكَرون مُدْكَرين على المتحدثين إليهم غير طاغين، بل حديثكم إليهم ترونه منهم مفاضاً إليكم فأنتم منهم له مستمدين، وأنتم له منكم إليهم رادين وراوين، فهم بكم إلى أنفسهم المتحدثين، فهم للمخاطب منكم المخاطبين، وأنتم مع المخاطب منهم المخاطبين.

تتحدثون لتسمعوكم، ولتكونوا أنتم من السامعين، بإخوانكم آتسين ومعهم متحابين بالحق متواصين، هذا أمر يوم سفوره على الملاء لأمر الدين بقيام الروح لرب العالمين، أرواحا، في علن بالوسطاء بينكم متواجدين متحدثين، ملاء للفراغ وقد خلا ممن قاموا راشدين في متابعة الأمين، هذا ما عناه الكتاب، بقوله يوم يقوم الروح لرب العالمين...

هذا ما عناه الكتاب، بأنه للناس يوم الدين.. هذا ما كانوا له من قبل يجحدون، وصدوا عن السبيل مستكبرين، وقد حذروا من الرسول مُدْكَرين، وبالكتاب مُبْلَغِينَ حتى يبقى ذكر الله وتذكيره، وكتاب الله ووحيه قائما محفوظا بقاءً ودواما ليوم الدين بدأه الرسول الأمين يوما قام الروح فيه به لرب العالمين، مُدْكَرًا الناس مجددا أمر الدين في المؤمنين بالمؤمنين.

فهذا الذي تشهدون اليوم تجديد لدينكم يوم أنكم للروح تتعرضون، ولنفحاتها تستقبلون، ولنورها صدوركم تفتحون، وبعلمها لصدوركم تقرأون، فإنهم لصدوركم يشرحون، وكتاب أيمانكم لكم يعطون من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال يوم تأتي آيات ربكم {لا ينفع نفسا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا} ٢٤.

وسطاء موهوبون أو وسطاء كاسبون بينكم يقومون ولكم يظهرون، فأنتم في يوم من أيام الدين، فلا تضيعوا يومكم الذي تقومون، ولا تفسدوا كرتكم التي كسبتم إلى كرات تنتظرون، فأنتم في كرتكم كرة من كرات كنتم بها خاسرين، ولهذا الكرة طالبين يوم كُشِفَ لكم خسرانكم في يوم من أيام الدين، في سابق لا تذكر ولا تعلمون، وها هو محقق لكم ما كنتم تطلبون، وإن كنتم {من قبله لمبلسين} ٢٥.

تعالى الله عما يصف الواصفون، ويذكر الذاكرون من الغافلين والجاهلين.

يا من علوت، وعلينا ما تعاليت، يا من تساميت وعنا ما افترقت، يا من تكنزت وعنا ما غبت وما ابتعدت، يا من ظهرت، ولنا ما أظهرت، يا من دنوت، ولنا ما دانيت، يا من قاربت وما لنا قربت.

يا من ظهرت ولم نعرفك، يا من شرف ولم نشرّفك، يا من رحمت فأنكرنا رحمتك، يا من علمت فأنكرنا فضلك، يا من أحيت فأفسدنا زرعك، يا من لنا لباسا لك طهرت، فنجسنا ثوبك.

يا من بنا صليت فأفسدنا صلاتك، يا من إلينا حججت فأفسدنا حجك، يا من لأنفسنا أصلحت فأفسدنا إصلاحك...

نعم، ما ظلمناك، وما هزمنّاك، ولكن ظلمنا أنفسنا وهزمنّا أنفسنا، فلم نكسب حقك، ولم ننتظر وعدك، ولم نستقبل رفقك، ولم نشرّح فينا صدرك ولم نعلي فينا ذكرك، ولم نحبي فينا قلبك، ولم نظهر فينا بيتك، ولم نحرر فينا روحك، ولم نبر لنا رأسك، ولم نقم بنا يدك، ولم نسعى بنا قدمك.

يا من قبلتنا نياما، وعاملتنا سلاما، وأيقظتنا كلاما، وقاربتنا روحا، وسريت فينا نورا، وقتنا حقا، فما كسبك لك، وما كسبته له، إلا القليل، قليل ما هم، قليل من عباد الله الشكور، قليل منهم الذكور.

فصبرت معهم - صعدت مع صاعديهم، ونزلت مع نازليهم، ونبت من الأرض مع نابتيهم، في صبر، وفي حلم، وفي تودة، وفي رفق، أمر الله أنت، رحمة الله أنت، نور الله أشرق، موجود الله ذكرت، وجه الله طلعت، حق الله عرفت.

اللهم به لا تحرمنا مما به جئت، اللهم كنه لنا، اللهم كئا له. اللهم فيك فاجمعنا وفيه فاجتمعنا عليك فينا تتلاقى، وبك فيه نقوم، اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز

الأكرم. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا، وكن لنا حكاما ومحكومين، غافلين ويقظين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ الباب المغلق أو الباب العظيم، وأيضا مغلاق الباب.
- ٢ سورة الحجر - ٨٥
- ٣ سورة فصلت - ١١
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ سورة البقرة - ٥٤
- ٧ سورة الزلزلة - ٤
- ٨ سورة الزلزلة - ٥
- ٩ سورة الأعراف - ١٤٣
- ١٠ حديث قدسي ذات صلة: "إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يَصْلَحُ لَهُ إِلَّا الْغَنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ بَسَطْتُ لَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ.. أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بِذَلِكَ اللَّفْظُ. وَجَاءَ بِصِيغَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ. وَيُضَعِّفُهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ.
- ١١ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى وَالبَزَارُ.
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ حديث شريف ذات صلة، رواه مسلم عن أبي ذر بصيغة: "سَأَلْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ نَوَّرَ أُنَى أَرَاهُ". وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ جَاءَ بِصِيغَةٍ "إِنِّي قَتَّ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قَدَّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَقَلَّتْ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ..."
- ١٥ سورة البقرة - ١١٥
- ١٦ سورة آل عمران - ١١٠
- ١٧ حديث شريف: "إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.
- ١٨ سورة غافر - ١٥
- ١٩ سورة يوسف - ٨٧
- ٢٠ سورة النجم - ٤

٢١	من فعل "ازور": انحرّف ومال.
٢٢	سورة الشورى - ٢٩
٢٣	عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
٢٤	سورة الأنعام - ١٥٨
٢٥	سورة الروم - ٤٩

(١٠)

الإنسان عابد بخلقه لمعبوده بحقه لقائه بالعابد والمعبود

في الحق الموجود

هو بخلقه عابد سبقه مبعوثا به في الوجود

هو في الإطلاق أحد لأحد بين آحاد للشهود

حديث الجمعة

٥ شعبان ١٣٨٦ هـ - ١٨ نوفمبر ١٩٦٦ م

(اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا)¹.

إنها إرادتك، لا تُشارك، ولا تُخالف، وإنها حكمتك لا تزل، ولا تخل، ولا تخطيء، إنك الهادي، وإنك الفاتن، إنك المعلم، وإنك المختبر.

الباطل حق فيك، والحق في غير أهله باطل، لا إليك، إلا منك، ولا منك إلا إليك، لا موجود سواك، عرفناك أو جهلناك، قبلناك أو أنكرناك، أطعناك أو جحدناك.

أنت بعد الإنسان وقبلة، وأنت أمام الإنسان وخلفه، وأنت قائم الإنسان وفوقه، وأنت رب الإنسان وعبدُه، وأنت صانع الإنسان وصنعه.

أنت فوق الإنسان وتحتَه، أنت محيطٌ بالإنسان وقلبه. وأنت قائم الإنسان وباطنه، وقائم الإنسان وقادمه، قائم على كل نفس، بما كسبت. كل من عليها فان بما منها، باق بما منك، ويبقى وجهك.

الله من ورائكم محيط، والله أينما تولوا فثم وجهه ليس كمثله شيء، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد. إنه الحياة جوهرها ومظهرها، لا تحيطون بشيء من علمه، وهو يُظهركم على الدين كله فتحيطون بالعلم عنكم، إحاطة بالعلم عنه، ما ظهر في شيء مثل ظهوره بكم.

لا إله إلا الله جعلها حصنا لكم تدخلونه، والله أكبر جعلها غاية لكم ترجونها، بالإنسان له أحدٌ لمعناه وذاته، جعلكم به آحادا فيه، أنتم حقائقه لمعانيكم وذواتكم، أعلام وجوده، وأسماء مشهوده، ولفظ جلالته، وكرم وجوده، وإكرام موجوده، هو لكم وأنتم له، في إطلاقه وتقييده وتنزيهه، في باطنه وظاهره.

إن العابد والمعبود فيه، إنما هو الإنسان، للإنسان والإنسان مع الإنسان.. إن الرب والعبد فيه، إنما هما الإنسان للإنسان. إن المطلق والمقيد فيه، والمطلق والمقيد له، إنما هو الإنسان، للإنسان.. إن الذي يصح أن يكون معبودا، إنما هو الإنسان، والذي يصح أن يكون عابدا إنما هو الإنسان.

إن الإنسان، هو محل التمكن، لأمره، ليكون معبودا من نفسه بفضله، وعابداً لنفسه بافتقاره.. إن الله، في حقيقته، يستحيل عليه أن يكون معبودا، كما يستحيل عليه أن يكون عابدا، إنما هذه هي صفات الإنسان فيه..

{قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أياً ما تدعوا، فله الأسماء الحسنى}²، ليكون هناك، من يُسمى عابداً، ومن يسمى معبوداً، لا بد أن يكون هناك انعقاد نسبة بين العابد والمعبود، لا بد أن يكون في المعبود قابلية أن يكون معبوداً، ولا بد أن يكون في العابد قابلية أن يكون عابداً، أما الله المطلق اللانهائي، فهو غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، ولو كان معبودا مستقلا عن العابد لكان للعابد مفتقرا ولكان في ذاته ومعناه ناقصا ليس به كفايته.

إن الغني عن العالمين، يقول للعالمين، (كن أنت كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)³. إن الذي تَوَاجَدَ الإنسان، لنفسه، قال للإنسان {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}⁴، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}⁵، {إن الله لغني عن العالمين}⁶ {والله خلقكم وما تعملون}⁷.

إن الله، بروحه لكم، وبروحه فيكم، من روحه عليكم، لروحه منكم، أودع فيكم، أرواحا، سِرَّ معانيه، وقائم آلائه بعليلكم لكم، وبعليلكم منكم، كنتم به الأعلى والأدنى والأوسط.

فكنتم الأمر الأعلى، وكنتم الأمر الأدنى، وكنتم الأمر الوسط، ففي حالكم بأمركم من الأمر الوسط، عرفتموكم عين الأعلى والأدنى في الله ذي المعارج، في وضعكم لمعاني العبد، للأعلى عليكم والرب للأدنى لقائم الرب لكم باختياركم لأنفسكم معلومة برسوله إليكم عندكم أمرا وسطا بينكم لا تفرقة بينهما ولا فرق بينكم وبينه.

فلا فرق بين الخالق والخلق في الحق، ولا فرق بين المعبود والعابد في الحق، فهما وجوه الحق وجه لوجه، وهم جماع الحق، فإن عرفت لك أعلى، لموصوف الرب عليك في نفسك وقائم نفسك، فإنك سوف لا تطغى ولا تفتن ولا تزل بك القدم، يوم تعرف لك أدنى أنت بموصوف الرب عليه.

يومئذ تعامله، بما عاملك به الأعلى، وتدرك هدي من هداك، وإلى ربك فيك وجهك ودعاك، وإلى الله، لمعيتك علمك وأوصاك وقد قال لك، (تخلقوا بأخلاق الله)^٨.

ومن ذا الذي يتخلق بأخلاق الله، ولم يعرف خلق الله، ولم يقيم الله عليه بخلق معلومة له، ليقوم بمثلها على أدنى منه بها معه يتخلق؟ هل كان الرسول عابثا، وهو يقول (تخلقوا بأخلاق الله)، وهل عرفنا لنا، متخلقا بأخلاق الله غيره؟

فهل رأينا، فيه، له معنا وجه الله؟ هل رأينا، به، منه، إلينا، وجهها لله! هل أدركنا أنه قبس نور الله، لوجه الله، ناضرة؟ أو وجوهه إلى ربها تشهده به وجهها لله ناظرة! الله من ورائهما بإحاطته بقبضة نوره، لحقه ورسوله بالمؤمنين بالله ورسوله ظاهر دانيه، وطلعت له لمن يقاربه ويلاقيه.

هل عرفنا فيه، الحق ومعانيه، والرب ومغانيه؟ هل شهدنا الله ومعارجه منه، إليه، فيه، حقية العبد لعين الحق بالرب، في الله ذي المعارج؟

بماذا عرفنا رسول الله؟! وبماذا وصفنا رسول الله؟ وبماذا اتصفنا رسول الله.. فلاأنفسنا ظهرناه.. ولمعانينا كسبناه، وللناس في غفلة عنه قدمناه؟ بماذا قناه! وبماذا اتصفناه! فكا أمة رسول الله، أمة الحياة، أمة الحق لله، أمة الحق من الله، أمة رسالات الله، أمة رسل الله.

أمة أم الكتاب لله، أمة الكتب ناطقة مشهورة بالبيان من الله، أمة تُمسك بأقلام قدرة الله، وتكتب صحائف كتب الله بالناس، أمة تؤمن بالله، وبوحدانية الله، وبالقلوب لله، وبالقول بالعباد لله.

أمة تجمع شتات الله، بتآلف قلوبها، وتنظم موجود الله، بتنسيق قوالها بيوتا لذكر الله، بنيانا مرصوفا لوجود كلمات الله، لبنات يشهد بعضها بعضا بالله فترتفع أسوارا وتعلوا جدارا، وتتلاقى زواياها غرفا، وتتراص غرفها، لتقوم بيوتا، وتتلاصق صروحها، لتقوم مدنا، وتعدد مدائن، لتقوم عوالم، بالحق فيها يقوم، عن التجزؤ، منزها، حقا قائما، في الوحدانية والتوحد، بروح الله، سارية، في مبانيه، قبل معانيه متواجدة.

{لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد}٩، فلا أقسم بوالد وما ولد، وأنت حل.. بوالد وما ولد.. أنت العلم، على من لم يلد ولم يولد، أنت الأحد، علما على من هو أحد، أعلته آحاده، وعرفه عباده.

فظهروا كتباً ناطقة قاموا في الناس رشاده ووداده، وكشفوا للناس أنه هو بهم عناده ورشاده، {ولو شاء ربك ما فعلوه} ^{١٠}، {لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً} ^{١١}، {فلا تكن من الممترين} ^{١٢}، وهو لذلك خلقهم، وما اختلفوا، إلا بعد الذي جاءهم من العلم، وما علّوا فعلوا، إلا ليتحدثوا ليزدادوا، إلا ليتعارفوا فيتوادوا ويتحابوا، من فرقة يجتمعون، وعلى واحد يفترون، رضي عنهم، ما اجتمعوا عليه، وما افترقوا عليه، ما صدقوا في اجتماعهم، وما صدقوا في افتراقهم.

{ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة، كأنه ولي حميم} ^{١٣}، {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} ^{١٤}، إن ما عندهم حسن، فلا أنفسكم لا تفوتوه، وإن ما عندكم أحسن فلا تهجروه، وأمركم لا تفرطوه. استمعوا لرسالات الله ولا تفرقوا بين رسله ولا بينه وبينهم، ولا تفرقوا بينكم وبين الله ورسوله.

إن الذي كان رحمة للعالمين، مهداة، وعطية مقدمة من الله، كان من بينكم، وكنتم منه على ما كان منكم، إن النسبة منعقدة بينكم وبينه، لا تفرقوا بين الله ورسوله، ولا تفرقوا بين الرسول، وبين أهل الإيمان بالله ورسوله.

إن الرسول لا يفترق ولا ينفصل عن الله، وإن المؤمنين بالله معه، حقاً إليهم، لا يفترون معه عنه، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^{١٥}.

إنه حياتهم فيهم.. إنه مماتهم فيه وبعثهم به.. إنه حقهم.. إنه اسم الله عندهم ولهم، به لا يغيبون الله ولكن يغيبونهم، ولا يمحذونه ولكن يمحذونهم. ويؤمنون بالله له، ولأنفسهم.

عرفوهم لله، ما عرفوهم له، وتواجدوهم لله ما تواجدوهم به، شهدوا له في أنفسهم بلا إله إلا الله أنه محمد رسول الله.

آمنوا، بالأعلى له، قائم الأعلى عليهم، وعرفوه في الأعلى الرفيق الأعلى لهم، ما تناولوا عليه معلماً، ولا امتطوه أباً، وإن كان قد أركبهم، وعلى ظهره أصعدهم، وحتى ينزلوا أمهلهم.

ألم يفعل ذلك أمامهم وبينهم مع ولده الحسن، يقول كرهت أن أرفع حتى ينزل، تاركاً له حريته، في إرادته، سعيداً أن يمتطيه، سعيداً أن يسري بامتطيه ظاهر مطية له، إلى من أبدعه له، إلى من خلقه لنفسه.

ولدي هذا سيد، لمن أراد أن يكون له في الله سيد، (اقبلوا نيري فإن نيري عليكم لطيف) ^{١٦}، لست سيدي، على مثال مما تُسودون عليكم، من طغاة وظلمة، ولكني السيد الخادم إني المولى الموالي، إن السيد الذي هو مولى، هو من يصح أن يوصف بأنه سيد ومولى، سيد القوم خادمهم.

إن الرب منعقدة النسبة بينه وبين العبد، أبا، ومعلبا وحاكما، راعيا، وأميرا صالحا، ورائدا، قيما، وإماما سالكا وطريقا، مهذا ممهدا، ونورا، ساطعا مشرقا، ساريا خالقا بيوته القلوب، وعوالمه القوالب، وحقه العقل، وعبدته النفس ووجوده وكونه الذات.

إن أردت ذلك، وصدقت بذلك، وآمنت أن الرسول كان كذلك، وأنه تكاثر في الناس بذلك، كان لك من الله ورسوله ذلك، فهو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين بذلك، رحمة الله للسالك، وعطاء الله للمالك، وتكليف الله، لكل ملك، كان له من الله ممالك، فكان بالله هو لها المالك.

{وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا} ^{١٧}، {مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير} ^{١٨}، تعز من تشاء بعزتك، على الملوك والممالك، تجعله لها مالك، وتذل من تشاء، بنعمتك، باصطفائه لعبوديتك واختياره لقربك في حضرتك...

على ما جعلته لإنسان طلعتك، ويد نجدتك، وقدم سعيك وحضرة قربك، من عرف، وشرف بما عرف، وما استعلى بما به عُرِف، فأراد أن يكون الرجل الثاني في إنسانية إنسانك واعتذر عن أن يكون الرجل الأول، مادام في رضوانك فسألك، (أحيني مسكينا وأمّتي مسكينا، واحشرنى في زمرة المساكين) ^{١٩}.

وإن كان الله، قد جعل منه صورته، خلقها ليتجلى بها وفي حجاب العبد بعثا وللناس أرسلها، وبعثا بالمقام المحمود لها وعدها بالمؤمنين في المؤمنين زفّها وليوم الفصل في أمر الناس لهم أنذرها وحذرها.

فبه أشرقت الأرض بنور ربها، ويوم القيامة، يكفرون بشركه، ويعرفون أنه كان بالحق للحق أحده، مولودا مما ولده، ووالدا بما توالده بموصوف خلق أوجده، وبوجوده عدده، ثم وضع عنه وزره فوحده، ثم أعاده فجده، وبالحق أظهره مبعوثا أوجده، ووجهها له أشهده لمن شهده، فوجودا بالحق في المؤمنين تواجدّه، فعرف به المؤمن الحق لنفسه ما بحده.

كان للأعلى ظلا ومن نوره قبسا، ورضي قانعا أن يكون للأعلى عبدا وعلى العبودية حرص وبها ظهر وافتخر وبغيرها لم يظهر ولم يفخر، فما استعلى أن يكون للأدنى ربا، ورضي لأن يكون مع المربوب خلاّ وجبا، على ما كان الأعلى له، خليلا وحييا، فما قصر فيما بلغ، وما أخفى شيئا مما به كلف، وأمر أن يبلغ بما حمل وإلينا بلغ، ولا زال يحمل ويبّلع في كل أمة، وبكل لسان.

أعطي كتابا.. لم يكن لنفسه غيرها.. فكان لمعناه كتابه وحجابه.. كتابه ونوره.. كتابه وسكينته.. كتاب ليله ونهاره لظلامه ونوره لنفسه بهما... {إن لك في النهار سبحا طويلا} ^{٢٠}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{٢١}، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا} ^{٢٢}، طأها، {ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى^{٢٣}، {فذکر إن نفعت الذکری سیدک من یخشی ویجنبها الأشقی^{٢٤}، فلا تجهد نفسك باخعها ملاحقا، إنه إليك سوف يعود حتما فيلقاك مع من بك آمن ووجها لربك بعث. اصبر نفسك الآن مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

اصبر نفسك كلما تجددت بينهم نفسك، أما نورك لعقلك فأسر به فيهم فبه يراهم ربك فهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. أسر بالنور الذي أنزلنا معك في المؤمنين فانحر فيهم الظلام، وأسكت اللغو، وأحي الإنسان، وأنطق الحيوان، وأسمع البنيان، {أبصر به وأسمع^{٢٥}.

فأنت للناس البصر والسمع، إن أبصرتهم يبصرون، وإن أسمعتهم يسمعون، ولن يسمع الله لهم حتى ينطقون، ولن ينظر الله إليهم، حتى إليك ينتسبون وبك لربك يقنعون فبك وجوها له يبعثون هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين^{٢٦}.

فهو ما رأى إلا إياك ولا يرى إلا معنك، فمن شهده لك، شهده الله، ومن عرفه لك، عرفه الله، ومن أنكره لك، تناساه الله، {أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى^{٢٧}، {رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا^{٢٨}.. لقد اخترت لنفسك العمى.. فقد أعطيناك البصر والبصيرة فعطلتها، فإني في نفسك عرفته، ولا من حولك شهادته، فأخذت أمانتي وقد خلقتك من قبل لنفسي، فأردت أن تكون لنفسك، فكن على ما أردت، وقد أردت أن تكون على ما أنت.

{وما ظلمونا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون^{٢٩}، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل، فإنما يضل عليها^{٣٠}، وإن كل نفس لا تجزى إلا بما تسعى، من كسبها، بعملها، بأمانة الحياة لها، {عطاء غير مجذوذ^{٣١}، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)^{٣٢}، فأمانة الحياة هي أسماء الله، تستبقيها، فترضيها، أو تعاديها، فتعزّلها إلى ما أرادت هي لمعانيها.

الذين كفروا بمعية الله لهم أعمالهم كسراب ببيعة، يحسبه الظمان ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده. إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، إن الذي كفر بالله، في هذا المثل يضرب، ما كان العاصي، فالعاصي يعرف أنه عاصي، ويعرف أن الله غفور رحيم، ويوم يستغفر الله، يغفر الله له.

(رب معصية أورث ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورث عزا واستكبارا)^{٣٣}، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا^{٣٤}.

بشر ولا تنفر، يسر ولا تعسر، لا تقنط الله بالناس من رحمة الله بينهم وفيهم، لا تقنط عباد الله من ربوبيتهم، من معانيهم، من أبيهم، من ربهم، من معلمهم، من ملكهم، من سيدهم، من خادمهم من قائم الحياة بهم.

إن رحمة الله قريب من المحسنين من أنفسهم وإلى أنفسهم. إن رحمة الله بعيد، عن الطاغين بأنفسهم على معانيمهم، وعلى الناس، إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وحدوا الله، يتوحد الله، يوم تجتمع قلوبكم، على قلب منكم، ويوم تلتف قلوبكم، حول نصب لقلب بينكم في الله وفي مرضاة الله، وفي إعلاء كلمة الله.

بهذا جعلت مناسك الإسلام، بيانا له، وتحقيقا لذلك فيه، سواء بالصلاة، أو بالحج، أو بالزكاة، أو بالصدقات، أو بالإيثار أو بالإنكار على النفس، أو بالإيثار عليها.

هذا ما تهدينا إليه لا إله إلا الله، فنقومنا بها أسماء الله، وكلمات الله، ووجوه الله، وروح الله، وحقائق الله، ورسول الله، وعباد الله، أمة وسطا، تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف لها، وهو الله لقيامها، ولقيام مثلها من قبلها، ولقيام عينها من بعدها، في عين قائمها لها.

أمة لا تجحد الله ولا تغيبه.. لا تنكره ولا تعدده.. تطيعه لا تعانده.. وترتضيه لموجود وجودها، لا راغبة عنه ولكن مزدادة في الرغبة إليه والرغبة فيه.. مؤمنة بقائم رحمته في الرغبة منه.. على ما علّمها حقه ورسوله.. وجهه وطلعته.. كتابه وشرعته.. طريقه وملته.. دينه وفطرته..

هو من عرفناه وما عرفناه، ومن ذكرناه لفظا، لا وجود له في موجود لنا، ولا وجود بنا، وكذلك فعلنا مع ربه، فذكرنا الله لفظا، وما أدركناه معنى، وما حققناه لنا قياما، وما هيأنا أنفسنا له، لنكون منه كتابا وكلاما.

هذا ما جاءنا به دين الفطرة بالفطرة ولدناه فهل بعلم دخلناه؟ هل بعمل تذاكرناه؟ هل برحمة توأصينا؟ هل بمعرفة تجادلناه؟ هل بجهد تخاصمناه؟ هل فعلنا ولم يهدنا الله؟ هل قننا ولم يعلمنا الله؟ إنه كان عندنا مجرد كلام، لا هو بسلام مع الله، ولا هو بخصام على الله، ولا هو بقيام بالله.

ومع ذلك، فنحن على ما وجدنا عليه آباءنا، من دين، ومن ملة، نحن المسلمون والإسلام بجوهره ومظهره ومظهره منا برئ، فهو لا يعرف هذا الكلام، وإن عرفه، فترة من الزمان، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ^{٣٥}، فليستيقظ الإنسان إلى ما في هذا الدين من الإحسان.

{وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره، حتى يسمع كلام الله} ^{٣٦}، إن عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا يجيرون الجهلاء، ولا يمتنعون عن النداء، ولا ييأسون من الرجاء، إذا خاطبهم الجهلاء، خاطبهم على قدر عقولهم، وقالوا مقالة لا تهز السلم والسلام بينهم وبينهم، قالوا سلاما، لم يثيروا بينهم، وبين الجاهلين خصاما، حتى يسمعوا كلام الله.

هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ٣٧.. فكم منا شعر بافتقاره إلى الخير!

(والمرء على دين خليله) ٣٨، فكم منا شعر بعوزِهِ إلى الخليل؟ ومن منا قَدَّر معنى الدليل؟ (فلينظر أيكم من يخال) ٣٩، أو نظن أننا نقوم في خلة، لوجه الله يبقى؟ وفي طريق الله نجاهد؟ ويتركنا الله، نعبد على حرف؟ قائمين على جرف؟ أم أنه يخرج بنا من الظن إلى اليقين؟ وهو الذي يقول لنا {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} ٤٠.

إن اليقين آتيك، يوم تتوصى بالحق، وتتوصى بالصبر لن يفوتك أبداً، ما وفيت تعاليم الدين، وما أحسنت اختيار الرفيق واختيار الصديق، وما أحسنت الظن بربك ورسول ربك، بعدم غيبة الطريق يوافيك في قائمك بقيام في دنياك، أو عند مفارقتها إلى قيام للقيام، طريقاً ممهداً، في قيام، بعباد الله سُجَّداً، جعلهم القيمة، بقيوم رسول الله لقائهم.

التابعون وتابع التابعين بإحسان؟! بالسنتهم يذكرون وفي دوام يرددون، ببغاوات ينطقون، أين هم هؤلاء التابعون؟ ومن يكون هؤلاء التابعون؟ ومن هم من تابعهم بإحسان إلى يوم الدين؟ وما هو هذا الإحسان؟ ومتى هو هذا اليوم؟ وأين هم هؤلاء المحسنون؟ إنهم عن الأرض لا ينقطعون، وعن جمعكم على الله لا يعجزون، فهم المُمَكِّنُونَ المُشَفِّعُونَ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وهم المأذونون.

على كل ناعق تجتمعون وله تسمعون باسم عباد الله الرحامين، على الله دالين، وعلى الله لكم في أنفسكم جامعين، فعلى الشياطين تجتمعون، يجمعونكم على أنفسكم ضالين مبلسين، بما في أنفسهم من سريان للشيطان فيكم، عليهم يجتمعون على معانيهم لمعانيكم قائمة بالبهتان في ظاهر من وهم تلتئمون، شياطين إنسان، دونكم شياطين الجان، إنكم بجمعكم شياطين الناس، إنكم شياطين الإنسان الدجال، كلكم المسيح الدجال، إنكم فتنة الرحمن لأدعياء الإيمان حتى يحكم الناس على أنفسهم بالظلام والظلم والبهتان يوم يعرفونهم ويرونهم المبلسين، يوم يكشف الله لهم عن سرائرهم، {يوم تلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر} ٤١.

تعالى الله عما يصفه به جاهلوه، وتداني الله وعرف الله، بما قام به من أوصافه عارفوه، الله.. لجاهليته، كما هو لعارفيه، الكل فيه، ولكن يختلف ظهوره بعارفيه، عن ظهوره بجاهليته. ظهوره بعارفيه، لقائمه لباقيته، ولكن ظهوره بجاهليته، إنما هو فتنة لمفتونه، عند المترددين فيه.

إن الله لكل ما افتقروا إليه، {يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد} ٤٢. لو أن الشياطين فيه، اختاروا لهم أرباباً فيه، لعين معانيهم به، لهداهم الله، لكشف لهم عن الحق بمعناه، يوم

تَنَزَّلُوا أو تَنَازَلُوا بوجه قِيَامِهِمْ بأوليته لمعناه في أوليتهم بأنفسهم لمعناه ومبناه، دون أن يكون لهم مولى، من مولى في مطلق الله.

(العظمة إزاري والكبرياء ردائي من شاركني في شيء منهما قصمته ولا أبالي)^٣. من المتحدث بهذا؟ هل هو المطلق الغني عن العالمين؟ أم أنه الإنسان في كبريائه؟ أم أنه الإنسان في عظمته، في تعظيمه لنفسه؟ إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا عرف العزيز بالله، أن لرسول الله عزة هي من عزته أكبر، تنقت عزته من الخدعة، وما استعملها إلا في الرحمة، (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^٤، وعرف رسول الله، بوصفه الرجل الثاني في الله، أن لا يخذع نفسه بعزته، فهو دون عزة إنسان من مثاله، ورفيق أعلى بحاله، جعل الله له عزة، فكان عليه ربّ العزة، عرف عزته من عزته، ولم يتناول بعزته إلى عزته، فماذا فعل رب العزة بعزته على ما عرف رسول رحمة؟ عَرَفَ أنه {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}^٥، فكيف يؤاخذ محمد، وهو ربّ عزة، لرب عزة، كيف يؤاخذ الناس بظلمهم؟ فيقول الرسول، أمة مذنبه ورب غفور، أنا لا أوأخذ أحدا بظلمه. إني أصبر حتى يفيق من غفلته، ويستيقظ لما جئت به، عسى أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله، فيصلح الله به أمورهم.

هذا هو رسول الله في عزته، وهكذا يكون عباد الرحمن في عزتهم، وهم يمشون على الأرض هونا، وهكذا يكون رب العزة، يوم نعتقد في رب العزة، مع رب للعزة نحن أرباب للعزة وعباد له.

إن إبليس ما خرج عن ناموس الله، وما خرج عن مراد الله، وما خالف قدرة الله، أو خاصم قدرة الله {فبعزتكم لأغوينهم أجمعين}^٦.. إلا عبادي.. {إلا عبادك منهم المخلصين}^٧ {هذا صراط عليّ مستقيم}^٨.

إنها طريق وأمة، وحق وحقيقة، الشيطان {يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير}^٩، إنها طريق العزة، إنها قائم العزة، إنها خدعة العزة عن قائم الوحدة. إذا كان الله قد عطل فيه عزته، فن هذا الذي يستعمل من الله له عزته، إلا مخدوعا أو ظالما لنفسه؟ إن استعمال العزة، مقتضي وجود المعتر عليه في حال من المغيرة مع العزيز. وهذا غير جائز في حق الله، ولا في حق الإنسان الكامل، ولكن العزة عند المؤمن بالله ورسوله لقائم نفسه بهما إنما هي في اعتزازه بجانب الحق فيه، على جانب الخلق فيه، بجلباب الشبح للبه بحقه.

يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، ويتبعون كل شيطان مريد، وقد جعل الله الكفر بالشيطان أول أبواب الإيمان بالرحمن، وأول لقاء بين قائم الحق به لقائم الباطل تجاهه لشهوده، إيماننا

بحقي وجوده، {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}، {إن كيد الشيطان كان ضعيفا}، إن الضعف نقيض القدرة، والقدرة غير العزة، فالشيطان عزيز النفس على ضعفه.

اللهم بنا لك أوجدت فارحنا، وبحقنا منك فحققنا، وعلى ظلامنا فانصرنا، وعلى طغياننا فولنا، وبعزتك فينا لا تخدعنا، وعن حقك لا تمنعنا، اللهم باعد بيننا وبين خدعة النور، وخدعة الظلام، وخدعة أنفسنا، اللهم اجعل وجهتنا فيك خالصة لك لا تشوبها فيك شائبة، في متابعة من جعلته لك كذلك وأظهرته لنا قدوة بذلك، اللهم فيه فأدخلنا، وبه فأقننا، ومنه فأوجدنا وبكثرتك فكثرتنا، وبانتشاره فأنشرتنا، وبحقائقه لنا فيه، فاعرج بنا، منك إليك، من خلاله، وفي قيامه، أحد حقك لنا، لآحاد حقائقنا لأحده، لا شريك لك منه، ولا غيبة لك عنه، نور وجهك وطلعة جلالك، وبهجة جمالك، وقرب حالك، ومآل خلقك لك، لعين أمرك وحالك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم به لك، فوفقنا، وسدد خطانا، ويسر أمورنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، بغفلتنا وجهلنا، وولِ أمورنا خيارنا برحمتك بنا، وعنايتك برسول الله تشملنا، وتولنا في أمرنا، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، بمن جعلته رحمة للعالمين، يا أرحم الراحمين ارحمنا يا أرحم الراحمين ارحمنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة الإسراء - ١١٠
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ سورة النجم - ٣٩
- ٥ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٦ سورة العنكبوت - ٦
- ٧ سورة الصافات - ٩٦
- ٨ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة". رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٩ سورة البلد - ١:٢
- ١٠ سورة الأنعام - ١١٢
- ١١ سورة الرعد - ٣١
- ١٢ سورة آل عمران - ٦٠

- ١٣ سورة فصلت - ٣٤
- ١٤ سورة العنكبوت - ٤٦
- ١٥ سورة الأحزاب - ٦
- ١٦ استلهاما من آية الإنجيل "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب." (مت ١١: ٢٩)
- ١٧ سورة الإنسان - ٢٠
- ١٨ سورة آل عمران - ٢٦
- ١٩ من الحديث الشريف: "اللَّهُمَّ أَحْيِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، واحشُرني في زُمرَةِ المساكينِ يومَ القيامةِ، فقالت عائشة: لَمْ يَأْسُؤْكَ اللَّهُ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ، لَا تُرْدِي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ، أَحْيِي الْمِسْكِينَ، وَقَرِّبِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْرِبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." صحيح الترمذي.
- ٢٠ سورة المزمل - ٧
- ٢١ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ٢٢ سورة المزمل - ٦
- ٢٣ سورة طه - ٣-١
- ٢٤ سورة الأعلى - ٩:١١
- ٢٥ سورة الكهف - ٢٦
- ٢٦ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ٢٧ سورة طه - ١٢٦
- ٢٨ سورة طه - ١٢٥
- ٢٩ سورة البقرة - ٥٧
- ٣٠ سورة الإسراء - ١٥
- ٣١ سورة هود - ١٠٨
- ٣٢ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْنِي وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ." صحيح مسلم.
- ٣٣ من حِكْمِ السيد ابن عطاء الله السكندري. "معصية أورثت ذلا وافتقارا خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً."
- ٣٤ سورة الزمر - ٥٣
- ٣٥ سورة آل عمران - ٣٤
- ٣٦ سورة التوبة - ٦
- ٣٧ سورة الفرقان - ٥٩

حديث شريف. "المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.	٣٨
نفس الملاحظة السابقة	٣٩
سورة الحجر - ٩٩	٤٠
سورة الطارق - ٩-١٠	٤١
سورة فاطر - ١٥	٤٢
حديث قدسي: "الكبرياء رداي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار." صحيح مسلم، أخرجه أحمد وأبو داود.	٤٣
من حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود، والترمذي.	٤٤
سورة النحل - ٦١	٤٥
سورة ص - ٨٢	٤٦
سورة الحجر - ٤٠	٤٧
سورة الحجر - ٤١	٤٨
سورة فاطر - ٦	٤٩
سورة البقرة - ٢٥٦	٥٠
سورة النساء - ٧٦	٥١

(١١)

رسول الله من وإلى آدم

قديمه وجديده. والده ووليد

في دورته الخالدة بالأنا والهو بين الخلق والحق

في رسالة خالدة إليه من قيومه، ورسالة خالدة منه من قائمه

حديث الجمعة

١٢ شعبان ١٣٨٦ هـ - ٢٥ نوفمبر ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم، ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وعباد الرحمن رحمة منك إلينا، اقبل شفاعتهم فينا، ورحمتهم بنا، وبرحمتك فتولنا، لا نبرئ أنفسنا، ولا ننكر توفيقك لمن وفقت من بيننا.

اللهم فرد هذا البلاء عن عالمنا، وأنزل السلام على أرضنا وبلادنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا. اللهم إنا لا نعرض قضاءك، ولا نخاصم بلاءك، ولكنا لا ينقطع فينا إليك رجائك، ولا يرتاب ولا يهتز في عقولنا وقلوبنا، ونفوسنا، إليك ولاؤك.

اللهم برسول رحمتك، وعلم شفاعتك، وبيت رضوانك، وحوض إحسانك، فادفع عنا، ما قضى عدلك فينا، برد أعمالنا إلينا، فبأعمالنا لا تعاملنا، وعلى ما يليق بك فارحمنا. عباد الله..

أما أن لكم أن تستيقظوا في الله، فتخشع قلوبكم لذكر الله، وترضى عقولكم بكتاب الله، فتسعدوا برسول الله، فتجزوا بهدية الله، فتقبلوا قبلة الله، وتطوفوا ببيت الله، حوله عاكفين، ركعا ساجدين، لله موالين، وبالخلق عارفين، وبقراب الله مؤمنين، ولرحمن الله موالين، له مسلمين وبه مؤمنين وتعالى الله عما يصف الجاهلون، وعما يذكر الغافلون، وعما يردد الضالون، وعما يدبر المضلون.

عباد الله..

أما أن لكم أن تعرفوا ربكم فيكم، في بيته منكم بقبلته لكم، فترجعوا البصر إلى أنفسكم، وتطلبوا الحق بين جوانحك قائماً، في مشكاة صدوركم مشرقاً، بمصباح قلوبكم منيراً مشعلاً، الله من ورائكم بإحاطته، أنتم له الوجوه، والله قائم على كل نفس بما كسبت، كسبت رحمانها راحة، أو خسرت فقامت شيطانها ظالمة.

إن المعركة الكبرى بين جوانحك، والمعركة الصغرى بين قوالبكم، والمعركة العشواء بين نفوسكم، والمعركة الهادفة بين عقولكم، تتلاقى على الله مشهوداً، وتختلف على الله معبوداً يوم تعقله موصوفاً أو تنزهه معروفاً، فتقوم في أوصافه وجوها متألفة متفقة أو أسماء صفات متباينة متسقة.

إن الله، هو موضوع حياتكم، وهو حياة معانيكم، وهو روح مبانيكم، أنتم فيه بيوت ذكره، قلوبكم لبناتها.. فهلا تجمعت لبناتكم، باتحاد قلوبكم، بتلاقي عقولكم، في استقامة نفوسكم فقمتم لله، أنتم منه، وأنتم إليه، فربحتم كرتكم، وما فرطتم في أمركم، فشهدتكم ذكراً لله محدثاً، لذكر من الله قديم.

كان الرسول بينكم لقديمه، ذكراً لذكر، وهو لكم دائماً في حياة وجودكم، ذكر لذكر، {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم}¹، {فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليماً}².

تردد ألسنتكم اسمه، بترديد لفظ الله، ولا واقع له في حياتكم، ولا قيام له بكم في قيامكم، إنكم في قيامكم به تدرّون أو لا تدرّون، تعرفون أو لا تعرفون، تكتشفون أو لا تكتشفون، أنتم في قيامة به، أنتم فيها المنظرون، إلى اليوم المعلوم لسابق سبق أن كشف لكم، وفي لاحق سوف يكشف لكم، وهو في قائم، لا يمتنع عليكم إن جاهدتم أن تكشفوا لأنفسكم، مستعينين بالله، معانين منه، على كشف الحجاب عنكم ورفع النقاب لكم.

كان محمد في ذلك، أولية لكم به نتابعونه عليها يوم تقومون في دينه، فتجددون دينكم وإيمانكم، مع لمحاتكم وأنفاسكم، كما فعل بسنته أمامكم، معاملة مع نفسه، اتقاءً للمعروف له لمعنى ربه.

عرفه دون كتاب، وعرفه قبل رفع الحجاب، وعرفه قبل أن يأتيه الملك، وعرفه قبل أن يملك نفسه، بدين الفطرة، فانطوى على نفسه طلباً له، فوجهه وجهته فاتحه إلى قلبه، وصبر في أمره، وتواصى بعقله مع نفسه، في دائرة عالمه وذاته، يعنيه أمر نفسه، قبل أن يفكر أو يعنيه أمر غيره، متأملاً متبصراً فيما حوله، متقياً ربه في كل ما قام فيه.

قام في ناموس الله مستقيماً عليه، قبل أن يتكشف له ناموس الله معلماً به.. اتقى الله فعله الله.. طلب الله فقاربه الله.. حار في الله فهداه الله.. وافترق إلى الله فأغناه الله.. ورآه منقطعاً عن يحب، يتيماً في معناه، فأواه الله.

وبما فعل الله له، جعله قدوة به، وبجعله قدوة به، كان رسول الله، وكان الحق من الله، وكان قدسية العبد في الله لا ينفصل عن مولاه، (لا تفرقوا بين الله ورسوله)^٣.

أكبره الله، بما أظهره من خلقه به، فكبره الله، وكثره الله، وأكثره الله، فردّه إلى حقه القديم، أصلاً لحقائق، ووعد به ببعث بجديد حق مستديم عين قديمه في الله، فشرفه بجماع حقائق الله، آدم الله كان، وآدم قبل آدم كان، وآدم وآدم كان، حتى كان قديماً في الله قديم إنسان الله، فأدماً بيننا وجد، وآدماً بيننا تواجد، آدم وآدم كان، وآدم وآدم يكون، حتى يكون قائم إنسان الله.

فهو الإنسان لله في أزله، وهو الإنسان لله في أبده وهو قيوم الإنسان لله على قائم آدمه الإنسان للخلق، أزواجاً في قديم تواجد إنساناً وإنساناً يمتزجان، وأزواجاً يتواجد إنساناً وإنساناً في محبة الإنسان لمعنى الله يتحدان، وأزواجاً يبقى إنسان لإنسان رجل سلم لرجل، إلى أبد مراد، على ما أراد الأزل بما أراد، أزواجاً يتواجد، إنساناً وإنساناً في قائم الإنسان، خلقناكم أزواجاً في حاضر على ما تشهدون، وفي قديم على ما تذكرون، وفي قادم على ما تأملون.

إن الإنسان والإنسان يتحدان، في إنسان لإنسان. هذه هي أقانيم الإنسان لقائم الرحمن هي أقانيم الحق، هي أقانيم الحقائق في الله ذي المعارج، تتألف القلوب، فتُفرج الكروب، وتمتحي العيوب ويقوم الحق المطلوب، {وألف بين قلوبهم}، (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً)^٥، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)^٦. (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها)^٧. إن الله يُعرف للقلوب، يوم تتلاقى القلوب على حبه، {وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}^٨، (الله محبة)^٩.

إن دنيانا في عصرنا مظلمة، معتمة، ظلمة، قاتمة، لفقدان التلاقي للقلوب، لانعدام المحبة بين الناس، يتزاحمون على الجيفة، ويتلاقون على الشيطان، لا يفرقون بين البهتان والإحسان، فالشيطان والرحمن عندهم سيان، كلاهما يذكر لموصوف السلطان، وأين سلطان من سلطان!

أين سلطان البهتان من سلطان الرحمن! أين سلطان الفتنة من سلطان النعمة! أين سلطان النعمة من سلطان الجزاء والعطاء! أين آدم الرحمن من آدم الفتنة بالطغيان! كلاهما آدم، إنهما آدمان للوجود تواجداً بالنور وتواجدوا بالظلام، ولكن من مثل ظلام الطغيان قام فتنة، ومن مثل نور الرحمن قام هداية ونعمة.

أين أبو الفتيان، من أبي سفيان! أين أبو الحسنين من أبي اليزيدين! أين أبو العلم من أبي الجهل! أين أبو الماء من المزن، من أبي هب للتعاسة والحزن! أين أبو السكينة وعلم السجود، من أبي الخسران وعلم الكنود!

لقد أظهر الله نصب رحمته، وبيت حضرته، يوم أظهر بيوت الظلام، معه في القيام، حتى يعرف الناس ويميز الناس الخبيث من الطيب.

فهل ميز الناس؟ هل أدرك الناس؟ هل قدر الناس؟ هل فهم الناس؟ هل اتبعوا ما جاءهم به كتاب الله؟ هل واصلوا سيرهم خلف رسول الله؟ {أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا} ١٠.

هل أدرك المتأخرون من انقلب على عقبيه، ومن لم ينقلب على عقبيه؟ هل أدرك المتأخرون من كان رسول الله بينهم؟ هل كان خلقا أم كان حقا؟ هل كان فردا أم كان بيتا؟ هل كان رجلا أم كان جمعا؟ هل كان لله وجهها أم كان لله كل الوجوه؟ هل كان لله اسما أم كان لله كل الأسماء؟ هل كان لله اسما من أسماء ووجهها من وجوه؟ أم كان اسم الله الجامع للأسماء ووجه الله الجامع للوجوه؟

لقد كان اسم الله العظيم وكان اسم الله الأعظم وكان اسم الله الذي لا يدرك ولا يعلم وكان اسم الله الذي لا يغيب ولا يحتجب، كان الحق من الله، كان كتاب الله وأم الكتاب، كان كتب الله والأقلام والألواح، كان في الله المساء والصباح والمساء والصباح.

كان بالله في الله للناس سكينة الليل ومعاش النهار، كان الأيام والشهور، كان القرون والدهور، كان الحق القديم والمبشر بالحق القادم لكل نفس، الله عليها القائم، (ما أعطيته فلا تميتي) ١١، وكان الحق القائم لطالبه، (من رأي فقد رأي حقا) ١٢، (لكم من الله ما لي) ١٣، (ما عرفني غير إلا ربي) ١٤.

من طلب الله معي كان وجه ربي لي فعرفني، يوم كنت منه، ونفرتُ به، وقد صار حقي، وكنت منه خلقي، فأنا لا أنفر من خلقي، ولا أستعلي ولا أستكبر بحقيتي، أنا المبعوث في كل من بعث بالحق فأنا الحق الذي يبعث، أنا نور الله الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، بهم لربي أسجد، وبهم لربي أعبد وأعبد.

أنا بالحق له المعبود، وأنا بالحق به العابد، أنا الحق الذي امتزج فيه العابد بالمعبود، تواجدت أزواجا وكنت في أزل أزواجا، وسأبقى إلى أبد أزواجا، وأقوم معكم أزواجا، وأظهر لكم أزواجا من جسد وروح، من ذات ولطيفها، من مقيد ومطلقه، من حق وظله، من خليل وخله.

أنتم معي، إن لربي صدقتم كنت لكم العبد، وأنا بصدق مع ربي لكم وجه المعبود، وهيكلكم الوجود، فإن قبلتموني لمثاليته عينه، قبلتكم لمثاليتي عيني، وظهرت منكم عبيدي، وقتكم ربي.

أنا التوحيد.. أنا لا إله إلا الله.. أنا الله أكبر.. أنا الغيب.. أنا الشهادة.. أنا أنتم إن وحدتم.. وأنتم أنا إن حييتم.. فاقدوني إن عني تخلفتم، والحياة لكم جانبتم فأعدمتم وفنيتم.

أنا الرحمة المهداة، من القائم المطلق، من الواحد الأحد، ممن لا شريك له مني، ولا شريك له منكم، فإلى متى تبقون في شرككم به بموجودكم بعيدا عنه فيوم أقوم الحق، سافرا لكم، تكفرون بشرككم، وتعرفون من كان وجه الله بينكم!

{أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} ١٥، {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ١٦، فمن الذي جاء الأرض؟! وما أطرافها التي أنقصت منها؟ قل إنما أنا معكم أنتظر مع المنتظرين، ومعكم أنطلق بالمنطلقين ومعكم أحياء بكوثر مع من يطلبون الحياة، ومعكم أموت مع من يطلبون الموت.

أنا الحق الوليد، أنا الأب الجديد، أنا القديم العتيد، أنا وجه الله الذي يعود ولا يعود، والذي يتجدد ولا يتجدد في الوجود، أنا علم الله، أنا اسم الله، أنا عبد الله، أنا إنسان الله، أنا رسول الله، أنا الحق من الله.

فمتى تستيقظ منكم الضمائر؟ ومتى تتحرر منكم السرائر؟ ومتى تنطلق حوله العقول؟ ومتى تشعل من ناره النفوس؟ إنه شعلة الحياة، إنه مصباح المشكاة، إنه لكم الزجاجة والمثال، يوم تُصلح لكم الأحوال، فترتضون به الاقتداء، وتستعينون بشفاعته على البلاء فيحيا في دوام في نفوسكم بوصلته الأمل والرجاء، إنه لكم السكينة، وإنه لكم السفينة، وإنه لكم الأرض الآمنة، وإنه لكم البيوت السعيدة، وإنه لكم الحضرات الجديدة، وإنه بكم، يملأ فراغ الوجود بالحياة.

فبماذا ذكرنا رسول الله؟ وبماذا عرفنا رسول الله؟ هل نعمناه؟ هل سعدناه؟ هل لأنفسنا قبلناه؟ هل لغايتنا في الله ارتضيناه؟ هل جددناه؟ هل بعثناه؟ هل تكلمناه؟ هل كتبناه؟ هل كتبنا كناه؟ هل أشجارا بأسقة حيننا؟ هل ثمارا منه كسبناه؟ هل أكلناه؟ هل طعمناه؟ هل شربناه؟ هل ارتويناه؟ هل حرثنا أرض أنفسنا له، وهياناها لانشقاقها بمعناه؟

تنشق أرض القلوب عنه، يوم ينزل عليها ماء الحياة، فتهتز وتربو، وتلد الأمة سيدها، وتشرق الأرض بنور ربها. (الملك من ملك نفسه) ١٧، السيد من ساد نفسه، المتحرر من حرر عقله، المحب من أشعل ذاته، الحارث من حرث قلبه، المشرق من فتح لنور الله صدره، من عرّض للشمس أرضه، الحي من أحياء عمله، والسعيد من أسعده إيثاره، والدائم من أدامه اصطفاؤه.

والموجود من انشق عنه قره ومن تواجده ولده، من كان الابن، ثم كان الأب، ثم كان الجدّ، ثم كان الغيب قياما لإنسانه أبا وآبا للجد والابن جامع، من كان الإنسان لله في بيته، من كان الإنسان لله على أرضه، من كان الإنسان لله في سمائه، من كان الحق لله في ولائه، من كان الحقيقة لله في عمله، من كان الوجود لله في رسمه، من كان اسم الله لهيكله، ورسول الله لكاتبه، وعبد الله لحقه.

إن اسم الله، ورسول الله، وعبد الله، حق واحد في الله، وإله واحد بمعناه، فلم تجافون لما جاءكم به رسول من رسل الله، عرّفكم أن الإنسان الأب والإنسان الابن والإنسان الروح للإنسان الكبير، حق واحد وإله واحد وإله واحد، وإنسان واحد، ووجود واحد، في الموجود اللانهائي، فيمن ليس كمثله شيء فيمن لا شريك له، فيمن لا اسم له، فيمن لا مسمى له، في واجب الوجود، لموجود لإنسان له؟ هل توحدت قلوبكم متألّفة متحابّة، فأدرتكم ما تكون الوجدانية، فعرفتكم عن الوجدانية، وآمنتم بالواحد الأحد فلم يظهر الله لكم ولم يظهر الله بكم؟ إن الإنسان ظهر به الرحمن قديما، ويظهر به قادما، وهو ظاهر به قياما فيمن يصطفي من عباده.

إنسان الله إنما هو أحد من آحاد، وصمد في صامد وآحاد في واحد آحاد، عرفت الأحدية يوم توحدت، وعرفت الأحد يوم مثّله، بأحدها لوجودها.

المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد، يقومون بالقلب الواحد ويقومون معنى الواحد، وظاهر الواحد، لباطن الواحد، أعلام الأحد لأحديتهم وأحدهم عند المتوحد معهم على حقهم وأهدافهم.

ألف بين قلوبكم. لو أنفقتما ما في الأرض جميعا، ما تمكنتما أن تؤلفوا بين قلوبكم، ولكنه هو الذي ألف بين قلوبكم، لتصبحوا بنعمته إخوانا. ما ظهر الله في الأشياء، مثل ظهوره في شيثكم لمعنى الإنسان. وما ظهر للأشياء، مثل ظهوره بالأشياء ببشرية أرضكم، فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله.

إن الله للرب، على ما هو لله ربوب تماما، فالرب إنسان والمربوب إنسان، هما في الله سيان، وجه لوجه يتناظران وينظران ويتراءيان ويريان، وجوه ناضرة لوجوه لمعاني ربها ناضرة.

هل يُنظر المطلق اللانهائي، إلا بمقيد لمقيد؟ إن مقيدات الله في الله، لا ترى في معاني الرفاق الأعلى إلا مقيدات في الله، في الله ذي المعارج، رفع بعضكم فوق بعض درجات وهو في الآخرة رافعكم درجات، وأكثر تفضيلا.

وأنتم في دنياكم، وفي أخراكم، ما زلتم للحق تنشدون ويوم أنكم في الحق تدخلون، فلا درجات، ولا بدايات، ولا نهايات، ولكنكم فيه إنسانية الرشاد، لمعاني آيات وكلمات، يوم تظهرون في عالم الموجودات.

ولكنكم في حضرة الحق يوم تدخلونها فليس هناك ما يفرقكم من الحق ولا تفاضل بينكم في الحق، فلا كبير ولا صغير ولكنه الحق، لا تعديد فيه ولا توحيد، فالتوحيد لا يكون إلا في بيئة التعديد، وفي بيئة التعديد، يتحدث الناس، وتحدث الكائنات عن التوحيد، أما في التوحيد في معناه وقائمه وحقه، فلا حديث عن توحيد، ولا قائم من تعديد.

هذا ما رفعه بينكم رسول الله، بشعاره لا إله إلا الله، شعارا لربه يقوم بلا إله إلا الله وبالأكبر يقوم بلا إله إلا الله، تقوم بها حضرة الله، علما وقياما ويقينا وحسا، ونقوم بها كلاما وتواصيا وحقا، ننشده ونرضاه، ونستقبله من علاه، بقائم رسول الله، بيننا كلما أسفر من قيام فهو لا يغيب عنا في قائمنا بقيام، ولا يمتنع علينا في نفوسنا بسلام، يوم أننا نتبع ما جاءنا به من العلام إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما^{١٨}.

اللهم بمن جعلته الصلاة، اللهم بمن جعلته الصلوة، اللهم بمن جعلته القبلة، اللهم بمن جعلته البيت، اللهم بمن جعلته الحج اللهم بمن جعلته الحجيج، اللهم بمن جعلته السبيل، اللهم بمن جعلته الحوض، اللهم بمن جعلته الطريق، اللهم بمن جعلته الرفيق، اللهم بمن جعلته الصديق، تولنا في كل أمورنا صغيرها وكبيرها، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا، وارفح به اللهم هذا البلاء عن أرضنا، جعلتها دارا لنا، فاجعلها اللهم آمنة، وارزقنا فيها الأمن والسلامة ولا تخرجنا منها في ثياب اللوم والندامة، اللهم به فارحمنا، وارحم من رحمنا، وارحم من رحمنا، اللهم به فتولنا، وتول من تولانا، وتول من تولينا، اللهم معه فوجدنا، والتوحيد معه فأشهدنا، وبه الوحداية معك فتواجدنا، وتجلنا، وأشهدنا معنا لنا، بمعناك بنا. اللهم في حصن لا إله إلا الله فأدخلنا، وركب الله أكبر فاحملنا، وعنك لا تقطعنا، والافتقار إليك لا تحرمننا، اللهم أحينا مساكين إليك وابعثنا مساكين فيك، واحشرنا في زمرة المساكين لك مع إمام المساكين عندك.

اللهم اجعل عزتك لنا، قائمة بنا، على أنفسنا، فأخضعها لنا، وحرر عقولنا بنا، وأحي موات قلوبنا، بأنوار رسولك لنا، وتولنا برحمتك حكاما ومحكومين، وأرشدنا بهديك، حكاما ومحكومين، أئمة ومؤتمين، هداة وضالين.

لا إله إلا أنت سبحانك

إنا كنا من الظالمين

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ سورة النساء - ٦٥
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ سورة الأنفال - ٦٣.
- ٥ حديث شريف: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". صحيح البخاري.
- ٦ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". صحيح مسلم.
- ٧ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" أخرجه البخاري ومسلم.
- ٨ سورة العصر - ٣
- ٩ اللَّهُ حَبِيبٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ. (١ يو ٤: ١٦).
- ١٠ سورة آل عمران - ١٤٤
- ١١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٢ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٥ سورة الرعد - ٤١.
- ١٦ سورة الإسراء - ٨١
- ١٧ استلهاما من الحديث الشريف: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ". أخرجه البخاري ومسلم
- ١٨ سورة الأحزاب - ٥٦

(١٢)

إنسان هدي الرحمة لإنسان مسح الإطلاق حياة الطريق وروح الانطلاق عبد الله ورب الناس وسر الربوبية لكل الناس حق العباد وقائم الأرباب للأعلى والأدنى في السفور وفي الحجاب

حديث الجمعة

١٨ رمضان ١٣٨٦ هـ - ٣٠ ديسمبر ١٩٦٦ م

نعوذ بالله حياة قائمنا، نستعينه ونستغفره قيوم حياتنا، ونتوسل إليه معيتنا، برسول الله لرحمتنا، نتابعه ونؤمنه لأمتنا، ونطمع به في رحمة الله لغايتنا، بحمد الله، وآدم الناس.

نقومه ونشهد له لصحبتنا، نرتضيه ونتواجهه لقائمنا ونهايتنا، نعمل به ونستقيمه لسعادتنا، فنشهد أنه لا إله إلا الله، لا موجود في الوجود سواه، ولا عابد ولا معبود إلا إياه.

حياة قيامنا، وقيام حياتنا، وقيوم وجودنا، لقائمنا بنا، نشهده لا إله إلا الله، ونقدّره الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر في مطلق ولانهائي الوجود لله.

نرتضيه لنا، فناء عنا وتغيرا لما بأنفسنا، لبقاء نرجوه، به، بنا به نغير ما أنا، ونعرض لنفحات الله في أيام دهرنا، به يتوفانا الله يوم هو لنفسه يرتضينا، يوم هو لنفسه يجتبننا، فيظهر لنا فينا، لا إله إلا الله، متخلقا معنا بخلق من هو له أعلاه.

إن الزمان قد استدار به على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض من وجوده بوجوده لوجودها، في تمام وجودها لوجوده مرة ومرة إلى لا بدء إنسان الله لتقديم ذكره مسيح إطلاقه لإنسان الله لمحدث ذكره وعلى صورته، قائم الناموس لإنسانية رشاده، وهو مستدير به لكل من يتابعه

على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض، مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة إلى لا انتهاء، (وتحسب أنك جرم صغير... وفيك انطوى العالم الأكبر)^١، {خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}^٢.

إن رسول الله، هو حقيقة دوراته لدورانه، فيه تتلاقى بداية ونهاية أزمانه، وبداية وتمام إنسانه، عنوانا لفوقيته بحقه على مكانه وزمانه. نحن الآن، في يوم من أيامه، لوجود وسفور بمحمود إحسانه، في قائم عنوانه، بمحمد وجدانه، وسما عرقانه، إنسان وجوده، وآدم تواجدته، وكلبات آدمه، وجماع إنسان كلماته، وقائم آياته، وظلال محاسنه، وصفات مفاتنه، حضرة واحدة صفاته، وياقوته أحدية ذاته، لجماع ذواته، بإنسان أودامه، لعلميته على الأعلى بذاته وصفاته، في لانهائي تواجداته، للانهائي الأعلى لوجوده وصفاته، وهو ما تقومه وتجده الرسالة الروحية لقديم رسالاته، في دائم رسالته وبأناجيله وآياته.

استدار ويستدير الزمان بظهوره، كيوم خلق الله السماوات والأرض، رحمة، بقديم وقائم السماوات والأرض وأهلها، ونشأة لجديد السماوات والأرض، سفورا لإنسان حقيقته، بإنسان حقه، في موجود كثره بإنسان خلقه، نواة تكاثره لوجوده، لعلم شهوده لأعلام نشأته لكثره في جديده في موجوده.

أعلنها صادقا، وقالها متحققا، للوجود فاتقا، وللموجود به مع موجدته راتقا، إن السماوات والأرض، لجديدي هي عين السماوات والأرض لقديمي. (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)^٣ (الدنيا دار من لا دار له)^٤.

وأنا لي داري، سماواتي وأرضي، ولي من الأعلى بها جوالي، من حج ولم يزرنني فقد جفاني، ومن جفاني، فمن له من الله بعد إنساني، {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم به مشركون}^٥، ولتجدن أكثرهم لا يؤمنون بالله إلا وهم به مشركون، لا يؤمنون بالله إلا وهم في أنفسهم وبأنفسهم بالله مشركون.

سعداء وفي هناء، من هم لله، مع رسول الله يوحدون.. يوم هم به مثلا أعلى لأنفسهم يرتضون.. يوم هم لأنواره من نور الله يستقبلون.. يوم هم معه، بظلاله يتوحدون.. يوم هم ما بأنفسهم إليه يغيرون.. فكيف وهو الحق.. دون حجاب عنه به يتصلون؟ {إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون}^٦.

ما كان لبشر أن يكلمه الله، إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يوحي، بإذنه، برسول له ما يشاء، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}^٧. وهل كان محمد إلا الحق! وهل يزهد الحق! به أزهق الباطل، وبه جاء

الحق، به أزهق الحق له باطله عنه، ومحا عاطله منه، وأظهر بالحق قادره وموجوده، وقدم من الله فاعله وجوده.

إذا كان الناس وجوها لله، ألا يكون رسول الله وجها لله لوجوه الله! ومن كان وجها لله، كيف يقبر، وعلى أي صورة يذكر؟ إنه وجه الوجوه، يوم تتجه، يوم تتوجه، يوم تصبح وجوها ناضرة، تشهد وجهها، في مرآة وجوهه، بعترته وظلاله، ببيته وآله، بحقه وحاله، بخلقه ومآله.

يقوم ويتقلب في الساجدين، بنور الله، جعل له.. بوجه الله، قام به.. بحق الله، أحاط بوجوده.. وقام به لشهوده.. مبعوثا بالحق، ناطقا بالصدق، معلما بالحكمة، ممتدة يده بالنعمة، به العطاء، وفي المجاهدة معه الرجاء، وفي التخلف عن ركبه الجزاء، وفي الامتثال لهديه الوفاء، وفي المخاصمة له العناء.

مصباح القلوب، يوم تحيا به القلوب، أطوار البنيان، في أطواره للعيان، يوم يرتضيه لمعناه وحقيقته الإنسان، هياكل الله من الناس، يوم تمتد يد حقيقته لاصطفاء الناس لنفسه.

اسم الله، لمن ذكر الله.. اسمه اللهم.. لكوثره بهم يوم تألفت قلوبهم، وتراصت أبدانهم، وتواءمت بعد خصام نفوسهم، وتلاءمت بعد علم خروجنا من الجهل عقولهم، واتحدت بالحياة - بعد قطيعة بمجافة - بنور الله قلوبهم، فكانوا بنعمته إخوانا وكانوا للإنسان عنوانا، وكانوا للحق بيتا ووجدانا.

محمد الله والذين معه.. رسول الله، والذين معه، محمد رسول الله والذين معه، أمة رسالته، رسل الله.. لرسول الله هو رسول الله لرسول الله، هو رسل الله لرسول الله، ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى ذات رسول الله وذوات رسل الله.

جمع روح قدس الله، لروح قدس الله، للروح الأعظم من الله، للروح الأعظم من الله، ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى الروح المطلق للانهائي لله.

بالروح كان الإنسان قلم قدرة الله، لأقلام قدرة الله، حتى إلى أقلام عرش الله، بيد الله.. به كان الإنسان كتاب الله، لكتاب الله، حتى إلى أم الكتاب لله.. به كان آدم وجه الله، لوجه الله، لوجه لله، حتى إلى الوجه الجامع للوجوه لله.

أظهره الله للأعلى له لقائم عبده وعليه جمعه لموصوف ربه، بذلك عرف ربه، فعرف الله، فما فرق بين ربه وبين الله، لأنه لم يفرق بين الله ورسوله، لم يفرق بين مصدر علمه ومعلمه وحامل العلم إليه، روحا عليه ألقى وله لقي، هدى به الله، (لا تفرقوا بين الله ورسوله)^٨، كيف يأتينا بهدي الله، أن لا نفرق بين الله ورسوله ويفرق هو بين الله ورسوله؟ كيف يأتينا بهدي الله، {النبي أولى بالمؤمنين من

أنفسهم}٩، ولا يرتضي هو، أن يكون نبي الله عنده، أولى به من نفسه؟ فإن كان قد أضافه الأعلى إلى نفسه فكانه، فكيف نعرفه، قبل أن نضاف إليه فنكونه!

أظهره على الدين كله، فكان هو الدين كله، {أرأيت الذي يكذب بالدين}١٠، فذلك الذي يدعك يا من كنت الدين كله، فذلك الذي يدعك يا من آواك من طلبت ووالاك، من إليه افتقرت فبه أغناك، فكنته لمن كان له مؤمنا به في إيمان بك، فليس على دين ذلك الذي يدعك أيها اليتيم.

أمر أن "تخلق بأخلاق من عرفت"، ومن إليه بوجودك أضفت، {فأما اليتيم فلا تقهر}١١، فإن وجدت يتيما على ما كنت وعلى ما لنفسك عرفت، فأوه على ما أويت، وإلا فما بأخلاق ربك تخلقت فكان الدين في أن يأوي إليه المؤمنين.

فقال لنا أنا رحمة الله للعالمين أنا هدية الرب للمساكين، أنا للرب منكم يوم يقبل الهدية، يوم يقدم الإنسان منكم نفسه لربه، راجعا إليه بأمانة ربه بالحياة إلى من أئتمه عليها، رادا أمانة الحياة إلى يد الحياة، برسول الله، أولى به من نفسه، وأحب إليه من ماله وولده وحسه.

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}١٢، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه)١٣، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)١٤.

وهل نتعطل أحكام الدين! وهل نتعطل هذه القوانين! وهل يلغى الناموس، بغيبة ذات من ذوات، لكوثر وجود، لا يختفي للشهود، يوم يطلبه الناس! {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}١٥. وما كانت سبلنا إلا كوثر سبلنا، وما كانت سبلنا إلا الإنسان لله، كان محمد له كمال المثال للخلق العظيم قدوة وحقا، لمن معه تواجد، وله في نفسه بالله أوجد.

فيوم شهد أن محمدا رسول الله شهد فيها إنما هو بقاءه لقيومه لا إله إلا الله، بها قامت شهادة وجوده، ونعمة قيامه بموجوده لموجده يوم عرفه لنفسه محمد الله، يوم آمن لقاؤه وعرف لمعناه من قيومه رب الجود، وجها للسيد القائم على كل موجود، فقبل من الله بمحمد الهدية فكانت له بمحمد العطية، فشده محمدا رسول الله الذي به شرف، فأدرك كتاب التوحيد وأسقط حجاب التعديد.

إن هذه الحياة البشرية، على هذه الأرض المظلمة، الحزينة، بأسرارها الخفية، جعل الله فيها دورة ظهور خلافته المرضية، سورا {باطنه من قبله الرحمة وظاهره من قبله العذاب}١٦ دارا للتكوين والاختبار، يستوفي بها الإنسان تمام إنسانه، ليدخل في إنسانية رشاده، لحضرة رحمته ووداده، بقاء إنسانيته، يصبح

هو منها، ويصير هو من أهلها، يقوم بصفاتها هو أحد من أحادها، هو حق من حقائقها، هو حقيقة من حقيقتها، هو إنسان من إنسانية تواجدها، وهو إنسانية جامعة لقائم فرده وأحد إنسانه.

بالحق نزل، يوم هو بالحق أنزل، ولنور الله نشر، يوم هو بنوره لله، نورا له، في الوجود انتشر، هو نور السماوات والأرض، لمصدر كل نور بها لواجب الوجود لها، لمن لا اسم له، لمن تنزه عن الكنه والمسمى، وترفع عن الوصف والتسمية...

من اتصفه الإنسان، بأوصافه، وهو لا وصف له، من قامه الإنسان لقيامه، وهو لا شريك له لمن ظهره الإنسان، علما، لأعلامه، وهو لا علم له، ليقوم بأعلامه بكتاب العلم عنه، وهو لا كتاب له ولا علم عنه لمن عبد الوجود، وجوده، لمعاني العبد له، وهو لا عبد له، لأنه لا شريك له.

إن وجود العبد ووجود الرب، إنما هو أمر للإنسان، في إنسان جامع لهما أعلى في عينه لعينه بهما. إنسان، يظهر فيه لنفسه ما بين عاليه وسافله للأنا بقائه، يراه عين عبده، لعين الرب له، فلا عبد ولا معبود فيه، بل هو أحدية حق بوجه لوجه فيه له يوم يقوم الإنسان علما، على من علمه، هو منه وإليه، ويعرفه ومن علمه لا علم لهما ولا علمية منهما، مع المعلوم فيهما لهما بهما.

به، أشرقت الأرض، بنوره ربا لها، وولدت الأرض، أمة لمطلق الله، وليدها وسيدها، فاستوى على عرشها، لسماواتها، وقام جماع بنينا بذاتها، نائما في النيام، قائما في القيام، يقظا في اليقظ، طليقا في الطلق، حبيسا في الحبس، راحلا مع الراحلين، قادما مع القادمين، كلي الوجود بمعناه، قيوم قيام قائم الوجود لمبناه، هو إنسان الله في وجود الله.

إنه الناس، لمعناه الآدم، وإنه طبقات الناس، لمعناه، ابنا للآدم، وجماع أبنائه لأسماء صفاته، إنه بكوثره، إنسانية السماء بالكلمات كما هو إنسانية الأرض وبشريتها بالأوادم والآيات قامها لجماعها، ليجمعها فيها على الأعلى لها لا بقدرته، ولكن بقدرته الأعلى لها قدرة له ممن قدر وهدى، فقدّر به كل قادر فهدى به من لنفسه اهتدى، فكان رحمة لكل من به وبظلاله إلى عاليه من سافله إليه اهتدى، باقتداء مقتديه، واحتذاء محتذيه، ومتابعة متابعيه.

به تكشفت، لأهل العلم، ولأهل المعرفة، ولطالبي الحقيقة، أسرار الوجود لا بمعزل عن وجودهم، بالخاصة والمسألة، وأسرار القيام، وأسرار الكيان، لا بمعزل عن قائمهم وكيانهم، مخلصين ومسلمين للناموس.

قام به كائن البشر يوم اتحد به بالتوحد معه أمرا وسطا، بين قرين له يسفله، وحفيظ له يعلوه قام بهما وقاما به، واتحد معهما واتحدا معه، قياما لواجب الوجود ومعرفة له وعرفانا به، وتعريفا له وعلما عنه.

فعرف به، كائن البشر، يوم يستوفي معه حقه من البشرية، على ما يليق بوصفه بها "بشرا"، بشرا مكرما، بشرا مرضيا.. بشرا مصطفى.. بشرا مبشرا.. بشرا راجيا.. بشرا آملا.. بشرا متأملا.. بشرا رائيا مرثيا.. عرف معه معرفته من أنه أينما ولى فثم وجه الله سواء إلى داخله محاطا أو إلى خارجه المحيط به، ولا إحاطة له...

بشرا ارتد به البصر، عبر الزمان، لتقديمه ولقادمه، وعبر المكان، لمحيطه، وباطنه، ومحاطه وظاهره، ارتد إليه البصر خاسئا وهو حسير حقا بعث مغيرا ما في نفسه وقد سقطت عنه حجه.

سقط عنه رداؤه.. وضع عنه وزره.. انكشف له سره.. كشف الله له وللناس ستره.. فأظهره منه أمره، وجعله فيه جهره، وأخفاه عن مجافيه سره.

عرفه المؤمنون أولى بهم من أنفسهم، وحجده الكافرون عزيزا عن مناهم، بعيدا عن مثاهم، غريبا على حالهم، مستحيلا على أمرهم، {لکم دینکم ولی دین {^{١٧}، {لا أعبد ما تعبدون {^{١٨}، {ولا أتم عابدون ما أعبد {^{١٩}، حتى تستغفرون، وإليّ ترجعون، في تعرفون، وبی تشهدون لا إله إلا الله والله أكبر.

بذلك كان الإنسان، كان البشر، كان الإنسان البشر، يوم يكسب مقام البشرية، كان بعينه لجماعه لفرد، قائما على عين الوجود الكوني قائم وقيوم ربه عليه، (أطعني أجعلك ربانيا، تقول للشيء كن فيكون)^{٢٠}، وهو يعرف أن فوق البشرية عوالم من العالين وأن تحت البشرية عوالم من السافلين.

فما تحت البشرية، كانت له البشرية سدرة منتهى عنها انحدر وجنة مأوى إليها يعود، وحقيقة قيام لكاتب له يقرأ وبه يهتدي.

وما فوق البشرية، كان للبشرية، سماء مظلة ويد خلاص مقلة لقلقيها ومرهقيها شافية من كل علة.

كان لها بمن كان له بين ظهرانيتها حياة الحقيقة، ومعارج الطريقة، وسلم الحياة، وأبواب الوجود الأعلى، للخلاص والنجاة، وموائد النعمة وساحات العناية، بأعلام الرعاية كان به لها سدرة المنتهى.

كل ذلك لنا بمن كان حقا رسولا، هو الأمر الوسط، برسالته، وهو الأمر الأعلى، بحقيقته، وهو الأمر الأدنى، برحمته جماع أمر من أمور الله لجماع حق من حقائقه وجماع أحد من آحاده.

أصبحت الأرض به أمرا وسطا، وقياما وسطا، ووجودا وسطا، سدرة منتهى لسابق وبداية للاحق لسدرة أعلى، منتهى لأدنى في لا منتهى.

ألم يقل لكم الله، على لسانه، {وبالحق أنزلناه وبحق نزل {^{٢١}؟ ألم تسمعوا الله، وهو يقول له، وهو في دوام المخاطب منه، في قيامه في سلامه معه لسلامه لكم به، (اخفض لهم جناح الذل من الرحمة)^{٢٢}!

ألم يهده هاديا لكم، لكيما تتابعوه قدوة لهديكُم، {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}!^{٢٣} هل عرفتموه فظا! وهل كان بينكم فظا غليظ القلب! أم أنكم أنتم كنتم فيه معه فظاظا غلاظ القلوب بمعاملة بعضكم البعض بفظاظة وغلظة! هو إنما يؤدبكم بعاليه بتوجيه الأدب إليه لقائكم فيه بدانيه، حتى تحرصوا على قيامكم بأمانة الحياة به وأمانة الحياة فيه.

نزعم أنا آمنا برسول الله.. هل بعد الذي سمعتم يمكن أن تعتقدوا أن هناك في عالمكم إيمان برسول الله بعد، إلا من رحم؟

إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لابئين فيه أحقابا، يوم يهديهم الناموس السبيل كافرين فينظرون، كما هداهم به مؤمنين فيؤجرون.

وها هي أحقاب الزمان، بقرونه مرت، بكم وبآبائكم وبأجدادكم، والرسول لابت فيكم بعترته وظلاله بينكم، وما قام بينكم لعنوانه بآدمه إلا بظل من ظلاله ووجه من وجوهه، وهو صابر لنفسه معكم بأوادمه، علّ العمي يبصرون، علّ الصم يسمعون، بنعمة الله ورحمته معه، {أبصر به وأسمع}!^{٢٤}

ها هو يحاول، باخعا نفسه على آثاركم لا يفارقكم، ولا يتعجل طريقه إلى الأعلى، تارككم في غفلتكم قبل أن يخلف عليكم، ويترك بينكم من هو عينه لكم.. وسيفعل فقد بقي حيا في قبره، وفي مقابر بقلوبكم انتظارا لجديده لأمره، وسافره لسره، لقائم جهره.

ها هي الأرض توشك أن تنشق عنه مخلفا ليصعد، وها هي السماء تفتح أبوابها له في انتظار لتسعد، وكما انشقت عنه لتدنو، بثمار شجرته ثمار هي لها وإليها، منها وفيها تصاعدت، سبحا في النهار تواجدت، ومن صفات أصلها لحقها توالدت وتزايدت، وبأصل وفرع أنارت وأشرقت أليس هو الإنسان وشجرة الإنسان!

عنه السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت، يوم عرفته أصل أمورها، وقد أوحى به الأعلى في كل سماء أمرها، وهو منه أوحى إليه، ومنه أوحى به، ومنه جعله وحيا يوحى هيأ له أن ينزل بالحق فنزل، فبه الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت.

إنه اليوم في جديد من الأمر، إنه ما تشهدون من رسالة الروح، فهي الرسالة الروحية لرسول الله (أنا روح القدس)^{٢٥} من الروح الأعظم بعد الرسالة الذاتية له من الذات الأقدس.

ها هو يجدد رسالته في السماء، لأهلها على ما يريدون، رحمة للعالمين، وها هو يجدد رسالته في الأرض لأهلها، يعرفه المفتقرون إلى حقائق أنفسهم، ويسعد به الطالبون لسلامة أمورهم، ويهنا بوصلته المصطفون للأعلام عنهم لقائهم بحقهم، أمر يتكشف لمن يتكشف له يوما للفصل، في أمره بعلم عما

قدم وآخر، ففريق للجنة وفريق للسعير، ولكل يومه وساعته وقيامته، يوم يستيقظ من منامه أو من سكرته. إن يوم الفصل كان ميقاتا سواء في عالم الأشباح أو في عالم الأرواح للطاغين مآبا، إلى حيث بدأوا الشعور بالأنانية لاثنين فيه أحقابا بعيدين عن الشعور بأناهم لهم أو بأناهم لعينهم.

إنها الرسالة، إنها الحكمة، إنها العلم، إنها رسالة الحكمة والعلم للإنسان، يقومها ويعملها وتعمل به وتعمل فيه وتعمل له، إنها الطريق، إنها الرفيق للرفيق، إنها الصديق للصديق، إنها الإنسان للإنسان، يوم تتلاقى القلوب، فتغفر الذنوب، وتعلم نفس ما قدمت وأخرت تعلم أن إلى ربها معها المصير والرجعى يوم يكشف لها عنها غطاؤها، وتحرر من غلاف دحيها لتتطلق في جنة وجودها، فتعرف وتقوم مملكة الله بها، في مملكة الوجود مُلكا لها.

أين هو الرب لنرجع إليه؟ أله مكان نقصد إليه فيه! أله زمان بحسبان ننتظره به! أيجده قدس بإنسان نعرفه إياه! أيجعه وجود بعنوان نصفه به! أيحيط به شهود، هو له المشهود! إنه المنزه عن كل هذا، عند من يقدره حق قدره.

إنه الرب لا يعلم إلا يوم تعلمه النفوس في نفسها، يوم تسجد له النفوس إلى قبلتها بقلوبها، بوأنا لإبراهيم مكان البيت، وكذلك بوأنا لك مكان البيت فيك، هكذا نبؤى من يؤمن بك رسولا لنا مكان البيت فيه يوم نسوي بينكما، ونزواجكما، فنجعله بيتا لك ونجعلك بيتا له، يوم يؤمن الناس بربهم لهم معهم فيذكرونه بغير غفلة عنه في أنفسهم، وبغير شرك به بأنفسهم.

أنت إنسان الله مرسلا. أنت نور الله معلما. أنت وجه الله مسعدا. وأنت رب الناس رحيمًا راعيا. وأنت ملك الناس حاكما عادلا. وأنت إله الناس قدسا مدانيا. أنت عبد الله حقا مخاللا في القلوب للمؤمنين بك الله يُشهد^{٢٦}. وأنت حكمة العقول فالعقول لعظمة الله فيك لله تسجد، وإلى بيت الله فيها ظلالاتك تقصد، قبله مرضية لها لله في معيتها تعبد.

إن الولاية، نعمة، ممن يتولانا جميعا، تسبقها خدمة، خدمة النفس لنفسها، وإدراك العقل لسر إداركه، بقيام الجزء ساريا في كله، في إيمان الكل بكله وقيام الكل خلف جزئه لإشهاد أمره لقائم بعضه لمعنى الابن في كله لمعنى الأب، وقيام الأب لمعنى الكل بالابن، لقائم أمره لمستقبل عينه.

أنتم الأبناء، لتقديم من آباء، ومن خلالكم، وعلى أرضكم، يبعث الآباء بالجزاء، فيكونون لكم أبناء، وترفعون أنتم لمكانهم لتكونوا لهم الآباء، في دورة دائبة لكسب الحياة وكوثر البقاء، وكشف نواميس العطاء والجزاء وملء فراغ الوجود بالحياة والحياء.

هكذا دواليك، دورة الحياة في دائماً بمزيد، ودورة الزمان في الدهر بمديد، ودورة الإنسان في الحق بوليد، ودورة المكان لعالمه بجديد، ودورة الوجود للسعة والتواجد في أحد ذاته للأمر الفريد.

بهذا جاءكم رسول الله. وهو به كانه، وهو به قبل أن يكونه بينكم في سابق، في قديم كانه، وفي أقدم مما كانه كونه، فعرف بكائه ما كونه وما كانه، فأدرك، في مطلق الوجود ما يكونه فكان إنسان العلمية على معلومه بإنسان علمه لقائم إنسان علمه.

إذا تأملت فيما أقول، فلا تعجبوا.. إن عجبكم إنما هو من بعدكم عن دينكم، ولكن الذي أنبأكم به رسول الله، عن ما كان وعن ما يكون لتعلموا به عما هو كائن، وأشفق عليكم أن يقول، عن ما كان قبل ما كان، وعن ما يكون بعد أن يكون، لأنه بكائه كان، وبكائه يكون، وقد علم وعلم أن الله كائن على ما هو كائن، قبل خلقكم بما هو عليه بعد خلقكم.

ولكنه قدّم لكم من هذا العلم طرفاً وطرفاً، تأملوه وهو يسرد لكم تفصيل ما يكون يوم القيامة، وأنتم تقولون إن القيامة لم تقم بعد وما عرّفها إلا لأنه كان في قديم قامها وعرفها، ففي قائم برسالته كشفها في قائمها وقادما، وقد عرف أنها في قادم تكون على ما كانت مما كانت، وعلى ما هي كائنة فيما هو كائن مما عرف وكشف.

فللقيامه دورة دائبة في الفرد والجمع.. {أنظرنى}.. {إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم}.. فوصفها وصف الخبير بها، وصفها وصف الخبير والبصير وصف العليم الدقيق العميق.. ولم يعجم، ولكنه أيضاً لم يثقل علينا، بما يجب أن ندرك، ولم يكلفنا ما لا نطيق، فكان نعم المولى ونعم الصديق.

هل قدرنا رسول الله، فكان في مكننتنا أن نقدر الله؟ إنا لا نقدر الله حق قدره، إلا يوم نقدر الرسول حق قدره، ولن نقدر الرسول حق قدره، أو نقدر الله حق قدره، ما لم نقدر أنفسنا على ما هي، على ما هي من العدم، لا تساوي شيئاً وعلى ما هي من التوقيت، لا تقوم أمراً، وعلى ما هي من موت ينتظرها، فهي بحاضرها ميتة، فالموت مآلها، لا بل الموت حالها، ولكنها بأمر الله لها على خطر عظيم، يوم تحقق لها ما أريد بها. إنها لحقها هي أمر الرسول إليها، وهي أمر الأمر له إرادة بها، إنها الإرادة المطلقة للحياة وللوجود، يوم تحقق لنفسها ما أوجدت من أجله.

تأملوا عظمة ما في تعبير الطريق، في أذكاره بأوراد وروده في صلاته (أدعو إلى الحضرتين بالحضرتين)^{٢٩}، هذه هي أحدية الثالث، لأقائم الحقائق الربانية، للحقيقة الإنسانية. ما أجمل الدعاء! وما أجمل الدعوة! وما أجمل الداعي! {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين}^{٣٠}.

بمحمد نبي الفطرة، وإنسانها حقاً تواجد للعيان، زويت له الأرض وجعلت له مسجداً وطهوراً للبيان أصبحت البشرية به أمة واحدة في الوجدان، فكانت أمته بالبشرية لا شرف لعربي على أعجمي بينها إلا بالتقوى أنبياء بكل لسان وفي جميع البلدان، وبكل مكان.

فهل دخلنا نحن أدياء الانتساب إليه، في أمته! هل عنونا شرعته! هل نشرنا حقيقته! هل محونا ظلام القلوب والنفوس، بنوره فينا سارياً! هل قتناه كوثر وجوده! هل امتدنا به يد موجوده! هل أشرقنا به وجوه معبوده؟!

هو ختام النبيين هو خاتم النبيين، حار الناس من أدياء أمته بين خاتم وختام، بين حقيقة وإعلام، بين خفاء وقيام، بين خصومة وسلام، بين حقيقة وكلام، ما كانت رسالة محمد بكلام، هل كانت الرسالة إليه بكلام؟!

ألقينا عليك روحاً من أمرنا، هل كان هذا كلام؟ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا، هل هذا كلام؟ نهدي به من نشاء، هل هذا ضرب وحسام أو لجة وخصام، أم أنه امتداد بالرحمة والإحسان من القلوب إلى القلوب في الحب والوجدان؟

(عُدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)^{٣١}، وما زال الناس يتساءلون بعد أربعة عشر قرناً، ما يكون الجهاد الأكبر؟ ومتى يكون الجهاد الأكبر؟ ألم يفصل لكم الدين الجهاد الأكبر! ألم يقل لكم رسول الله، إنه مجاهدة النفس في شهواتها؟ ألم يقل لكم رسول الله (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)^{٣٢}، ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش)^{٣٣}؟ فتقولون {من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق}^{٣٤}، ألم يقل لكم رسول الله (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)^{٣٥}، {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة}^{٣٦}؟

هل خاصمت نفسك بين جنبيك، وهي أعدى أعدائك، إن صدقت من هديت إليه! أم أنك أمسكت بعصاك وضربت من كان بجوارك، بوصف العدو لك، وما عاداك، فبينك وبينه جدار، يمنعه أن يصل إليك ويمنعك أن تصل إليه، ولكنك تخرج من أمان دارك وتقتحم عليه أمان داره.. وتتسلق إليه أسواره، ولا ترعى حرمة لجوارك، في محبة أو مسالمة جارك!

{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها}^{٣٧}، نبي السلام تجعلون منه نبي الخصام.. نبي الحقيقة والروح، والنور، والرحمة، تجعلون منه نبي المهاترة والمجادلة والكلام والمادة والسلطان والغلبة.

(ما عرفني غير ربي) ^{٣٨}، (واشوقي إلى أحبائي.. قوم يؤمنون بي ولم يروني، [لهم من الله ما لي]) ^{٣٩}، على ما وعدت، وعلى ما وعد الله، لهم وبهم من الله ما بي، على ما دعوت، وعلى ما دعا الله.

فهلا جددنا إسلامنا، وهلا جددنا إيماننا، وهلا جددنا فقهنا، وهلا جددنا عقائدنا، وهلا جددنا مناسكنا، هلا جددنا أمرنا، والرسول يقول لنا، (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها) ^{٤٠}، ويقول (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) ^{٤١}، و(المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ^{٤٢}، و(المؤمن مرآة المؤمن) ^{٤٣}، (يأكل الذئب من الغنم القاصية) ^{٤٤}، والكتاب يهدي {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا} ^{٤٥}، {رجلا سلم لرجل} ^{٤٦}، {فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب} ^{٤٧}. فهل جددنا أمور ديننا مع تجدد الرسول بيننا، أم أننا جددنا أمرنا مع تجدد الشيطان بنا؟

فهل إلى نصب، أفضنا؟ هل حول نصب طفنا؟ نعم إن الرسول يقول لنا، لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه اعتقاده مخاصمة لنفسه، ولكنا صممنا أن يكون طوافنا حول الأجار افتتاناً بأنفسنا، وانعزالاً بها حتى لا نرى من القلوب لله داراً فنعرف الله لنا، يوم نعرف الرسول بيننا.

لو أننا انتقلنا بعقائدنا في الأجار كما سنت لبدئنا للتخلص من أنفسهم من طين وتراب الأرض إلى الأجار، من نبات الأرض من الناس {يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً} ^{٤٨}، لو اعتقد أحدكم في قلب لرجل وكان كالجر، لا يختلف عن الأرض والمدر، لنفعه هذا الاعتقاد بالرغبة في المثال، للتخلص من التمثال، فأعدى عدو الإنسان نفسه التي بين جنبيه فهي تمثاله الضال ورسوله المضل. ففي التخلص من اعتقاده الزحزحة عن النار.

إنه لو صلح لذلك وآخى إنساناً على ذلك ظاناً به الصلاحية لذلك، لأفاض أصلحهما، على أخيه، وقد يكون الصالح منهما، هو المعتقد، والأقل صلاحاً هو المعتقد، ولكنها قدسية الحب، قدسية المخاللة، قدسية الصحبة، فيفتح الله ببركة المعتقد، على قلب المعتقد، ويشرق بنوره من قلب أحدهما على كليهما، فيمحو ظلام قلوبهما وقلوب من يلوذ بهما، يوم هم يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، فلا كبير ولا صغير بينهم بالله لهم لفردهم وجمعهم، (الزم الجماعة) ^{٤٩}.

(المؤمن مرآة المؤمن) ^{٥٠}. وكيف يؤاخي مؤمن، أخاً بالإيمان، مجاهداً صابراً محتسباً، ولا يؤمن! هل قام على ذلك فقه في دينكم أو في جماعاتكم، أو في مذاهبكم، أو في طوائفكم أو في طرائقكم! لا تظلموا أنفسكم فتقولون إنما المسلمون!

فكروا في الإسلام لتسلموا، وابحثوا عن من معه إليه تُسلمون، فالإسلام لا يكون إلا من مسلم لمشاهد بالإسلام على ما عرّف عنه الدين يسلم له فالمسلم الأول للمسلمين هو رسول الله، يمنون عليك موجودا مشهودا - أن أسلموا {قل لا تتموا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم، أن هداكم للإيمان} ٥١.

فليس هناك طريق للاهتداء للإيمان إلا بالإسلام، وليس هناك إسلام، ما لم يكن هناك مسلم ومسلم له، {وخلقناكم أزواجا} ٥٢، ليكون هذا فقهنا، فلنسلم لأبائنا، فلنسلم لأمهاتنا، فلنسلم لأعمامنا، فلنسلم لأخواننا، فلنسلم لمعلمينا، فلنسلم لقادتنا، فلنسلم لأي شيء نرتضيه لمثاليتنا لأنفسنا، حتى نكون مسلمين، حتى يمكن أن يتكشف لنا فينا شيء من الدين، يوم نصدق ويوم نعمل، ويوم نجاهد.

{الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، نتنزل عليهم الملائكة} ٥٣، في قائمتهم، في حاضرهم، في موجودهم، (تخاطبهم الملائكة في الطرقات وفي الفرش) ٥٤، أن أبشروا، وقد زحزحتم عن النار، فأبشروا وقد أدخلتم الجنة، أبشروا وقد ذقتم قطوفها دانية، أبشروا وقد عرفتم أنه لمن خاف مقام ربه جنتان، نحن معكم، {نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا} ٥٥ على ما تشهدون، {وفي الآخرة} ٥٦، على ما ترتقبون، بريقكم نرتقي، وبخدمتكم، نجزي من الأعلى علينا وعليكم.

هذا هو دينكم، فهل أنتم في دينكم حقيقة؟ {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ٥٧، اسألوا أنفسكم بينكم أمام ضمائركم، وحكموا ضمائركم لكم أو عليكم، حكموها في شأنكم واسألوها في أمركم، فإن حكمتموها، فارتضوها، في حكمها، وتابعوها في قولها، (استفت قلبك وإن أفنوك وإن أفنوك وإن أفنوك) ٥٨. إن في الإنسان ضمير صادق، لا يكذبه، فلا تنافقوا مع ضمائركم، لا تحذعوا عقولكم، لا تضللوا نفوسكم، ولكن أيقظوا ضمائركم من سباتها، يصلح أمركم، ويصلح حالكم، وهذا هو الطريق في اتجاهكم إلى جوانبكم، فيسعد بكم برانيكم، وهذا هو دين الله ودين الإسلام، ودين الفطرة، يبدأ دائما من مسلم، هو ثمرة شجرة الحياة ومنه يمتد ويتواصل، به يدعى كل أناس بإمامهم. كان الرسول طابع كل مسلم وأول كل أولية لعابدين وشهيدا على الشهداء، ومشهود كل مشاهد، لا إله إلا الله، بحمد رسول الله، وهو ما تجددته الرسالة الروحية في عصركم برسالتها، لتسمعوا صوت الحق من وراء حجبه بالوسطاء من جميع مستويات الإنسان له في مراقبه بمعارجه، ارتداد عمل البشرية إليها، انتهاء ليل من ليالي غفلتها، وبداية لفجر نهار لها، لتستيقظ من منامها بعثا بصباحها على ما كان من أمرها في قديم من أيامها، وعلى ما يمارس مفرداتها الحياة بين النوم واليقظة أو موت والحياة بكرات الليل والنهار في أيامهم المتعاقبة، كأجزاء للزمن المتواصل المتصل في الدهر الدائب.

اللهم يا من أوجدت لك فينا الضمائر، وهديت بها منا كل ضال وحائر، اللهم أيقظ ضمائرنا، وأحي قلوبنا، وأنر عقولنا، وحرر أرواحنا، وقوم جوارحنا، وابعث بالوجود لك هياكلنا.

اللهم بحمد على أنفسنا أعنا، اللهم بحمد على فساد أمرنا فانصرنا، اللهم بحمد من ضيق نفوسنا وعقولنا حررنا، اللهم بحمد، فارفع يد المقت والخصام عنا، اللهم بحمد فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا.

اللهم بحمد فآلف بين قلوبنا، ووحيد جمعنا، ويسر أمرنا، وارفع شعار لا إله إلا الله بنا، أعلاما عليها، لقائنا ولا يعلمون، لجاحديها بها لها يسلمون، يوم هم معها يسلمون، وأمرهم بينهم يستقيمون، وأمرهم فيهم بغفلتهم لا يعمهون.

اللهم فاكشف حجاب الغفلة عنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، غافلين ويقظين، آمين ومؤتمين، جاهلين وعالمين، مستقيمين وملتوين.

اللهم اكشف عن جزائك للمحسنين، واكشف للناس يوم الدين قائما في دوام وفي يقين، حتى يستيقظ الغافلون ويؤمن الجاحدون.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من قصيدة شعر للإمام عليّ كرم الله وجهه: وَتَحَسَّبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ إِنطوى العالَمُ الأكبرُ
- ٢ سورة غافر - ٥٧
- ٣ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.
- ٤ حديث شريف: "الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له." أخرجه أحمد في مسنده، والبيهقي.
- ٥ سورة يوسف - ١٠٦
- ٦ سورة الحجرات - ٤
- ٧ سورة الإسراء - ٨١
- ٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٩ سورة الأحزاب - ٦
- ١٠ سورة الماعون ١
- ١١ سورة الضحى - ٩
- ١٢ سورة النساء - ٦٥

- ١٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الآنَ يَا عُمَرُ**". صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". متفق عليه.
- ١٤ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١٥ سورة العنكبوت - ٦٩
- ١٦ سورة الحديد - ١٣
- ١٧ سورة الكافرون - ٦
- ١٨ سورة الكافرون - ٢
- ١٩ سورة الكافرون - ٥
- ٢٠ حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".
- ٢١ سورة الإسراء - ١٠٥
- ٢٢ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، و{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٢٣ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٢٤ سورة الكهف - ٢٦
- ٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٦ تم تشكيل هذه الكلمة وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٢٧ سورة الأعراف - ١٤، ١٥، {قال أنظرنى إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين}
- ٢٨ سورة ص - ٨٠ و سورة الحجر - ٣٨، ٣٧ {قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم}
- ٢٩ من ورد "الياقوتة" للسيد محمد الفاسي المغربي الكبير، من أئمة الشاذلية. "فأكون نائبا عن الحضرتين بالحضرتين"
- ٣٠ سورة فصلت - ٣٣
- ٣١ حديث شريف ذات صلة: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب." رواه البيهقي، ورواه الخطيب البغدادي بنفس اللفظ وبلغف آخر: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه.
- ٣٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

- ٣٣ وفقاً لحديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.
- ٣٤ سورة الأعراف - ٣٢
- ٣٥ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلتك كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك".
- ٣٦ سورة آل عمران - ١٤
- ٣٧ سورة النور - ٢٧
- ٣٨ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٣٩ استلهاما من الحديث الشريف: (مَتَى أَلْقَى أَحَبَّائِي؟)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمَّا أَوْلَسْنَا أَحَبَّابَكَ؟، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحَبَّائِي قَوْمٌ لَمْ يَرُونِي وَأَمَنُوا بِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالْأَشْوَاقِ لَأَكْثَرُ. رواه أبو الشيخ الأصبهاني في " ثواب الأعمال"، كما في " كنز العمال"، والقشيري في " الرسالة"، والديلمي في " الفردوس".
- ٤٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٤١ حديث مشهور على الألسنة بصيغة: "لو حسن أحدكم ظنه في حجر لنفعه". يوصف بأنه موضوع ولا أصل له.
- ٤٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٤٣ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٤٤ حديث شريف: "ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذَ عليهم الشيطان، عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.
- ٤٥ سورة سبأ - ٤٦
- ٤٦ سورة الزمر - ٢٩
- ٤٧ سورة الشرح - ٨٧
- ٤٨ سورة مريم - ٤٢
- ٤٩ من حديث شريف: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذَ عليهم الشيطان، عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.
- ٥٠ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٥١ سورة الحجرات - ١٧
- ٥٢ سورة النبأ - ٨
- ٥٣ سورة فصلت - ٣٠
- ٥٤ إشارة إلى الحديث الشريف: "والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصاغتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم". صحيح مسلم

سورة فصلت - ٣١	٥٥
سورة فصلت - ٣١	٥٦
سورة الذاريات - ٢١	٥٧
من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.	٥٨

(۱۳)

طوبی

لَمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ، مَفْتَاحًا لَكُنُوزِ الْقُلُوبِ
بِقَائِمِهِ حَقًّا وَرَبًّا لِقِيَوْمِهِ اسْمًا وَعَبِيدًا

حديث الجمعة

١٥ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ - ٢٤ فبراير ١٩٦٧ م

براءة من الله ورسوله، لمن آمن بالله ورسوله، فكان بإيمانه بالله ورسوله، قائم وجه الله ورسوله، لقاءه، كتاب وجوده، وعالم موجوده، فيه قائمه لشاهدته ومشهوده، في حصن لا إله إلا الله، لقيوم الله ورسوله على قائمه بمعناه المؤمن بالله ورسوله، إنسانا بُعث بإيمانه، محمداً، رسول الله.

رجاؤه المسلم يوم يسلم إنما هو من الله، أنه وقد صار بالإسلام محمد الله أن يتم عليه نعمته، وأن يجعل منه بالإيمان رحمة للناس، فيبعثه بكوثر الرسول نور رسول الله يمضي به في الناس، ليُشهد معنى الناس لهم لأنفسهم بالحق، ويشهد أنفسهم معناها بها ومعناها بربها، شهادته لنفسه، قائم الله ورسوله لمعنى المؤمن بالله ورسوله لهم، مرآة المؤمن لقدس القائم بالله ورسوله عليهم، علمًا على أقدم الله ورسوله، في أقدم الله ورسوله، في مطلق الله ورسوله، مفتاحا لكنوز القلوب بقائه عبدا لقيومه.

فمثل نوره مثلاً ضُرب من مصدر النور، أنه ما ظهر في شيء، مثل ظهوره في الإنسان، جُعل له نوراً، هو نور السماوات والأرض، قائم لطيفه لقائم السماوات والأرض لمعنى نفسه وذاته وظهره، اتسع بالحق له لما لم تتسع له السماوات والأرض نفساً له وحقاً لها.

اتسع الإنسان بإدراكه.. اتسع بوعيه.. اتسع بكيونته.. اتسع بلطيفه.. اتسع بانطلاقه.. اتسع بمطلقه..
في مطلق معبوده، لكّله، لقاؤه موجوده.. اتسع لما لم تتسع له السماوات والأرض.
الإنسان.. الأُنْسَان.. الأُنْسُ والإنْس. أنس وأنس. لإنس وإنس، في إنس وإنس.
الناس.. ناسٌ، ناسٍ، ناسي، ناسي كلهم ناسٍ، الأناسي كلهم ناسي.

أنس العبد بربه وأنس الرب بعبد

إن قائم الإنسان، صفة الرب فيه له، (كلكم راعي)، وصفة العبد فيه له (وكلكم مسئول عن رعيته). وصفة الأحد لقائمه قائمة لاتحاد عبده فيه وربّه به، قيام حق واحد، لأحد بحق آدم على صورته، فرد وجوده، وفردوس موجوده، لقائمه لعلّه، شرفه وحقه في معناه بعبد، وجنته وسعاده في عبوديته، علّه، ووجوده بكتابه، لقائمه بإهابه في ربوبيته، يعرفه لا إله إلا الله بأحدثه، ويشهره بإشهاره لا إله إلا الله، يقومها إعلام لا إله إلا الله رسولا بها برسالته، بقائمه لناظره عبد الله، ظل محمد الله، في كوثر وجوده، في دائم تواجدّه، لتقديم موجوده، لمعلوم حقه.

الإنسان هو الأحد المنفرد بفرضه، لموجود فارضه، لرحمن مجده، في رحيم هديه، بيد نعمته، لمطلق معبوده، لقدس عابده، فطرة الوجود، وصبغة الشهود، لمن رأى وجه الله حيثما ولى، ولمن آمن، معية الله حيثما كان، ولمن عرف حق الله في معارج الله، في ذي المعارج، لموجود وجوده في دائم تطوره لحضرات أطواره.

كل ذلك لمن عرف الله، لقائمه، فقدّره لقيومه، وبشّره لقادمه، يوم يسري بحقه، نور ربه، في متابعه، ومخالله ومحبه، في قائم محبوه، في جمعه بقيومه، لأحده في واحده.

يقوم الإنسان بالحق في الحق مركز الدائرة، ومحيط الدائرة، لمركزها، ودائرة دائرتها، لقائم نقطتها وجديد مركزها، كما يقوم منتشر مركزها بعنونة من الأعلى إلى محيطها، ومحيط محيطها، كما يقوم متجه الإحاطات إلى مركزها لقائم ذاتها، قائما بين أحده وواحد لتقييده وإطلاقه، لقائمه وجديده، لعين قديمه والأقدم لمجده، لأمر نفسه وعقله وروحه، ذكرا محدثا، لذكر قديم، وذكرا قائما، لذكر قادم، ذكرا بين القديم والقادم لقائمه، عروة وثقى وأمر وسطا بين الأعلى والأدنى لقائم لطيفه بحاضره.

مثل نوره، لمن طلب نوره، ثمرة شجرة الإنسان، بكلمات الله. فهي مثل نوره، من شجرته، لا شرقية تعنون حكمة، وتقوم بدءا، ولا تعرف مغايرة، ولا ترى غيرا.. ولا غريبة، تشهد واقعا، وتقوم معلوما لا عالما، مقيدا لا منطلقا، قائما لا يعرف قديما ولا يشهد قادمًا، يقنع به قائما، يفناه ويبقاه دائما. كانت الشرقية آدما وغيبا، وكانت الغربية شهادة وولدا، فقامت الوسطى بينهما، رحمة، ولا اجتماعهما برزخا.

عرفتهما وعرفتهما للقديم يدا، وللقدام قدما، فقامت بين يدي رحمة علما وعلما، كتابا وأقلاما وكلما، فكان منها، وكان لها، وكان بها، مثل نوره، أمرا هو خير الأمور، وعلما، يبقى على الأزمان والدهور، وحقا، يسمو فوق الغيوب والشهود.

أليس هو مثل نوره؟ أليس هو في الله، هيكَل لجهره، ومعناه لسره؟ أليس هو عبد الله، عبداً، قائم ربه، وكتاباً فياضاً بعلمه، قائماً برحمته وقيوماً بإعلامه بأعلامه؟ {آتيناه رحمة من عندنا وعليناه من لدنا علماً}، قائم العلي، لا يجحد الأعلى.. قائم الدني، لا ينكر الأدنى لعينه ومعناه، سبعا من المثاني لأعلاه وأدناه تجلاه، والقرآن العظيم أبداه، فكان حقاً ومثل نوره.

من دخل مشكاته، شهد مصباحه، سراجاً وهاجاً، وبحراً لجياً عجاجاً، بحر الحياة، بحر البحرين، معه يمتزجان، وفيه يتلاقيان، أليس هو مثل نوره؟ أليس هو الحق؟ ما عُرِفَ الله إلا في معرفة مثل نوره، وما عُرِفَ مثلاً لنوره للناس، إلا في معرفة الناس عنهم به.

مَنْ الله يكون المثل الأعلى للناس به، به تواجدوا وبه يتواجدون، وإليه مثلاً أعلى لعلّ مثالمهم يرجعون وبه في دوام يتجددون. هو كل الحياة، لمن طلب الحياة، فحيا الحياة.. هو كل الخلاص والنجاة، لمن استغفر من وجوده، ولم ينكر على مشوده، بلطفه لعينه يشهد، ولشهود عينه لموجوده يعرف، يوم يدخل في حصن لا إله إلا الله.

فيها يُبعث، حق الله، ومحمد الله، وبها يعمل، كتاب الله، ورسول الله، وفيها يسبح سفينة الله وكلمة الله، قام مبرّء، مطهراً، من كل ما سوى الله ورسوله، فكان بريئاً من كل ما سوى الله ورسوله، قائماً صافياً خالصاً بالله ورسوله، فكانت له البراءة من الله ورسوله، وكان للناس علم البراءة بريئاً، وعلم الاستقامة في الفعل والقول جريئاً. طاهراً مُطَهَّراً ومُطَهِّراً.. بالله ورسوله فاعلاً، قائماً وعلماً. هذا ما ضُرب به ابن مريم مثلاً، للعباد مكرمين، بالله ورسوله قائمين، فإذا البشرية على أرضها، مزوية للحق الرسول، كوثرًا بينهم عنه يصدون.

هذا هو ما جاءكم به دين الفطرة، بكتاب الفطرة، مع رسول الفطرة، لقائم حق الفطرة بالصبغة، فكان للبشرية به صبغة الله، عباداً له، جُعِلَتْ به لهم العبودية ميسرة، بُشِّرَتْ البشرية به لها، صبغة لها، في جمعها لمآلها، ولمفرداتها في اجتماع قلوبها، على قلب واسع من أنفسهم، أشرقت به الأرض بنور ربها.. وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً، {ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله}².

ولكنهم، تابعوا أهواءهم وعبدوا شيطان نفوسهم، وواصلوا تجديد ليلهم وظلامهم، في قيامهم ملتفتين عن النظر في أنفسهم، بَعَثَ قديمهم، وأصل قادمهم، لا يغيرون ما بأنفسهم، حتى يغير الله ما بهم من أوهامهم لعزلتهم، ومن أوهامهم ليأسهم وقنوطهم، ومن أوهامهم لكفرهم بالله، وما كفروا إلا بأنفسهم منه.

إن الإنسان ليؤوس كَفَّار، وإنه لربه لكنود، ولكنه ما زال لربه ظالماً أو مظلوماً.. إنه لربه عالماً أو معلوماً.. إنه لربه دائماً أو موقوتاً.. إنه لربه، هداه السبيل، شاكراً وكفوراً، حتى يرتفع به إنساناً فوق الشكر والكفر.. حتى يرتفع به فوق أوهام الكفر والإيمان.. حتى يرتفع هو بتقدير ربه، في تقدير نفسه، بمعرفته لتقدير نفسه لغير ربه، وفي تقدير نفسه لعينه.

يُكَبِّرُهَا وَيُؤْمِنُهَا، يوم يراها للأعلى له لمعنى ربه، ويخاصمها، ويجاهدها، ويحقرها ويعاندها، يوم يراها خالية من حُبِّه، يوم يراها بعيدة عن خِله، يوم يراها، على غير ما أعلَّه مُعلِّه، وعلى غير ما أقامه مُقومه.

نحن هنا، وفي هذه الجماعة، نتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر، لا ننكر على حكمة الشرق من شجرتها، شرقية بفلسفة الأحدية، بعيدة عن الأشياء، ولا ننكر على علوم الغرب من شجرتها غربية بفلسفة الوجودية لقائم الأشياء. ولكنا نقوم مع ثمرة لشجرة لا شرقية ولا غربية كانت الأرض لها مزوية، قامت لمعنى الوسطى بينهما، أشرقَت بفجرها من الأرض الوسطى، زويت الأرض لها انزواءً لمثل نوره، ثمرة وشجرة، فكان للأرض وأهلها ثمرة انزوائها، وشجرة بقاءها، عِلْمٌ ونشر فلسفة الواحدية للأشياء، وعقيدة الأحدية للأرواح، وفعل الوجودية لقائم البشرية بالأشباح، به أشرقَت الأرض بنور ربها، وولدت الأمة سيدها.

فإذا كانت النبوة، قد جاءت بكتب البلاغ، وفقه البيان.. وإذا كانت الحكمة، قد جاءت للتعريف بقدسية الفطرة، لسرمد الصبغة، لكلية الحق، لجامع الشهادة والغيب.. وإذا كان العلم قد جاء بوجودية الحق، فإن الروحية الآن وفي هذا الزمان، تجدد ذلك كله في هيكل من جماعة، فتؤيد وجودية العلم، وتجدد بلاغ النبوة، وتظهر صبغة الحكمة، في الآن الواحد، قياماً لآدم لتمامه، وبعثاً له لمعنى إنسانه، {إني متوفيك ورافعك إلي^٣، {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً^٤.. {قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا...^٥ أنا هذا الرحمن الذي يلد، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين^٦.. {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل^٧.. {وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد^٨.. {وقل جاء الحق وزهق الباطل^٩..

إن هذه الجماعة برسالتها، من قائم وصلتها، مع الأعلى لروحها، في القائم لقدس وجودها، للبشرى، للقادم، من القائم، لمن يتابعها، على وعيها.. على علمها.. على بلاغها لقائمها، إنما تمثل النبوة بدائمها، والحكمة القديمة ببعثها وقائمها، والخلقية بوجوديتها في جدتها، بصفوتها لوجودها، بحقائق قيامها ودائمها، لقديمها وقادمها.

لا تستهينوا برسالتكم.. إنها الرسالة القائمة، في سرمدتها، وإنها الحق القائم، مبعوثاً من قديمه بحقه، لقادمه بحقه في قائمه لخلقه، إنكم تمثلون دورة الأيام، في دائمتها، ودورة الزمان في قائمتها.

أنتم جماع لل بدايات، في بدايات نفوسكم، بخلائقها.. وأنتم جماع للنهايات، بالمبعوثين منكم بحقائقهم لحقائقها، بينكم لكم.. أنتم برزخ اجتماع، للحقائق والخلائق، في وحدة جمع قائم، يدعو إلى السلام الدائم، ويعمل على محاربة المخاصمة، ومحو الملاومة باجتماع القلوب بالحببة على قلب، وفي اجتماع العقول على عقل، في تواصلٍ بحق وقائمٍ بصبر.

كما يعمل ويجاهد جمعكم على اجتماع النفوس على نفس، لمجاهدة على وحدة لوجود في اتحاد لأحد بوجود، نفس للنفوس طيبة.. وعقل للعقول مشرقة.. وهيك للهيكل، عوالم مُقامة.. وقلب لقلوب، تجتمع في الله في سلامة، بغير ندامة، ولا ملامة.

أنتم صفوة القديم، وأصول القادم، وحق القائم.. أنتم الذين تعرفون، أن الله قائم على كل نفس بما كسبت.. أنتم الذين تقومون، في علمٍ لكم عنكم، بكاتب وجودكم، الله من ورائكم محيط.. أنتم الذين تتواضعون للناس، وتخضعون جناح الذل من الرحمة، في متابعة من فعل، وجوها له حقا لكم، كنتم دائما وكلها كنتم، وكان بما فعل بكم وبما به فعلتم رحمة للعالمين، وقائما ليوم الدين.

هلك مخاصمكم، بفقدان نفسه، بهلاك نفسه، بالتفريط في أمره، ونجا مصالحكم، بشفاعتكم، باندماج في قائم وحدتكم، تحمون الضعيف، وتنصرون المظلوم، وتعملون الكل، مما أعطاكم ممن عرفتم، ومما أعطيتكم ممن قدّرتهم، فكنتم لله ورسوله، قائم الله ورسوله.. قيوم الله ورسوله.. رحمة الله ورسوله.. تعلون كلمة الله عليكم في أنفسكم وفي جمعكم وفي عالمكم، بعزة الله ورسوله لكم على أنفسكم لا شريك لله ورسوله منكم، ولا تعديد لهما بينكم، ولا شريك لهما عندكم، ولا فرق بينهما، ولا فارق عنهما بينهم وبينكم.

فأنتم أمة التوحيد.. وأنتم حكماء التعديد.. وأنتم بفعلكم ومنكم، قائم الجديد، وقائم الحليم مع العنيد، وبعث القديم العتيد.. أنتم الوليد، بقائكم لقديم.. وأنتم الوالد بقائكم لجديد.. وأنتم الحق لقائكم بقيومكم.. أنتم الوالد والولد.. أنتم بذواتكم، نواة وجودكم، المدينة والوجود، والبلد.. أنتم الدار ورب الدار ومن يسكن الدار.

أنتم عزة الجوار، لمن كان لكم في جوار.. أنتم الأحرار.. أنتم المجافون للأغيار.. أنتم أسماء الله.. أنتم مواعين الله.. أنتم هياكل الله.. أنتم بيوت الله.. أنتم غرف الله.. أنتم الحجرات، لمن طلب ساكن الحجرات، وقائم الحجرات، وعالم الحجرات.. أنتم سدرة المنتهى لسابق وظاهر السدرة للاحق.. أنتم فردوس المأوى لمن طلب جنة المأوى فإليكم أوي وآوى بينكم.. أنتم الكلمات الطيبة، والأشجار الثابتة، فابتعدوا عن المنافسة على هذه الدار، وآثروا بها فردكم وجمعكم بينكم طلبا لمن يطلب منه القبول في الجوار.

هذه هي رسالتكم، بروابط الروح، قيوم قيامكم لها، قائم الروح لأمركم، ومصايح الروح لغيركم.. أنتم الماء، ينزل من المزن، في دورة الحياة، لسدرة قيامكم، شجرة طيبة بثمارها، كلمات طيبة لعالمكم، لله، فكل ملأ له سدرة أعلى، وسدرة أدنى، وسدرة وسطى بينهما لقائم سدرته.

سعادة البشرية قامت، ويسّرت لها، لصبغة فطرتها، لتماها لقادم مفرداتها، بقاءم كلها، بمن كان العروة الوثقى، وسدرة المنتهى لمفرداتها، لقائمه، بالأمر الوسط لقدوتها، به قدّرت أمرا لله لها، لا بدء لأمره، ولا انقضاء لتجليه بجديد أمره، في قائم مُشهره لأمره.

عرفنا به الحق معلوما لنا بنا لا يُعلم محاطا منا، وعرفنا الغيب من كان بيننا، ولا ينقطع عن المجيء إلينا، بالحق أنزل، وبالحق نزل، وبالحق بين الناس بُعث، فقال جاء الحق صادقا، وأشهر الحق، محققا، وسرى بنوره في القلوب، منتشرا للقلوب محيا وللأرواح محررا، ولأسوار الظلام هادما مبددا.

أشعل سرج العقول للحق مشهدا، في النفس مقيما، بالنور مُسعدا، هو الحياة.. هو أنتم في وحدة بالله.. هو من كنتم في الله أرواحا.. وهو من تكونون لله أشباحا وأرواحا.. هو كل كلّم، يوم يكون لكم كل بقلوبكم وقوالبكم، في قائمكم، بقديمكم وقادمكم، {علمت نفس ما قدمت وأخرت}.. (موتوا قبل أن تموتوا) ١١. هكذا هديتم، وهكذا جزيتم.

هذه هي الحكمة.. وهذا هو الفقه، يوم يطلب الإنسان الحكمة، ويوم يتعلم الإنسان الفقه، فيستقيم في الله عمله، وتنتج أثرها فيه له مناسكه، وتقوم وتحيا بذكر الله معابده، فيجتمع ويلتئم على قبلته بالتواصي بالحق، بذلك تقوم شهادته ويظهر إشهداده، ويعلم رشاده، فيتعلم منه بالله لله عبادته، بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت من محمد، لنا منك رحمة.. اللهم لا تجعل من رحمتك لنا فتنة.. اللهم لا تجعل من كنودنا لنا جزاء، برد أعمالنا إلينا.. اللهم إنا وقد جئناك معيته، فاستغفر لنا.. اللهم به فاغفر لنا، وأجبه إلى غفرانك لنا، على ما بشرتنا، وعلى ما به وعدتنا، يوم أنك برحمتك عليه جمعتنا، وبمنتك له أتبعتنا.

اللهم فأتّم علينا نعمتك، به لنا، فوحد جمعنا، وألف قلوبنا، وحرر أرواحنا، وأثر عقولنا، وقوم جوارحنا، وأحي قلوبنا.

اللهم وقد أجبته فيما سأل، في كل ما سأل، ما رددته، وما أخزيته.. اللهم به لنا، نحن في متابعته بجمعنا، كتاب نفسه لكتاب نفوسنا، ونور عقله لنور عقولنا، وروح أمره لروح أمرنا.. اللهم فقلّبنا في واسع رحمته لجمعنا، وقد زويت له الأرض لكلنا، فجعلته رحمة للعالمين بالمؤمنين منا، في اجتماع عوالمنا، على عالم معلومنا، هو عالم لنا، عرفناه عبدك، اتسع قلبه لما لم تتسع له السماوات والأرض، اتسع لنا

على كنودنا، وقبَلنا على جهلنا، وأخذ بنواصينا إلى الخير، مُعلِّمنا، ماحيا ما عَلَّمنا بتعليم جهلائنا لموصوف عُلَمائنا، في جهلهم بأنفسهم وجهلهم بنا، مع علمهم بموصوف أمرهم لربهم في أنفسهم على ما علموا بنقلهم عن أسلافهم، ونقلوا ببغاوات في أقفاصها لذواتهم في سجينها.

أبرزته، ولا عِلْمَ له، فعَلَّمْتُهُ.. أبرزته، ولا غناءَ له فأغنيته، أبرزته ولا صِلَةَ له، فأوتيته، فتخلق بأخلاقك، فأوانا على انقطاعنا، وأغنانا في افتقارنا، وأخرجنا من حيرتنا.

اللهم به فأتّم علينا نعمتنا، نعمة مضاعفة منك لنا، قيوم قائمنا، لقائمك به، كما به قياما لك، بقائمك بنا لقيومك به علينا، فدخلنا به حصن لا إله إلا الله، وشهدناه لنا محمدا رسول الله.. اللهم به فاحفظنا فيها، ولا تُخْرِجنا منها.. اللهم بها فاحفظنا فيه، ولا تخرِجنا منه.. اللهم بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اختبارا لنا، وردا لأعمالنا.. اللهم به وبها، فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم.. اللهم به وبها، فاجعل لنا بكما، غنية عنا غير بعيدين عنكما، وغناء بكما، قريبين منا، قيوم قيامنا، اللهم بهما فاكشف الغمة عن هذه الأرض، وعن المسلمين بها، وعن أوطان المسلمين منها، أينما كان المسلمون عليها، في مشارق الأرض، ومغاربها، في حضرها وفيافيها، في مدنها وقراها، في مروجها ومراعيها، في قاحلها ومبانيها، كن لنا حيثما كنا، واجعلنا لك كيفما كنا، وعمم رحمتك بالمسلمين لك على كل من كان في جوارهم أو في جيرتهم.

لا إله إلا أنت، سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم بهما كن لنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، عالمين وجاهلين، طالبين وملتين، خذ بنواصينا إلى الخير أجمعين، بمن جعلته رحمة للعالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة الكهف - ٦٥
٢	سورة آل عمران - ٦٤
٣	سورة آل عمران - ٥٥
٤	سورة الإسراء - ٧٩
٥	سورة الزخرف - ٨١
٦	سورة الأنبياء - ١٠٧
٧	سورة الإسراء - ١٠٥
٨	سورة البلد - ٣-٢
٩	سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة الانفطار - ٥

١١ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.